الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة الجزائر2أبو القاسم سعد الله كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

ALGIERS2 Abou el Kacem Saadallah University
Faculty of Arabic Language and Literature and Oriental Languages

المدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

The City in the Poetry of Charles Baudelaire and Ahmed Abdel-Moati Hegazy

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه طور ثالث : تخصص أدب مقارن

إعداد الطالب: كحيلش الطيب
إشراف الأستاذة : أ.دفاطمة شعبان

لجنة المناقشة:

الاستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
وحيد بن بوعزيز	أستاذ التعليم العالي	جامعةالجزائر02	رئيسا
شعبان فاطمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	مشرفا ومقررا
عثمان بدري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	عضوا ممتحنا
وحيد بوحبيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر02	عضوا ممتحنا
سليم حيولة	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية	عضوا ممتحنا
إبراهيم بوخالفة	استاذ محاضر أ	جامعة تيبازة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية

2021/ 2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

ALGIERS2 Abou el Kacem Saadallah University
Faculty of Arabic Language and Literature and Oriental Languages

جامعة الجزائر2أبو القاسم سعد الله كلية اللغة العربية و آدابها و اللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

المدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

The City in the Poetry of Charles Baudelaire and Ahmed Abdel-Moati Hegazy

A **dissertation** submitted to obtain a Ph.D. degree, third cycle: majoring in Comparative Literature

Prepared by the student: Kahilish Al-Tayeb,
supervised by Professor: fatma Shaaban

Discussion committee:

professor	rank	University	adjective
Wahid bin Bouaziz	prof of higher education	University of Algiers02	as president
Shaaban Fatima	prof of higher education	University of Algiers02	Supervisor and rapporteur
Othman Badri	prof of higher education	University of Algiers02	Examiner member
Wahid Bouhabib	prof of higher education	University of Algiers02	Examiner member
Salim Hawla	Lecturer Professor A	Medea University	Examiner member
Ibrahim Boukhalf	Lecturer Professor A	Tipasa University	Examiner member

السنة الجامعية

2021/ 2020

شكر وتقدير

للمشرفة : فاطمة شعبان

التي رافقتنا طيلة سنوات الإشراف تحثنا فيها على البحث والتنقيب مسدية لنا يد العون كلما تلاطمت أمواج اليأس والتعب فكانت قامة علمية ومعرفية استنرنا بها دائما فشكرها مهما طال قل.

نرجو أن يطيل الله في عمرها ويسخرها لخدمة العلم والمعرفة.

كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى كافة لجنة التكوين الذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم المستمرة و المثمرة .

الاهداء

إلى روح والدي الغالي

وإلى والدتي الكريمة أطال الله عمرها.

وإلى زوجتي الغالية رفيقة دربي وكفاحي.

إلى ولدي العزيز أنس مختار

وإلى إخوتي الأعزاء وإلى كل الأصدقاء الكرام.

الطيب

مقدمة

مقدمة

تعد المدينة من أبرز مضامين الشعر الحديث والمعاصر؛ حيث جعل منها ظاهرة شعرية متميزة، برؤى شعرائها وكتابها الصادحة أقلامُهم بكل ما تجيش به المدينة ،جاعلين من واقعها إلهاما شعريا مقرونا بطاقة دلالية وترميزية تأويلية، متحدّين حدودها الجغرافية وأطرها الشكلية العامة.

كان سعيهم دائما لفهم المعنى الذي تنطوي عليه المظاهر المختلفة للمدينة ؛ باعتبار معناها كامن في تداخل وتعدد أبعادها التي يرسمها مخيال الذات الشاعرة المنفعلة ، و التي تضفي عليها معانياً غير مألوفة يصعب أحيانا تأويلها و تفسيرها، رغم إدراكنا لها بشكل ملموس ومقارنتها بعديد المظاهر المادية والمعنوية التي تتجلى في الحياة الحديثة للمدينة عموما على اختلاف مكانتها الشعرية. ورغم أن المدينة قد تكون غريبة ومخيفة أحيانا ، إلاّ أنّ لها وقعاً على نفسية المتلقي قبل الذات الشاعرة ذاتها، لكونها تلامس مشاهد الحياة اليومية الحديثة التي تطبع عليها .

هذا وشكّل موضوع المدينة عبر التاريخ كتيمة محورا رئيسا للعديد من النصوص في الآداب العالمية على امتداد وجودها، بصفتها وعاءً للمثاقفة والتمازج بين شعوب المعمورة وقبائلها، وذلك من خلال مظاهرها التي برز فيها شق التمدن بوصفه الوجه الظاهر المادي لأي حضارة إنسانية، والتي ترتكز في بنائها على عدة أوجه ثقافية من علوم وفنون وغيرها ، تمنح لإنسانها تحضرا عبر اكتسابه لهذه الأسس ،قاطعا طورا مهما في التمدن .

وقد أخذت هذه التيمة صورا متعددة ، فقد يكون ذكرها صريحا وقد تنوب عنها رموز ودلالات

أحيانا ضمن الصورة الفنية للنص الشعري ، ومن نص إلى آخر ، هذا وقد عرفت المدينة على مدار القرنين الماضيين نظير الوثبة الحضارية الهائلة التي عرفتها البشرية بفعل الحركة الصناعية، اهتماما بالغا من الشعراء على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم الشعرية وخلفياتهم الإيديولوجية، فموضوع المدينة أضحى جل اهتمامهم ،مع تباين مواقفهم منها ضمن عالمها المتحول ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع تناولها بأفراحها و أقراحها و خيباتها وانتصاراتها، معبرين بذلك عمّا مسّها من عوالم التحديث والتمدن وما لحق كينونتها من تشوه شنيع ، فأضحت الحياة في المدينة الحديثة مصطنعة، يتوارى خلفها الوجه الحقيقي للإنسانية، فلا تبدي لك إلاّ المظاهر الزائفة والخادعة والمتلونة تلون العلاقات التواصلية الإنسانية، فإنسانها تأسره قيود الحداثة وترديه مكبلا في دائرة الألم والمرارة والانطوائية.

أخذت الحياة فيها إيقاعا شعريا فجرتها عديد النصوص الشعرية المفضية إلى العدمية والضياع والقلق والتوافق، فحين اصطدمت الذات الشاعرة بالمدينة وعمرانها و فضاءاتها غدت توصيفا مكانيا وعمرانيا، حتى نعاها الشعراء بالمجازية ،فآمالهم تحطمت على صخرة عنجهية المدينة وواقعها.

لقد شكّل الشعراء نبض المجتمع وصوته فهم في احتكاك دائم بأوساطه المجتمعية للمدينة ،حاملين همومه ومعاناته، وراصدين عوالمهم المعيشية ضمن العملية الإبداعية، لذا فالعلاقة تفاعلية بين المدينة وشاعرها الذي يرسم المدينة وواقعها الرديء الذي يستثير حسه ووعيه المتنامي ليرصده بموضوعية، وهو ما عبر عنه العديد من الشعراء والأدباء حين رصدوا علاقة المدينة بالحياة المعاصرة وما فيها من تناقضات، أبرزها التمزق النفسي والتلاشي والكآبة، فكان موقف الشاعر لا يذهب بعيدا تجاه المدينة عموما، فالموقف من المدينة

يقابله الحنين المتجذر إلى ربوع الريف ويزداد الموقف عمقا كلما اشتد التنافر والتلون الذي يعتري سكان المدينة في علاقاتهم الإنسانية جراء ما عمّ من تمدن. فكانت المدينة حدثا صادما لأن واقعها الاجتماعي غير مألوف لهؤلاء .

– أسباب اختيار الموضوع:

أخذ موضوع المدينة وما يعج فيها من تمدن ومظاهره المتعددة مساحة هامة في النقد بشقيه العربي والغربي، فمبعث المدينة في الشعر نشأ أوروبيا عكسه مقت الشاعر الغربي ونقمه على حضارة اعتمدت على التمدن بشكل كبير أتت بتجلياتها على إنسانيته،هذا ونجد في الطرف الآخر شعراء افتتنوا بالمدينة ومباهجها فتغنوا بباريس وعديد المدن الأوروبية كاللورد بايرون واحتفائه بلندن وضبابها، بينما حفل الخطاب الشعري العربي بالمدينة بمواقف متعددة منها ما بقيت مرهونة بالصلات الثقافية والشعرية الوافدة، كما كان للعناية الكبيرة التي أولاها النقد للمدينة و أبعادها بشكل ملحوظ ميرزا علاقة الشاعر بالمدينة، والتأثير التفاعلي بينهما الأثر البالغ والمحفز في اختيار الموضوع الذي جاء موسوما ب**المدينة في شعر شارل بودلير و أحمد عبد المعطي حجازي**، وذلك من خلال قصائد (لوحات باريسية)و (سأم باريس) الذي سعى من خلاله بودلير إلى إبراز درن المدينة ،فلا يعقل أن يكون للشر أزهار ما لم تنم تلك الصورة عن حالة المكابدة والمعاناة بطابع وجودي ، ومن خلال ديوان (مدينة بلا قلب)، و(كائنات مملكة الليل) لأحمد عبد المعطي حجازي على تنوعها، والتي كانت المدينة محورا بارزا في معالمها خاصة ديوانه الأول (مدينة بلا قلب) ليكون صلب بحثنا، غير أن هذا لم يمنعنا من الولوج إلى بعض القصائد في دواوينهما الأخرى.

وعلى ضوء هذا قررنا البحث والدراسة، وسعيا لاستجلاء تيمة المدينة عند الشاعرين وطرح الإشكالية التي بُني عليها بحثنا هذا والتي كان مفاده.

ما أثر المدينة كتيمة في الشعر وما تجليات ذلك فيه؟

وقد رافق هذا الطرح العديد من التساؤلات التي دار حول موضوعنا هذا والتي من أبرزها :

- ما مدى تباين موقف الشاعرين من المدينة؟
- ما الأثر الإبداعي للتمدن في نصوصهما الشعرية؟
- ما هي الملامح البارزة للمدينة و التمدن في شعريهما؟
- ما أوجه التشابه والاختلاف في وصف المدينة وما طغى عليها من تمدن عند الشاعرين؟

وغير ذلك من الأسئلة التي كانت إجاباتها مبثوثة بين ثنايا البحث، ولإثرائه وقفنا على عديد الدراسات السابقة التي صبت في الموضوع نفسه لعل الأبرز منها:

1– ما تعلق بجانب شارل بودلير:

– **دراسة لفالتر بنيامين معنونة** ب: شارل بودلير، شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية . ترجمة أحمد حسان تناول فيه هوامش المدينة الحديثة و المظاهر التي تعج بها من المتسكعين و العاهرات و البوهيمين و جامع الخرق والحانات والشوارع .... » ، و من خلالها ساوى بين بودلير وهوامش المدينة، من منطلق أن الشاعر منتوج حداثي وصوت الحداثة الأعلى في آن واحد.

- **مقال لمحمد علاء الدين عبد المولى معنون** ب: بودلير مدينة وحداثة (مجلة البيان الكويتية العدد 495، تناول من خلاله تلك الجولات الغريبة التي برزت في مواقف بودلير وعلاقاته مرورا بحداثة بودلير وارتباطها بمفهوم المدينة من خلال ما كتبه عن نفسه، وما كتب عنه مشيرا إلى انكباب بودلير على بناء النصوص وهدمها سعيا منه إلى تحقيق مدى واسع في مجال ابتداع الأشكال الشعرية والتشكيلات النثرية على عدة أصعدة.

- إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي - الجزائر أنموذجا(1925-1962)، (1972)، حاول من خلالها الكاتب تناول مدينة الجزائر في الشعر العربي الحديث وإبراز أهم معالمها.

- مقال محمد جعفر العلاق المعنون ب: المدينة في الشعر، دراسة في موقف الشاعر العراقي المعاصر (1986). حاول من خلال الشاعر إبراز موقف الشعراء العرقين من المدينة بناء على دراسة أشعارهم التي تناولها.

- حفيز نادية: الانزياح في الشعر العربي المعاصر - أحمد عبد المعطي حجازي نموذجا- رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي، بإشراف الدكتور بوقربة الشيخ، جامعة وهران موسم.2008/2007

- منهج الدراسة :

- بناء على الإشكالية المقدمة، فقد تناولنا هذا الموضوع وفق النقد الموضوعاتي والذي سنتناول مفهومه، و كيفياته مع أبعاده من خلال ما يرد في المحتوى وفق الرؤى الحديثة وهذا لم يكن كافيا لتناول هذه الدراسة، مما دفعنا لاعتماد المناهج النقدية التي رأيناها مناسبة لحيثيات دراسة الموضوع ، والتي تمثلت في:

1- المنهج الموضوعاتي والذي من خلاله يمكننا رصد المدينة كتيمة .

2- المنهج المقارن من خلاله يتم التطرق إلى معالم الائتلاف والاختلاف، فيبناء صور التيمة المقدمة والبحث عن الاختلاف في هذه المعالم.

وجاءت هذه الدراسة وفق خطة شملت مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، حيث تناولنا في:

الفصل الأول:

كان محوره تطور المفهوم الثقافي للمدينة والذي مررنا فيه عبر مفهوم المدينة كتيمة، لنعرج بعدها على المفهوم الثقافي للمدينة قبل الحداثة وبعدها ،ثم تناولنا بعدها المدينة في الحداثة الغربية والعربية .

الفصل الثاني:

تمحور حول المظاهر المادية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي، والذي انطلقنا فيه من تقديم مفهوم مبسط لميكرو تيمات المدينة ، ثم انتقلنا إلى رصد الفضاءات العامة للمدينة في شعرهما والتي بانت في العديد من مظاهر المدينة من المقهى إلى الشارع فالميناء ثم المعارض والحدائق لنختمها بالسوق وما فيه من زحام وجامعي خرق ، أما الشطر الثالث فتناولنا فيه الفضاءات المقدسة من دور عبادة ومقابر، وقدسية هذه الفضاءات دفعتنا إلى تناول الفضاءات المدنسة والتي رأيناها في دور الدعارة والسجون .

الفصل الثالث:

جاء هذا الفصل تحت عنوان المظاهر المعنوية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي و أثر هذه المظاهر في عكس رؤية المدينة . وهذا من خلال تناول المظاهر الاجتماعية للمدينة في شعرهما فالمظاهر الأخلاقية ، فالسياسية لنصل إلى المظاهر الثقافية في شعرهما .

الفصل الرابع:

والموسوم بانعكاس السأم من تكاليف الحياة في المدينة، وتطرقنا فيه إلى تمرد الشاعرين على الأوضاع المدينية ،فكان تمردهما دينيا فسياسيا وأخلاقيا وفنيا ،رغم تباين مواقفهما تبعا الأثر التكاليف الحياتية للمدينة على الشاعرين، إضافة إلى التأثيرات المجتمعية بادية على كتاباتها الشعرية . كما تطرقنا كذلك إلى الاغتراب الذي بدا علىأنّ الشاعرين في مدينتهما فشهدنا الاغتراب الفكري و المكان و الزماني.

وخلاصة لهذه الفصول جاءت خاتمة حاولنا من خلالها الوقوف على أبرز معالم التشابه والاختلاف، وإبراز مواقف التأثير والتأثر بين الشاعرين، كما سعينا للإجابة عن التساؤلات التي طرحناها في مقدمة البحث.

صعوبات البحث:

لا يخلو أي عمل من الصعوبات والعراقيل التي تقف في مواجهة الباحث ولعل البارز منها:

– الصعوبة في الحصول على المادة المصدرية خاصة المراجع المتعلقة بالمدينة في شقها الغربي ،وهو ما صعب علينا البحث والتنقيب إضافة إلى اللغة الرمزية لشارل بودلير والترجمات العربية التي أخلت كثيرا بمعاني الألفاظ ودلالتها.

– التداخل الكبير بين صورة المدينة و تيمة المدينة ،وهو ما دفعنا في العديد من المرات إلى تناول صورة المدينة بغية الوصول إلى تيمتها.

– صعوبة فصل التمدن عن المدينة كمفهوم، و إعطائه معالمه الدقيقة خاصة وأن بيئة الشاعرين مختلفة بشكل واضح.

الفصل الأول:

تطور المفهوم الثقافي

للمدينة

(1) الفصل الأول تطور المفهوم الثقافي للمدينة

1- المدينة

1-1المدينة بين اللغة والاصطلاح

1-2- المدينة تيمة.

2- تطور المفهوم الثقافي للمدينة.

2-1- المدينة قبل الحداثة.

2-2- المدينة بعد الحداثة.

3- المدينة في الحداثة الغربية.

4- المدينة في الحداثة العربية.

(1)المدينة

1-1-المدينة بين اللغة والاصطلاح:

يقال في اللغة : مدن بالمكان، أقام به... ومنه المدينة، وهي فعيلة ،وتجمع على مدائن... والمدينة الحصن يبني في أصطمة الأرض، وكل أرض يبني بها حصن في أصطمتها فهي مدينة والنسبة إليها مديني"[1]. كما أشارت البحوث اللغوية أن كلمة مدينة ترجع إلى –دين – وهي مشتقة من كلمة " ودنته" وتعني ملكته فهو مدين مملوك، ويذكر أن جماعة من الناس ترى بأن كلمة مدينة ترجع في الأصل إلى كلمة دين ،لكونها تملك."[2]

وجاء في المحيط المحيط" "لبطرس البستاني" :" المدينة المصر الجامع، وقيل الحصن يبني في أصطمة الأرض، والمدينة أيضا الأمة ومدن المدينة تمدينا: مصرها و بناها، وتمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدينة، وانتقل من حالة الخشونة والبربرة والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة"[3]

ويقال فلان " تمدن": عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة، والمدينة هي الحضارة واتساع العمران."[4]هذا ويحمل لفظ التمدن مفاهيم عديدة تأخذ على معنى التقدم والعمران وتطور العلاقات الاجتماعية وغيرها من النظم الحياتية، كما يمكن أن يأخذ " التمدن بالمعنى اللغوي هو الانتقال من الحالة

[1]) ابن منظور: **لسان العرب** ،ج 3 تصحيح أمني محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق لعبيدي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ط3. ص 55

[2]) انظر. محمد عبد الستار عثمان: **المدينة الإسلامية**، عالم المعرفة. الكويت. 1988م، ص 17.
[3]) بطرس البستاني:**محيط المحيط** مج8، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص265.
[4]) المعجم الوجيز، **مجمع اللغة العربية** ،القاهرة. ص 576.

البدوية أو الريفية إلى الحالة المدنية، ويرافق ذلك تحول وتغير في الطبيعة الحياتية من خلال التأثر بروح المدينة وقيمها وثقافتها"[1].

كما أنه من المعلوم "ليس كل من سكن المدينة يعتبر إنسانا متحضرا، لكن المتحضر عادة يتخذ المدينة سكنا له[2] لأن (المدينة)، كما قلنا مظهرٌ من مظاهر الحضارة اليوم طبقا القاعدة (تسمية الشيء بلازمه)"[3]

وبالمقابل نجد كلمة "مدينة city تشتق من civitas، ويرادفها باليونانية polis... وفي اللاتينية والإغريقية كانت هاتان الكلمتان تحسمان فكرة دولة المدينةcity– stateالتي هي الدولة كوحدة صغيرة ، ولكن كلمة civitas أخذت بالتدريج معنى أوسع عموما فمنذ عام 1150م وهو التاريخ الذي نضجت فيه فكرة العصور الوسطى عن المدينة، أصبحت الكلمة تعني حلة صناعية وتجارية لها قانونها الخاص وحائطها المحصن، على أن المرادف الفرنسي cite ظل طوال العصور الوسطى ينصرف إلى مركز الأسقف diocese.[4]

هذا وقطع المجتمع الأوروبي أشواطا في التمدن والمدنية ضمن المدينة " فالأوروبيون يعنون بالتمدن الحديث: التهذيب الأدبي، وترقي العواطف الإنسانية بقطع النظر عن المسكن وحالته من الضعة أو الفخامة

[1]) كندة سمارة، **الصحافة والحداثة والتمدن الجديد**، مجلة تبيين للدراسات الفكرية والثقافية،ع 18 ،2016 م ،ص51.

[2]

[3])علي شريعتي،**تاريخ الحضارة** ،تر: حسين نصيري، دار الأمير،ط1 ،2006م، بيروت، ص 20.

[4]) جمال حمدان : **جغرافية المدن** . عالم الكتب . ط2 القاهرة. ص 82.

فالتمدن حسب عرفهم هو الإنسان المرتقي في إنسانيته من حيث عقله وآدابه وأخلاقه"[1]

أمّا اصطلاحا فإنه إذا كانت المدينة " تعبر عن قيم أخلاقية وأنماط سلوكية، ومفاهيم سياسية وتفصح عن وسائل وطرق اقتصادية وتظهر مستوى معيشي ومعرفي، مما يجعلها ظاهرة مركبة إن لم تكن معقدة، تختزن مكتسبات التجربة البشرية ،وتعبر عن مسيرة الإنسان نحو التطور والرقي" .[2]

فقد أخذت كظاهرة سوسيولوجية في العصر الحديث نطاقا تعريفيا أوسع أوجبته الرؤى الفكرية والمقاربات الإيديولوجية، وزوايا النظر إليها، فمنها ما دلت على الحيز الحضري الذي تشغله الساكنة، ومنها من وصفها وفق الحياة الاجتماعية ضمنها. وهو ما يصب في تعريف روبرت بارك. REBERT PARK):(1864-1944)، للمدينة على أنها مجموعة من الأفراد القادرين على التجانس والتمازج وبإمكانهم العيش ضمن تجمعات في بيئة محدودة، فالمدينة كذلك نقطة استقطاب وجذب للمصالح المتعلقة بحياة البشرية وتشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتجارية والثقافية، كما لم يغفل عن النشاط الترفيهي باعتبار أن المدينة قد تشهد امتداد رقعتها عبر سيرورتها في الزمن وهذا ما ينجر عنه ضغوط نفسية واجتماعية وسلوكية تجعل الترفيه أمرا مقدرا. كما توسع بارك في مفهومه للمدينة حيث أرجعها إلى بعدها الإنساني فهي نتاج تلك الطبيعة " فهي ليست تجمعات من الناس مما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا، مثل الشوارع والمباني والكهرباء وسائل المواصلات... كما أنها ليست مجموعة من النظم والإدارات... إنها ذات طبيعة إنسانية

[1])هنا كسباني كوراني،**التمدن الحديث وتأثيره في الشرق**، مؤسسة هنداوي للنشر،ط 1، 2016م،القاهرة، ص 09.

[2]) نصر الدين سعيدوني: **المدينة تفاعل اجتماعي واسهام حضاري**. مجلة عالم الفكر ، ع2، 2009م، ص 19.

على وجه الخصوص "[1]

كان مفهوم بارك مفهوما إيكولوجيا، متضمنا للأنماط الثقافية والاقتصادية وماتمليه حياة الانسان المتمدن ضمن هذا الفضاء الحضري.

كما أعطى **ماكس فايبر MAX FIBER**(**1864–1920**)-عالم الاجتماع الألماني - تعريفا قد يكون شاملا للمدينة حيث قال: "إن هناك عنصرا واحدا مشتركا من بين التعريفات العديدة للمدينة، وهو أنها تتكون من مجموعة من المساكن المتفرقة .... وعادة ما تبقى المنازل في المدن قريبة من بعضها البعض"[2]، كما عرفها على " أنها الشكل الاجتماعي الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية "[3] ، وهي بالتالي تعكس حالة اللاتجانس التي تميز المجتمعات الحضرية، المتسمة بالذاتية، و التي صنفها إلى كاملة وغير كاملة؛حيث اعتبر المجتمعات الحضرية الحالية لا ترقى إلى مجتمعات كاملة بما تفتقده من خصائص ومميزات. مركزا في تحليله على الدراسة المسحية للجذور التاريخية للمدينة، باعتبارها وحدات ونظماً، والمدينة نتيجة حتمية لتطور المجتمع بعيدا عن مدى قدمه أو حداثته ؛أي أنه نفى العامل التاريخي في سيرورة التطور، محملا ذلك للراوفد الثقافية التي انسكبت في حياة المجتمع الحضري.

كما أعطى **لويس ويرث LOUIS WIRTH**:(1897-1952) تعريفا للمدينة بأنها "موقع دائم

[1]) محمد عاطف غيث: **علم الاجتماع الحضري** ، دار المعرفة الجامعية . دط. الإسكندرية، 2006م. ص 132.

[2])ا لمرجع نفسه، ص 134.

[3]) محمد أحمد غنيم: **دراسة في أنثربولوجيا الحضرية** ، دار المعرفة للنشر، دط، ص 160.

يتميز بالكبر وبكثافة عالية نسبيا و بدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانها"[1]، فقد شكلت المدينة عند لويس كيانا اجتماعيا يضم أنساقا اجتماعية تضمن للفرد حياة مجتمعية بمختلف مظاهرها فهي "ليست مكانا يعمل فيه الإنسان الحديث أو يأوي إليه، إنها المكان الذي يضبط ويمسك بزمام المبادرة الاقتصادية والسياسية والثقافية "[2]، فالمدينة وحدة حضرية متحكمة في الأنشطة الإنسانية يتحدد مفهومها على مقدار تفاعلها العميق ساكنتها ،و **لويس** كانت مقاربته لمفهوم المدينة مبني على نظرته للمدينة الأمريكية.

هذا ويمكن تحديد تعريف للمدينة عبر عدة عناصر من أبرزها أنها قد يكون العامل الاقتصادي محددا كذلك في إعطاء تعريف للمدينة فهي "مكان إقامة يعيش السكان فيه أساسا على التبادل أكثر مما يعيشون على الزراعة ،ومع ذلك ليس صحيحا دائما أن نطلق على كل المحليات مصطلح المدن. إلا إذا كانت طبيعة الحياة تقوم على التبادل والتجارة، لأنّ بعض المستوطنات تتكون من عائلات تقوم أساسا على التجارة".[3]

أو قد تكون الكثافة السكانية محددا للمدينة "يقوم على الأساس العددي وحجم السكان وكثافتهم ،وهم يتخذون عددا معينا يصبح بعده التجمع السكني مدينة "[4]،وقد تكون المدينة حقيقة مادية مرئية في اللاندسكيب يمكن أن نحددها بإحساساتنا الخارجية، ويمكن أن نتعرف على المدينة بمظهر مبانيها وكتلتها

[1]) محمد حافظ ،**النمو الحضري في المجتمع الحضري ، مدخل نظري** دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، القاهرة، 1984م ،ص 13.

[2]) محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع الحضري**، ص 132.

[3]) المرجع نفسه ص 126.

[4]) محمد غنيم ، **المدينة دراسة في الانثربولوجيا الحضرية**، ص 153.

وطبيعة شوارعها ومؤسساتها ومصانعها كذلك "[1]

1 –2– المدينة تيمة

المدينة هي مكان بالنهاية. ولأن الوجود الأول والأساس للإنسان يتحقق من خلال البنى الرمزية (المعنى) والمادية (الجسد، كمكاني أول)، بما يفتح له بابا لتجاوز العالم المادي المحدود، وتحقيق ذاته في البعد الاجتماعي الأوسع للإنسانية، من خلال بنية لغوية تتوسط علاقة الذات والآخر (والعالم)، أو تربط بين الذات والجماعة، ينبني حينئذ الوجود السردي، والذي يستلزم مكانة ما للتحقق، ولو في الخيال. لإمكان إنشاء عالم، يحمل معنى رمزيا يعبر عن الذات ويتماهى معها، ومن هنا جاءت المدينة[2] ، ومنه يمكن اعتبار المدينة تيمة على اعتبار أنها هي الفكرة المحورية التي ينبني عليها العمل السردي، وقد تكون ضامرة عن قصدية من الكاتب أو الشاعر، وقد تكون جلية واضحة يريد عبرها السارد التعبير عمّا يراد من عمله الإبداعي، ضمن شذرات نصية يسعى فيها إلى بناء تصوري محدد.

فالتيمة " كلمة "Theme" كانت تعني في القرن 13 كل ما تعنيه كلمةSujet' (مادة أو فكرة أو محتوى أو قضية أو مسألة في العربية)، ثم تطورت في القرنين 16 و17 ميلادي لتدل على امتحان: مدرسي (composition scolaire) وترجمة (traduction) ،وبعدها دخلت علم التنجيم منذ القرن 17 ثم علوم الموسيقى، واللغة منذ القرن 19 ميلادي، حيث ظهرت الموضوعاتية (thematique) في القرن ذاته"[3]

[1]) انظر : جمال حمدان : **جغرافية المدن** . ص 09.

[2]) ينظر : عبد الله البياري عمارة، **عن المدينة بما هي لغة** مجلة بدايات العدد24/23سنة 2019.

[3]) يوسف وغليسي، "**إشكالية المصطلح في الخطاب العربي الجديد**، الدار العربية ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، ط1،

فالسعي إلى تدقيق القراءة في التيمات الأساسية الواعية واللاواعية للنصوص الإبداعية المتميزة هو ما تنبني عليه المقاربة الموضوعاتية من خلال "استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي، أو الدلالة المهيمنة ،أو البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي عبر النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية تمطيطا وتوسيعا أو اختصارا وتكثيفا، والبحث أيضا عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقا وانسجاما وتنظيما"[1]، ويمكن أن تظهر هنا حدية الأدب والفلسفة وتسخير الفلسفة في استطالة المعنى وإحكامه لإعطائه قدر الإمكان المفهوم وتضبط ماهيته، والذي برز في سرديات الحداثة وتعميم الموضوعاتية فيجمع ميادين المعرفة. وتيمة المدينة في النص الشعري تهدف إلى استجلاء عوالم المدينة وأنساقها الرمزية وعدوها الدلالي و" الموضوعاتية تكاد لا تختلف جوهريا من ثقافة إلى أخرى، ومن لغة إلى أخرى، وإن اختلفت من كاتب إلى آخر ،ومن عمل إلى آخر[2]، وأبعد من ذلك من فلسفة إلى أخرى.

2- تطور المفهوم الثقافي للمدينة :

كان انتقال الإنسان من الفردانية* إلى الجماعية نقلة تاريخية للتحضر الإنساني، والذي كانت المدينة مستقرا له، مستجيبا قبلها لعدة عوامل ومؤثرات أسهمت عبر التاريخ في بناء الحضارة الإنسانية عبر ربوع المعمورة ، كما أن "المدن انبثقت عن ظروف روحية ومادية واجتماعية وسياسية، كما تأثرت بمختلف التقاليد

الجزائر،2008م، ص 153.

[1])جميل حمداوي، **المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي**، ينظر :

http://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm

[2]) سعيد علوش، **النقد الموضوعاتي** ، منشورات شركة بابل ،ط1 ،1989 المغرب، ص 12 .

والقيم والأفكار المنظمة للعلاقات الاجتماعية"[1]، ورافق هذا تطور ثقافي شمل جوانب عدة منها المفهوم الثقافي للمدينة ،والذي جاء جراء بروز ظاهرة التمدن التي كما سبق وأن أشرنا أنها تعد من أبرز الظواهر التي شُغل بها الفكر، ومن خلال هذا المنظور تناولنا المدينة عبر مرحلتين هما :

2-1- المدينة قبل الحداثة:

عرف الإنسان التجمع والعيش ضمن جماعات منذ فجر التاريخ، فقد لجأ الإنسان البدائي للاحتماء من أهوال الطبيعة وقسوتها ،ومن حيواناتها الضارية المفترسة إلى الكهوف التي عاش فيها أمدا من الدهر على شكل جماعات مستقلة. شكلت مرحلة مهمة في بدايات حياته الأولى، حين كان اعتماده على الصيد والقنص مصدر عيشه الوحيد. وبعد انتقال الإنسان إلى مرحلة الزراعة حيث ضمت هذه الأخيرة الاستقرار الاجتماعي بعيدا عن عناء التنقل للصيد بين المناطق البعيدة، ازداد عدد السكان مع توسع الزراعة وضمن الحياة المستقرة نمت روح التعاون في إطار الحياة الجديدة ،وتشكلت مجموعات طلائعية في أكواخ، مشكلة بذاتها بعد ذلك قرية وبعد أن عرف الإنسان أدوات الحرث والسقي واستئناسه بالحيوانات الأليفة ضمن المناطق الخصبة لسهولة زراعتها، مما أدى إلى ظهور ما يعرف " بالمدن القديمة التي أنشأت في السهول الفيضية سواء في العراق أو مصر أو الهند أو الصين، كانت ترتبط في قيامها بالزراعة والفائض منها "[2].

في هذه المرحلة والتي كانت أمرا محتوما وطبيعيا؛ تكونت المدينة، جراء تكاثر أعداد : القرى وزيادة

[1]) حسين رشوان ، **المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري**، ص 55.

*

[2])أحمد علي اسماعيل ، **دراسة في جغرافية المدن** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط4، دت القاهرة ، ص 52.

أعداد منازلها التي كونت نسيجا غير متجانس مصنوع من الطين والحجارة. لقد أمست المدن فضاءات للارتقاء الإنساني المتحضر المنتقل من القرية عبر تحولات تاريخية عديدة عرفتها مسارات الانتقال، وبذلك يمكن القول إنّه تكون مجتمع أوسع آفاقا، ضمن زمان ومكان هذه المرحلة، فكانت المدينة أمام فرصة بسط السيطرة، فعرفت كيف تطور أنظمتها الحياتية الحيوية ،وأعطت للفرد حرية أوسع نوعا ما، فلم يعد دوره مقصورا على جلب الطعام بل فرضت عليه سلوكات وأنظمة يتحلى بها ضمن مجتمع متجانس. وبذلك أضحت المدينة لبنة الحضارة الأولى مشكلة لحظة مفصلية في استقرارية الإنسان، عبّر من خلالها عن تحضره وتطوره متجاوزا مرحلة الطبيعة، وتشكلت ضمنها طبقات وكتلٌ إنسانية تؤدي دورها المنوط بها ضمن حياة المدينة.

فالبشرية أنشأت أول المدن والحضارات في الألفية الرابعة قبل الميلاد، ومنطقة الشرق الأوسط شهدت تشييد أول مدن متحضرة على أراضيها نظرا لتنامي الاجتماعي السريع، و الملحوظ فيها والذي تزامن مع تطور الحرف والفنون الصناعية وظهور مهارات جديدة."[1] وهو ما أجمع عليه الحفريون وعلماء الآثار والمختصون بالحضارات البشرية ،والذين رأوا أن بكرة المدن التي عرفتها الإنسانية، تقع في منطقة المشرق العربي فكانت "مدن الحضارة السومرية والتي عرفت اربدوا- أورو - الوركاء، في السهل الجنوبي من الفرات نحو 3200ق.م وكذا الحضارة الفرعونية في مصر، نحو 1500 ق.م مثل مدينة **"منفس"**، وتل "العمارنة" و**"كاهون"**. وقبلها في مدن حضارة وادي السند مثل مدينة **"موهتيجودرا"** و **"هاراب"**، ثم باقي الحضارات

[1]) مريم صانع بور : **مثيولوجيا الحداثة، الأصل الإغريقي لأسطورة الغرب** تر: أسعد مندي الكعبي .ط، 1. العراق .2018 م .ص 27

المتلاحقة في أصقاع مختلفة من أرجاء المعمورة. "[1]. وهذا وقد عرف إنسان الحضارة السومرية المعابد والمسارح وغيرها من الماديات ،لتكون " الحضارة السومرية هي أول ما عرف من التاريخ من حضارة واسعة شاملة، فذة وهي أعظمها إبداء وإنشاء.

هذا وقد تختلف عوامل نشأة المدن من منطقة إلى أخرى ،لأنّ الإنسان هو العامل الرئيس في إنشائها وقيامها وهو جوهر الحضارة " يعيش تحت رحمة الجغرافية الطبيعية، فقد كتبعليه أن ينقسم بواسطة الجبال والأنهار والبحار إلى جماعات تتطور في شبه عزلة، مختلفة لغاتها وشرائعها"[2]. اكتسب الإنسان على مر الأزمنة والعصور حسا مدنيا بعد أن عرف المدينةكمكان للعيش حيث بادلها المعاملة الإنسانية، و أصبحت مركز اهتمامه وتفكيره فهي في الأخير التي تأويه وتضمه بين جنباتها، بعد أن أكسبته البعد الإنساني .

وقد شغلت المدينة كفضاء حضاري، مخيال الفلاسفة عبر امتداد التاريخ، حيث شكلت محورا رئيسًا للفلسفة باعتبارها الفضاء الخصب لترسيخ البعد الإنساني، فتصور الفلاسفة مدنا يغمرها السلام. ويسود الأمان بين أفرادها، مدنا تكون رمزا للكمال، تحمل هذه المدن كل معاني السمو والرفعة والحرية، تتلون بتلون خلفياتهم العقائدية والثقافية، ولا تتحقق إلا المجتمع فاضل. ولأن المدينة كانت مهد الفلسفة اليونانية باعتبارها منبع الفكر الإنساني، فإن فلاسفتها " اجتهدوا في تصور المدن الفاضلة التي تستطيع أن تنتشل الإنسان مما يعانيه من ظلم وتخلف واستعباد ،لترتفع به إلى قمة الحرية والازدهار "[3]. إذن فقد أعملت المدينة

[1]) محمد العاني : **أصالة المدينة كوحدة جغرافية تخطيطية**. ط 1. 2010 . ص 06.

[2]) المرجع نفسه. ص 253.

[3])احمد المنياوي : **جمهورية أفلاطون المدينة الفاضلة كما تصورها فيلسوف الفلاسفة** . دار الكتاب. 2010 . ص09 .

الفكر الفلسفي، بوصفها حاضنة مركز السلطة وصناعة القرار، وإقامة الحكام والملوك وما ينتجه هؤلاء من ظلم اجتماعي للطبقات المرؤوسة، فجاء مفهوم المدينة الفاضلة ردا على هذا التصور، فانبرى الفلاسفة يرسون معالم مجتمعية يتحلى بها الرؤساء والمرؤوسون في مجتمع متميز يسوده العدل والمساواة. ورغم أن " المدينة عند هوميروس هبة الآلهة للإنسان وبالتالي يرتبط مفهومها بالعناية الإلهية والبعد الميتافيزيقي والأسطوري ،إذ تصبح المدينة الأرضية مجرد نسخة لما هو أصلفي مجتمع الآلهة، إذ أن الإنسان من خلال تشييده لمدن يعكس محاولة محاكاة مجتمع الآلهة السعداء"[1]

ولأن الحضارات القديمة تتعاقب وتزدهر، وتبقى المدينة هي جوهرها " فالمدينة ليست مكانا ماديا ساكنا في المكان، بل هي كيان كلي ذو طابع ذاتي متشظ، دائب الحركة والصيرورة في الزمان"[2] وهذا ما يجرنا إلى الحديث عن الحضارة الإغريقية، وما وصلت إليه المدينة من تطور هائل رغم صعوبة التضاريس التي ميزت المنطقة ورغم ذلك تشكلت المدن رغم تباعدها والتي كانت مسرحا للغزو والحروب فقد " كان اليونان قبل استقرارهم وتحضرهم بدوا رحلا، غزوا العالم الإيجي الذي كان منفتحا على العالم الشرقي بحضارته المزدهرة "[3]

كان الدافع الرئيس غالبا في اختيار موقع المدينة اليونانية يخضع إلى الجانب الدفاعي، لأن المدن كما سبق الذكر كانت بينها غزوات مستمرة متبادلة وأحيانا تتعرض لهجمات خارجية ،هذا ما جعل المدن تنشأ على تلال تحيط بها أسوار عالية " لأننا نجد لكل مدينة (**أكروبوليس Acropolis**) أي ربوة مرتفعة هو

[1])عبد القادر عرفة :**المدينة والسياسة**: دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد ط1 2002 مركز)1 الكتاب للنشر،ص 101.

[2])محمد الصديق جوهر: **رحلة القوافي في متاهات المدينة (مقاربات في الشعر الأمريكي المعاصر)** . دار صفصافة . ط. 20161. مر14.

[3])على عكاشة.شهادة ناطور . جميل بيضون. **اليونان والرومان** دار الأمل للنشر ، ط1 . الأردن .1991 . ص 33.

قلب المدينة الإغريقية القديمة ."[1] هذا وقد عرفت الحضارة اليونانية مدنا كبرى كأثينا و **"إسبرطة"** و**"كورنثيا"** تفاوتت المساحة من مدينة إلى أخرى، هذا و قد " عرفت المدن اليونانية النظام الملكي كأول نظام عرفته المدينة اليونانية بعد أن تبلور المجتمع اليوناني في هيئة مدن"[2]. هذا النظام أعاق حركة التطور والازدهار، ومع تنامي قوة الأرستقراطيين كنظام مناهض للملكية، كانت دافعيتهم ازدهار الحركة الصناعية والتجارية وتحكمهم في الشؤون السياسية، اعتمدوا نظاما سياسيا هو دويلة المدينة فأصبحت كل مدينة جمهورية مستقلة سياسيا واجتماعيا. وتغيرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية و" نتيجة إلى هذا التحول أصبحت المدينة الإغريقية وبخاصة أثينا لمدة قرن أو قرنين من الزمن، رمزا لكل ما كان إنسانيا في الحقيقة "[3]

ولأن المدينة اليونانية عموما منحت الاستقلالية الفردية والحرية لمواطنيها ما انعكس ذلك على الحياة الثقافية والفكرية، " فلم تكن "أثينا" لوحدها إشعاعا إنسانيا فقد أسهم تعاونها مع **"أولمبيا"** و**"دلفي"** و**"كوس"**، قد أفضى في تطور الإغريق في النواحي الدينية والسياسية والأدبية والرياضية، فأولى هذه المدن كانت مقر الألعاب الأولمبية، وكانت الثانية تضم المعبد الرئيس لـ**"أبولو"** ومهبط وحيه المقدس والثالثة كانت من أكبر مراكز الانتجاع الصحي والاستشفاء "[4] وأمام هذا الانبعاث الحضاري والفكري المتميز انعكس ذلك على العمران حيث" اعتمدت المدن الإغريقية في تخطيطها، شكل رقعة الشطرنج حيث تكون الشوارع

[1])أحمد علي ناصري: **الاغريق تاريخهم وحضارتهم . من حضارة كريت الى قيام امبراطورية الاسكندر الأكبر**. دار النهضة العربية . 2. القاهرة . دت . ص 101.

[2]) حسين الشيخ: **اليونان** . مكتبة الأدب . دار المعرفة الجامعية .ط1. القاهرة. 1992م.ص 28.

[3])لويس ممفورد: **المدينة على مر العصور** . إشراف ابراهيم فتحي. مكتبة الأنجلو سكسونية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين .ط1. 1964. ص 241

[4])المرجع السابق ، ص 242.

مستقيمة، متعامدة ومتوازية "[1] وأخذت المباني العامة تأخذ أشكالا هندسية متعددة. كالمسارح والمعابد وغيرها.

و تصور فيلسوف الفلاسفة أفلاطون المدينة الفاضلة، مبنية على الاستقرار كهدف أساسي بين أفرادها. يهدف من خلاله إلى حماية مدينته الفاضلة من الهجمات الخارجية، ومن الحروب الأهلية داخلها، التي تكون دواعيها الفتن والمكائد. وجاءت مدينته ردا على" الاستغلال والنزعة الفردية المتطرفة التي تميزت بها الحياة اليونانية. .. وضع تصوره عن دولة قوية ومتجانسة وقائمة على مبادئ السلطة "[2]، وهَدَفَ أفلاطون من خلال كتابة " **الجمهورية**" إلى " تكوين شعب سعيد ينعم بالحرية والرفاه... وأفلاطون كان يهدف إلى تربية ملك فيلسوف، لأن المجتمعات تسعد إذا حكم الملك الفيلسوف"[3]. جعل أفلاطون أهمية كبرى للحاكم بصفته سيد القرار في مدينة مجتمعها مكون من طبقات نخبوية لكل منها دورٌ منوط بها، وفق قوانين متعارف عليها ليعيش أفرادها في سكينة و استقرار. حيث جعل:

- طبقة الحكام أو الرؤساء يتميزون بالحكمة.
- طبقة المساعدين أو الجنود ومهمتهم الحماية والدفاع عن المدينة .
- طبقة المنتجين أو المزارعين ونظم عمال الأنشطة الاقتصادية. "[4]

[1])غلاب محمد السيد والجوهري يسري .**جغرافية الحضر ومناهج البحث فيه** . منشأة المعارف . القاهرة. 1977. ص 189.

[2])ماريا لويزا بريندي: **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**. تر:عطيات أبو السعود. مراجعة عبد الغفار مكاوي .ص 28.

[3])أحمد المنياوي. **جمهورية أفلاطون المدينة الفاضلة كما تصورها فيلسوف الفلاسفة** . دار الكتاب .ط1. 2010ص 10.

[4])انظر المرجع نفسه، ص10

وجعل أهمية لكل طبقة إلا أنه "إلى جانب الشعراء والفنانين، أبعد العبيد من مدينته الفاضلة لكونه رأى فيهم أدوات ناطقة من أدوات الإنتاج"" و من المعلوم أن المدينة في العرف اليوناني هي مدينة اليونانيين فقط لأنها ترفض الآخر وتعتبره بربريا وهمجيا وأنالطبيعة وهبته لهم كعبد بوصفهم مركز العالم وسادته"[1]

أما المدينة الرومانية فقد امتازت بميزات مختلفة عن نظيرتها اليونانية، تجلت في النمط العمراني الذي عكس نظام الحكم القيصري، كما أولت أهمية للبعد الديني، ولم تختلف كثيرا المدينة الرومانية عن سليلتها اليونانية " مع بعض المميزات التي طبعتها باعتبار النزعة العسكرية التي ميزت الإمبراطورية الرومانية، فبنت روما صرح حضارة رومانية في أصلها يونانية في تطبيقها ونتائجها [2]، أخذت المدينة الرومانية في بنائها تأخذ الشكل المستطيل فهي " تبني لطقوس معينة، الشوارع الرئيسة تمتد شمالا وجنوبا، شرقا وغربا وتتقاطع عموديا، عند الساحة الرئيسة المسماة ب(الفورام forum)[3] ، وهذا النمط العمراني لم يكن يقتصر على مدينة واحدة، بل امتد إلى كل مدن الإمبراطورية في طراز معماري فريد كمدينة **"تيمقاد"** بالجزائر"؛ حيث كانت " منشآت مماثلة لها تقام مرارا وتكرارا من أقصى الإمبراطورية إلى أقصى الطرف الأخر"[4] ،هذا وقد امتازت المدينة الرومانية بمرافق حيوية، عكست تميز هذا الفضاء الإنساني، فقد " زخرت بالمدرجات والمسارح والمعابد والأروقة وأقواس النصر والحمامات وقنوات المياه"[5].

---

[1]) عبد القادر عرفة :**المدينة والسياسة**: دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد ط1 2002 مركز الكتاب للنشرص 105.

[2]) ول ديورانت ، **قصة الحضارة** . ص416.

[3])فواز مصطفى .**مبادئ تنظيم المدن**. معهد الإنماء العربي. بيروت. 1980م. ص 26

[4]) لويس ممفورد ، **المدينة على مر العصور** . ص 375.

[5])ادوارد صيبون :. **اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها** ، تر: محمد علي أبودرة . ج1. الهيئة المصرية للكتاب . ط2، ص 71

ورغم الصورة اللامعة والفريدة التي امتازت بها المدينة الرومانية والتي تكونت من نسيج اجتماعي متمايز إلا أنها همشت سكان الأرياف " فعالم الريف الذي مابين 70 إلى 80 من السكان كان يعتبر فظا بربريا جاهلا ولا متوقعا، أما حياة المدينة فكانت إطار الحياة المتمدنةوالتربية وحلاوة العيش"[1]. اعتمد الرومان في نظام الحكم نظام حكم المدينة الحرة ومنح الاستقلال السياسي لمختلف المدن.

وإذا كانت المدينة هي أحد أبرز مظاهر قوة الإمبراطورية، فإنها كانت سببا كذلك في زوالها وتلاشيها، نظير" الاعتماد على المدن والتوسع في منحها استقلالا ذاتيا"[2].

وبالوصول إلى العصور الوسطى فقد شهدت هذه فترة والتي يؤرخ لها بالفترة مابين القرنين الحادي عشر والرابع عشر، والتي كانت فترة للحروب الأهلية بين مدن والملوك. كانت أوربا مسرحا لها. انكماشا واختفاء للمدينة بصورة عامة، بسبب الحروب وسيطرة الإقطاعيين الجشعين، والتي تحولت المدينة عندهم إلى رمز للعبودية والاستغلال، حيث كانت المدينة في ظل النظام الإقطاعي وتنامي المسيحية" مجموعة من الأحياء كل منها مؤشر على النحو، ففي وسط المدينة عادة ما يوجد الحصن الرئيس بينما ترتكز الأسوار الدفاعية خارج المدينة لحمايتها "[3].

وظهرت مدينة الإقطاعي الدالة على الملكية الفردية كالقلاع والحصون ؛حيث "يحيط بالقصر أو القلعة خندق عريض يملأ بالماء إذا لزم الأمر ويقام جسر متحرك لربط القلعة أو القصر بالناصية الأخرى ،وكان هذا

[1])باتريك لورو: **الأإمبراطورية الرومانية** تر:جورج كنورة . دار الكتاب، ط1، 2008 . ص 72

[2])سعيد عبد الفتاح عاشور .**تاريخ أوربا في العصور الوسطى** دار النهضة العربية . بيروت . دت. .ص 29

[3])موريس بيشون: **تاريخ اوربا في العصور الوسطى**. تر:. علي سيد علي. المجلس الأعلى للثقافة ، 2004. القاهرة . ص 221.

المسكن يحاط بسور تقع داخله الإسطبلات والمخابز ومساكن الخدم وكنيسة صغيرة وغير ذلك من لوازم الحيلة "[1]، لكن ذلك لم يدم طويلا حتى انفلت الأمر من بين أيديهم، بعد تحرر الفلاحين وظهور الصناعة وازدهار عجلة الحرف، فعرفت المدينة تغيرا هائلا على النمط العمراني والنسيج الاجتماعي، نتيجة تلاحم الطبقات المجتمعية ؛حيث ظهرت المنازل ذات الطابق والطابقين وسُور أفنية المنازل والحدائق ،وظهرت المنازل المتلاصقة ذات الشارع الوحيد الطويل، تحوي الإسطبلات والمخازن لمختلف المواد، استمرت على هذا النحو إلى غاية القرن السادس عشر .

وظهر اهتمام القديس أوغسطين بالمدينة الفاضلة في العصور الوسطى. حين طرأ على المدينة اتخاذ الأديرة كدور للعبادة في ظل سطوة المسيحية ضمت هذه الأديرة أشخاصا تجردوا من الذاتية، وأبدوا التضحية في سبيل عقيدتهم. بعيدا عن حياة المدينة ومغرياتها. في" الله قد اختار الكنيسة لتكون رمزا على الأرض "[2] وفي كتابه " **مدينة الله**" ربط **أوغسطين** مدينته الفاضلة بالإيمان؛ حيث قال:" إنّ المدينة الأرضية تقوم على حب الذات ،بينما المدينة السماوية تقوم على حب الله" فالمدينة الدنيوية المنظمة على من أجل السلطة والثروة، والراحة والمتعة تبعد بعد المشرقين عن المدينة السماوية "[3]. ورمزت المدينة الأرضية إلى البؤس نظير النهم الذي يبديه أفرادها في طلب الخيرات والملذات متناسين ما عند الله من الخيرات. كما أن أوغسطين

[1])محمد سعيد عمران : **حضارة أوربا في العصور الوسطى**. بيروت. 1998 ص 72.

[2])حنفي عوض .**سكان المدينة بين الزمان والمكان**. جامعة الزقازيق. المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع. ط 3. القاهرة. 1997م. ص 56

[3])هنري تشاوديك: **أوغيستينوس. مقدمة قصيرة جدا** . تر : أحمد محمد الروبي – مؤسسة الهنداوي، ط1. 2016م ، ص 103

ساوي بين المدينتين في " العدل والسلام"[1]، والمقصدية من المدينة الفاضلة عند أوغسطين هي في مدى تحقيقها للسعادة البشرية.

كما كانت المدينة عنده مشابهة في البعد الديني مع نظيراتها من المدن الفاضلة اليونانية. فمدينة الفلاسفة تمتلك أفاقا إنسانية ومجتمعية مميزة، فقد رسموها على أسس موضوعية متجاوزة أسس واقعهم ومعالم حاضرهم.

وفي النظام الإسلامي، شكلت الهجرة النبوية عصرا جديدا بما يؤرخ الميلاد المدينة الإسلامية، فكان مبعثها من يثرب بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والتي حولتها إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح"[2]، وبما أن الإسلام دعوة حضارية شاملة الأركان والنظم الحياتية، فقد بادر عليه الصلاة والسلام إلى دفع منظومة التمدن من خلال إقامة المساجد باعتبارها المبعث الروحي والثقافي للمجتمع ، سعى من خلاله عليه الصلاة والسلام إلى صهر العصبية القبلية، وجعله نظاما مجتمعيا واحد.

كما كان بجوار المسجد يتواجد بيت الحاكم و الإمارة اللذان شكلا نواة ومركز المدينة الإسلامية، إضافة إلى السوق لأثره البالغ في الحياة الاقتصادية .

تَشَكَّل هذا النموذج في كل المدن سواء المفتوحة أو المنشئة، " فتحول البدو إلى سكان مدن مستقرة في مناطق حضرية تمارس نشاطات اقتصادية حضرية متعددة ودون المرور مراحل انتقالية طويلة "[3]لتواصل

---

[1]) المرجع نفسه ص ن

[2]) أنظر : محمد عبد الستار عثمان. **المدينة الإسلامية** . عالم المعرفة. 1998م . ص 45

[3]) فالح حسين: **بحث في نشأة الدولة الإسلامية**. مركز دراسات الوحدة العربية . ط1 . بيروت .2010. ص 109

المدينة الإسلامية تشكلها وذلك بعد الفتوحات التي كان امتدادها شرقا وغربا ظهرت عديد المدن كان المشكلة نتيجة لعدة عوامل أبرزها العامل العسكري فأنشأ المسلون الكثير من المدن العسكرية أثناء الفتح،والتي كانت نواتها قلاعا وحصونا صارت مدناً هامة جدا مثل **"الرباط"** في **"المغرب"** و**"المنستير"** في "تونس"[1] .كما نجد كذلك العامل الإداري سببا في إنشاء مدن كثير إسلامية أبرزها "إنشاء مدينة "واسط" من قبل "الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي الأيوبي"[2].

إضافة إلى العاملين السابقين فالعامل الديني أبرز عدّة مدن بحيث؛ " أوجدت المراقد المقدسة المدافن الأئمة والعلماء نواة لمدن دينية كبرى مهمة ، كـ **"كربلاء"** و**"النجف الأشرف"** و**"الكاظمية"** و**"سامراء** "و **"مشهد"** وغيرها[3]، وأخيرا العامل السياسي ؛حيث كان نتيجة لتصاعد القوة السياسية، أنشأ الحكام مدنا تعبيرا عن السلطة السياسية ،وذلك بتأسيس عاصمة جديدة خاصة بهم فنجد " بغداد أسسها العباسيون في القرن 2هـ، مراكش أسسها المرابطون في القرن 5**هـ**،والمنصورة التي أسسها المرينيون في القرن 18هـ" .[4]

هذا وقد ظهرت المدينة الإسلامية على امتداد عصورها كما سبق الذكر بملامحها المتميزة إلاّ أنّها عرفت أشكالا تخطيطية ك **"بغداد المدورة"** و**"القاهرة المربعة"**، تحوي أحياء ترتبط فيما بينها بطرق ضيقة، لتعرف المدينة أوجها في العصر الأموي والعباسي، لكن مع سقوط "بغداد" وما شهدته المدينة من دمار، فإذا

[1])صالح بن علي الهذلول.. **المدينة العربية الإسلامية**. أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية. السعودية .1994م. ص 19

[2])مصطفى عباس موسوي. **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن التاريخية والإسلامية** – منشورات وزارة الإعلام والثقافة . دار الرشيد . العراق .1982 .ص56

[3])المرجع نفسه ص 159

[4])انظر : صالح بن علي الهذلول .**أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية** . السعودية .1994. ص 19.

كان " **جنكيز**" في أول القرن السابع و"**هولاكو**" في منتصفه و"**تيمور**" أواخر القرن الثامن وأول التاسع، إلى غيرهم من أمراء المغول الأشرار، كانوا إذا سلم إقليم من عبث الأول جاء الثاني فأنتم ما أغفل عن الأول وإذا فرضا نجا صقع من الثاني فالثالث يأتي عليه لا محالة، وعلى الجملة فإن المغول من الشرق والبربر من الغرب قضوا على المدينة الإسلامية"[1]، لتعاني المدينة عموما من ركود حضاري خاصة بعد دخولها نفق الاستعمار فمن الحروب العثمانية إلى " السيطرة الغربية التي قسمت الدول العربية إلى مناطق نفوذ لها تأثرت كل من سوريا ولبنان والجزائر ومراكش بالحضارة الفرنسية وارتبطت العراق ومصر والأردن وفلسطين وليبيا و السودان بالنظم البريطانية وهكذا انقطع مجرى الحضارة الإسلامية فترة من الزمن تربو عن 500عام ".[2]فقدت خلالها المدينة هويتها وقيمتها الحضارية والعمرانية،و قبلها سعى أبو نصر الفارابي (258م – 339هـ): في كتابه " **أراء أهل المدن الفاضلة**" إرساءالأسس المتينة التي وجب أن يقوم عليها المجتمع الفاضل في المدينة الفاضلة ؛حيث قال " إن المدينة التي يقصد بها الاجتماع، فيها التعاون على الأشياء التي تنال بما السعادة في الحقيقة، والاجتماع الذي يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال من سعادة هي الأمة الفاضلة ...[3]

قسم الفارابي أفراد مدينته الفاضلة إلى طبقات اجتماعية ذات الشكل الهرمي، بحيث يكون الرئيس أو الحاكم في الريادة مراعيا مايتحلى به من صفات، بحيث وجب أن تكون فيه " الفضائل العظيمة والطباع

[1])محمد علي الكرد . **الإسلام والحضارة العربية**. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة . ص 287.

[2])عبد الباقي ابراهيم. **التراث الحضاري في المدينة المعاصرة** . مطبعة حكومة . ط 1. الكويت 1968م . ص 34

[3]) فاروق سعد. **مع الفارابي والمدن الفاضلة** . دار الشروق. ط1 . القاهرة .1982. ص 59

الفائقة بما في ذلك أنه ينظر إليه نظرة العضو الرئيس في البدن وهو القلب "[1]، كما يفسر الترتيب الهرمي بين " أعضاء البنيان الاجتماعي هو اختلاف قدرات الأفراد الطبيعية وبالتالي اختلاف صلاحيتهم للقيام بالأعباء التي تفرضها ضرورة العيش في جماعة "[2]، هذا وجعل تصنيفات ثلاث للمجتمعات الإنسانية ؛حيث صنفها إلى كبرى ووسطى وصغرى، والسعادة تحصل للمجتمعات الكبرى ،بينما تكون ناقصة في المجتمعات الأخرى، التي تجهل سبل السعادة، كما جعل الفارابي مدن مضادة لمدينته الفاضلة " المدينة الفاضلة تضاد بالمدينة الجاهلة، والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ويضادها من أفراد الناس نوائب المدن"[3]. هذا ويبقى التصنيف الذي أتى به الفارابي تصنيفا اصطلاحيا.

كان الفارابي أوسع نظرة في تصور المدنية الفاضلة من اليونانيين الذين لم يتخلصوا من النزعة السياسية في رسم مدنهم الفاضلة، وتم التركيز على البناء الاجتماعي دون الإشارة إلى مظاهر التمدن التي نجمت عن هذه الحركة التطورية في المجتمع.

أمّا ابن خلدون (1332-1406م) فقد تناول المدينة من منظور عقلي بوصفها بناءً حضاريا (التمدن)، عرفه الإنسان الذي منشؤه البداوة والقبيلة، المبني على العصبية فهي تجمعات إنسانية اقتضت الظروف الاجتماعية والاقتصادية أن تتكون من أخلاط بشرية، لأنه حسب منظوره " البدو تنقصهم الخبرة في ميدان تنظيم المدن فحسب، بل كذلك لأنهم مازالوا يجهلون التقنيات الخاصة بالبنايات المتينة وبالتالي

[1]) محمد أحمد صقر. **نظرة الدولة عند الفارابي**. مكتبة الجلاء.ط1 . المنصورة ,القاهرة .1989م. ص 75.

[2])المرجع السابق. ن ص.

[3])علي عبد الوهاب وافي :**المدينة الفاضلة للفارابي**. فضة مصر للطباعة . دط. القاهرة . دت . ص 78.

المستديمة وليس هناك سوى سببان يدفعانهم إلى تأسيس مدينة ما... الغذاء للماشية والموقع "[1]، والدافع من التعايش المديني هو الاجتماع الإنساني، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون الذي نفي التطور الحضاري عن القبائل التي دوام عيشها في البدو " القبائل التي تعيش في البادية والتي لا تكاد تربطها بالمدينة أي علاقة من العلاقات هي قبائل محرومة من التطور . "[2]

هذا ما يجرنا إلى ربط الاجتماع كظاهرة إنسانية بالتطور الحضاري والاجتماعي، حيث يقول " اعلم أن المدن قرار تتخذه الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار.[3]هذا وقد أسبغ ابن خلدون صفات الفضيلة ومكارم الأخلاق عن البدوي بينما كان نصيب الحضري وجعله سببا مباشرا في فساد المدينة وخرابها " أما فساد أهلها في ذاتهم واحد على الخصوص، فمن الكد والتعب في حاجات العوائد، والتلوين بألوان الشر في تحصيلها... فيكثر منهم الفسق والشر و السفسفة والتحايل على تحصيل المعاش...وتجد لهم جرأة على الكذب والمقامرة والغش والسرقة والفجور في الإيمان والربا في المبايعات... فإذا فسدت أحوال الناس واختل نظام المدينة خربت "[4]، فالتمدن حسبه وجه الحضارة المادي والثقافة بمظاهرها جوهره، و تقاس نسب التمدن بما تملكه المجتمعات من منجزات معرفية وأنماط سلوكية .

---

[1]) عبد الغاني مغربي :**الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون** تر: محمد شريف بن دالي . دط. الجزائر . 1988 م. ص172.

[2])المرجع نفسه . ص 171

[3]) ابن خلدون . **المقدمة**. دار الفكر للطباعة والنشر . دط. بيروت. دت. ص 326

[4])المرجع السابق. ص 354

وبالتوجه إلى أوروبا فقد كان عصر النهضة عصرا فريدا في المشهد الأوربي، من خلاله عرفت نقلة نوعية على مستويات عدة خاصة في شق التمدن، فمن خلاله تم التخلص من أعباء التبعية للكنسية والتخلص من النظام الإقطاعي اللذين جثما على أنفاس الحضارة الأوروبية قرونا عديدة، فلم تكن النهضة قطيعة مع الماضي ولكن كانت امتدادا بنظرة فكرية أعمق شهدت من خلاله المدينة في البداية تغيرات طفيفة، أسهمت فيها الحركة التجارية والاقتصادية المناهضة للإقطاعية ومع الاكتشافات الجغرافية والبحرية وانتعاش الاقتصاد أخذت المدينة تخطيطا يواكب هذا التطور فكان" أولى بوادر الانبعاث الحضاري في ايطاليا"[1] , فظهرت الشوارع الواسعة لتسهيل حركة نقل البضائع ودبت الحياة في قطاعات أخرى وظهرت المدن التجارية حيث كانت " مدن إيطالية عديدة مثل البندقية وجنوة و بيزا وفلورانسا ."[2]

وتميز عصر النهضة بالزخرفة، فقد أعطيت أهمية كبرى لواجهات البناء ،وكان ذلك مظهرا من مظاهر الترف، ومن معالم تخطيط المدن في ذلك العصر ظهور التخطيط الشعاعي الدائري، كما ظهر نظام "الباروك" الذي يفضل إحاطة الأبنية والطرق بالحدائق"[3]، ليعرف التمدن في تلك الفترة مستويات فكرية وفنية هائلة حققت خلالها أوربا وثبة حضارية جعلتها محط أنظار العالم.

و بعكس التمدن الأوروبي في ذلك العصر على الحياة الفلسفية و الأدبية فلابدّ من ذكر الفيلسوف

[1])أحمد اسماعيل علي. **دراسة في جغرافية المدن**. ص 28

[2])عبد المجيد نعنعي :.**أوروربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة**. (1453-1848). دار النهضة العربية . ط1. . بيروت 1983م. ص 28.

[3]) السيد الحسيني ،مرجع سابق ،ص 26

النهضوي وأحد أعمدة الحركة الإنسانية الإنجليزي **توماسمور Sir Thomas More** (1478م-1535م) الذي رسم المدينة الفاضلة على أنها عالمٌ إنسانيٌ خيالي عبر مغامرات البرتغالي الذي اكتشف جزيرته المتخيلة، فصور مدينة فاضلة يسودها العدل والمساواة والتمايز الفكري والتمازج العرقي، يكون رئيسها منتخبا ،وملكيتها للجميع، إقتصادها زراعي لحد الاكتفاء الذاتي. ودينها حر متسامح تعادي كل أشكال العنف والتطرف.

و يوتوبيا **توماس مور** لم تكن إلا ردا على " الفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فهي كانت بمثابة رد وعي حقيقي بالمشكلات الاجتماعية التي تتطلب حلا "[1] وكانت يوتوبيا توماس خالية من الشرور ومتعاون أهلها فيما بينهم. حيث كانت مساكنها على أشكال هندسية ذات شوارع واسعة يمتاز ساكنتها بنفس المجلس والعمل الجاد. كما أرسى أمكنة لطالبي العمل.

2-2- المدينة بعد الحداثة:

مع اختراع الآلة البخارية في القرن الثامن عشر أحدث هذا الاكتشاف انقلابا شديدا على حياة الإنسان والمدينة حيث كان صفحة جديدة في حياة البشرية، فتطورت المدينة بشكل مذهل و اختل التوازن الاجتماعي والاقتصادي وظهر التملك والتوسع والجشع تحت مظلة الرأسمالية، فانقلبت المدينة إلى مصنع كبير جراء الثورة الصناعية، " تؤدي الصناعة إلى قيام المدن، فإن المدينة نفسها تخلق الصناعة"[2].

[1]) أنجيا بطرس سمعان :**يوتوبيا توماس مور** . الهيئة المصرية للكتاب. ط2 .1987 . ص45

[2]) عبد الفتاح وهيبة.: **في جغرافيا العمران** . دار النهضة العربية . ط 1. بيروت. 1973م . ص 119

ومع نهاية القرن الثامن عشر كانت المدينة الأوربية القديمة قد تلاشت، و ظهرت مدينة جديدة ذات كثافة سكانية عالية وطوابق شاهقة، وتطورت المواصلات والقطارات وناطحات السحاب، "ونشأ عن ذلك طبيعة جديدة للمدينة ومخطط جديد لحياتها اليومية، تتجمع نشاطات المدن في المخازن ومكاتب الأعمال ووكالات السفر و السياحة والمصارف والجامعات ومعاهد الأبحاث ومؤسسات التعليم... قلب المدينة حيث حلت محل الأبنية الأرستقراطية والبرجوازية القديمة "[1]

كان للثورة الصناعية على المدينة وطأة شديدة لتأثيرها على عدة بنىً أبرزها الجمالية بفعل نزوح الآلاف من القرويين وقاطني الأرياف، فحدث ما يسمى بالتضخم الديمغرافي بعد أن أصبحت المدينة بؤرة لاستقطابهم،و خلف هذا الأمر مشاكل عديدة، البارز منها الزحمة المرورية و أزمات الغذاء والماء والتلوث الجوي. ...

ورافق هذا التمدن تهاو في الأخلاق والقيم المجتمعية وتفشي الجرائم وانتشار الآفات،وفي بداية القرن التاسع عشر بدأت المدينة تتخلى عن بعض أنواع الزخرفة والمباهج المفرطة والمظاهر الشكلية المفتعلة، ولم تعد تمثل كما كانت الأسطورة المحبة بالنسبة للعديد من الناس"[2]. وباتت رمزا للقسوة والقهر ومرتعا للشرور ..

وبعد أن وأدت الصناعة القيم الإنسانية، بالرغم من تحقيقها للرفاهية إلا أن ذلك لم يمنعمن ظهور نظريات جديدة تدعو إلى بناء مدن مستقبلية تضمن الراحة الإنسانية بعيدا عن المدن الصناعية فكان من

[1]) بيار جورج . **جغرافية السكان** ، تر: سموحي فوق العادة . منشورات عويدات. ط3. بيروت باريس . ص 61

[2])عبد الجليل غزالة . **مجلة الآداب العالمية**. ع 146 .2011م . ص 57

بين هذه النظريات. نظرية (ابنزر هوارد ebenzer howard). سنة 1898 م الداعية إلى بناء " مدينة حدائقية "[1].بعد أن أصبحت المدن العملاقة في العصر الحديث مريضة وموبوءة.

3- المدينة في الحداثة الغربية:

خلال النقلة النوعية المتميزة للمجتمع الأوروبي من النظام الإقطاعي المتركز على الجانب الزراعي غالبا ،والذي يحمل النظرة الضيقة للأفق إلى النظام الجديد الرأسمالي الصناعي بآفاقه المفتوحة، شهدت هذه النقلة صراعا ،وتجاذبا متعدد الجوانب، لعل أبرزها العوامل الاجتماعية والسياسية، الاقتصادية، والفكرية ،التي كانت نتاج رواسب امتدت جذورها إلى القرنين 15 م.16 م، ومن خلال هذه الانتقال ، ظهرت مدارس عديدة أدبية والأفكار الفلسفية معلنة بداية انبلاج فجر عصر جديد للبشرية، تمثل في الحداثة، و عصر التنوير، وبروز المجتمعات المدنية الرامية إلى إحلال النظم الديمقراطية.

ويعتبر حضور المدينة في الشعر الغربي أحد تجليات الحداثة منذ القرن الثامن عشر، حيث حضرت كفضاء منتج للقيم، فكانت عند الرومانسيين معادل موضوعي للضياع والتوجع، أما عند الرمزيين فهي غابة من الرموز والتحولات المجتمعية وعند الملتزمين هي بؤرة لوأد العدل والمساواة.

حين واكب الشعر الحديث الغربي المتغيرات الاجتماعية الهائلة التي طرأت على المجتمعات مع بداية القرن التاسع عشر تحولت من مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية ،فحدث أن أفل واقع وبرز واقع

[1])انظر: مصطفى فواز . . **مبادئ تنظيم المدينة**. معهد الإنماء العربي . د . دت. ص 48-49.

مستجد على أنقاضه، بحضارته المادية المعادية الخالية من العواطف الإنسانية .

وهنا يبرز الشاعر مصورا العقل الغربي الذي توهم التمدن الحضاري في لحظة فارقة حتى وإن كانت العلاقة بين الحداثة والحضارة فهي علاقة شبه محسومة في الحجاج الفكري، لأنها تجسيد حقيقي للعدمية التي تجعل من الإنسان موضوعا للدراسة متجاوزة خصائصه النفسية والروحية وتعكس في الوقت نفسه ضياع الذات الإنسانية في خضم العناية بالشكل"[1].

كان حضور المدينة متميزا بصورتها الأدبية والفلسفية على امتداد التاريخ الأوروبي، لكنها لم تأخذ صورها العدائية إلا من خلال القرن العشرين حين غرقت في الثورة الصناعية التي أوردتها بؤرة لوأد الإنسانية والبشرية فقدت خلالها "الجوهر الروحي والحضاري الحقيقي المؤدي الرقي الإنساني، مما جعل التاريخ يدور في حلقات مفرغة ويكرر مآسيه بدلا من الانطلاق نحو آفاق متجددة والدليل ما جرى لأوربا المعاصرة"[2]، لحظتها أيقن الشاعر الغربي أنّ المدينة صارت باتجاه متاهة وأنّه لا يستطيع سحب المدينة من قبضة المتاهة أو سحب المتاهة من كينونة المدينة"[3]، فباتت المدينة مصدرا للفساد الاجتماعي وصور كل المآسي فنجد الشاعر الأمريكي (كارل ساندبيرغ CARL SANDBURG) (1878-1967) يقول [4]:

يقول الناس لي إنك مدينة شريرة

[1]) رائد عكاشة وخالد الجبير: **الحداثة بين الفكر الغربي والفكر العربي إنقطاع و اتصال**، مجلة الفكر الإسلامي 1 المعاصر. ع76 ص 87

[2])ت.س.إليوت: **أرض الضياع**. تر: نبيل راغب . المركز القومي للترجمة. ط1, 2011 م ص 86.

[3]) صلاح صالح: المدينة الضحلة: **تثريب المدينة في الرواية العربية**، مطابع الهيئة العامة السورية . دط. .دمشق 2014. ص 84.

[4]) انظر : محمد الصديق جوهر. **رحلة القوافي في متاهات المدينة** . ص 92.

وأنا أصدقهم فقد رأيت بأم عيني

نسوتك الملطخات بالأصباغ متربصات

تحت المصابيح الغازية يغوين فتيان الريف.

نقل لنا الشاعر مظهرا من مظاهر الفساد الاجتماعي في المدينة التي وصفها بالشريرة ، هذا وكانت المدينة المعاصرة جراء الوضع الاجتماعي قد جعلت المستوى المادي هو المشهد أكثر وضوحا ،ليقف على الطرف الآخر المستوى الأخلاقي و القيمي، فركنت إنسانها في زاوية مظلمة، ما دفعه إلى التمرد عليها بإعادة تشكيل وصياغة المكان وفق منظوره الخاص. بعد أن " ساد أوربا انحطاط أخلاقي بشع، فانتهكت الأعراض دون مبالاة، وفقد أهل المدن والنواحي التي طال فيها أمد الحرب كل إحساس بالحق والشرف والكرامة الإنسانية، ونشطت تجارة السوق السوداء وبحارة السلاح وأدوات الدمار بصورة لم تدع إلى الشك سبيلا ، في أن الإنسان لم يسر خطوة واحدة في طريق التقدم الحقيقي ."[1]

كما أفزعت المدينة الأوربية الحديثة بالاتها و مصانعها، وبكل تعقيداتها الشاعر " **توماس ستيرنس إليوت** (**1888–1965)THOMAS STEARNS ELIOT**:[2]

مدينة الوهم،

تحت الضباب الأسمر من فجر شتائي

[1]) حسن مؤنس: **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، سلسلة عالم المعرفة (1978). ص 3295 .

[2])محمد عبد الواحد لؤلؤة. **الأرض اليباب الشاعر والقصيدة** المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط3 .1995م ص 39.

انساب جمهور على جسر لندن، غفير

ماكنت أحسب أن الموت قد طوى مثل هذا الجمع

كان لدى "إليوت" تصور عميق للمدينة كمكان معادي اكتسب صفة الوحشية جراء التحديث الصناعي الذي أتى على الإنسانية وقيمها، فهو" يعبر برؤية شعرية ثاقبة عما يمور تحت هذه الظواهر من خراب نفسي ودمار أخلاقي كان يراه راجعا إلى فقدان الإيمان الروحي لدى الإنسان الغربي، فكان إليوت بحق شاعر الإنسان الحديث في تمزقه وعذابه، يتجلى في قصائده أنين جيل مزقته المدينة وطحنته حتى العظم، حياة مشوهة متخمة وقاسية تنفجر بالألم والقسوة واللامبالاة"[1]، فالمدينة تحولت إلى سجن تفاوت فيه إنسانية الإنسان وحدث الانفصال بينهما. يقول ليوبد سنغور **Leopold Sedar Senghor**(**1906–2001**)[2]:

نيويورك، اسمعيني يا نيويورك

دعي الدم الأسود يجري في عروقك

عساه يزيل الصدأ عن مفاصلك الحديدية

كأنه زيت الحياة

فيمنح جسورك استدارة التلال

[1])علي جعفر العلاق. **في حداثة النص الشعري**. دراسة نقدية. دار أفاق عربية. ط1. 1990 م.ص 163–164

[2])عصام محفوظ: **شعراء القرن العشرين**، ثلاثون شاعرا عالميا يوقعون العصر، دار الملايين ، لبنان، ص 255

ومرونة النباتات المتسلقة.

خاطب الشاعر مدينة نيويورك التي هي حاضرة أمريكا ، ورمز حضارتها وهي نموذجها الأعلى الذي يختزل كل قسماتها وملامحها، فهي مدينة الإسمنت والإسفلت والمال التي لا تنبض فيها لاحياة ولا دفء ولا احترام الآدمية الإنسان " [1].

هذه المدينة التي لاقته بعنصرية مقيتة للأنا الحضارية المبنية على أسس عرقية لا تعكس مدى التحضر التي وصلت إليه المدينة الغربية ، فدعاها إلى قبول الدم الأسود والذي يمثل دم الزنوجة ليسري في دواليبها ويمنحها المرونة والنضارة ومقت العنصرية التي أبداها رجلها الأبيض تجاه السود منهم ، "فالإنسان الغربي تأثر بما استلهمه من التراث الأسطوري الإغريقي، ليتصور أن الرجل الغربي الأبيض يمثل جنسا بشريا متطورا ومتحضرا" [2]، ويعكس هذا المشهد أحد أسباب مقت المدينة الغربية رغم حداثتها لأن العنصرية تبقى طرفا فاعلا فيها.

وهناك من الشعراء من يرى في المدينة الحديثة نمطا حياتيا مستجدا وجب التأقلم معها باعتبارها مفرزا حضاريا أوربيا "فيولي المدينة عناية كبيرة ويفيها حقها من التبجيل فنراه يعظم مداخنها ومصانعها ومواخيرها وحاناتها وأزقتها وحاراتها، وحشود البشر فيها وباعتها الجائلين وبحارتها الغارقين المجهدين، بل ويصل إلى حد التعاطف مع عاهرات المدن وبغاياها"[3]، كما هو الحال مع **الشاعر صامويل جونسون** الذي أحب مدينته

[1])أحمد موسى الخطيب: **وهج القصيد** ، دراسات في الشعر العربي المقاوم، ط1، 2009 ، الأردن.

[2])عصام محفوظ: **شعراء القرن العشرين**، ثلاثون شاعرا عالميا يوقعون العصر، دار الملايين ، لبنان، ص 280.

[3])محمد صديق جوهر .**رحلة القوافي في متاهات المدينة** .مقاربات في الشعر الأمريكي المعاصر، ص212.

لندن، وهو القائل" إذا مل الإنسان مدينة لندن فقد مل الحياة"[1].

4- المدينة في الحداثة العربية:

شكلت المدينة الأثر البارز في الوعي الإنساني العربي الحديث والمعاصر حين باتت بؤرة استقطاب للإنسانية، بما امتازت به من حضور مادي و معنوي رافقت رغبته في تحقيق حياة اجتماعية تُلبى فيها متطلباته الحياتية من خلال أنظمتها ومقوماتها ورابطا معها علاقة تفاعلية جدلية على امتداد وجودها ؛حيث كان التفاعل على مدى التعلق. فإذا كانت المدينة مبعثا للسعادة وأداة لتحقيق الحرية والأمان، ومنهلا للثقافة والجمال، إلاّ أنها في العصر الحديث والمعاصر تملصت من وظائفها وأضحت مكان للحياة تذوب فيه القيم الروحية والأخلاقية، وتتعدد فيه المظاهر الاجتماعية الزائفة والمشحونة بالجفاء والعدمية، فالمدرك لحقيقتها يرى أنها مليئة بالنكبات التي تأسر الذات وتخنق الروح، فعلى هذا الأساس كانت نظرة الشعر إليها في العصر الحديث وباتت موضوعا أسهم فيه العديد من الشعراء خاصة ممن اكتووا بنارها فكانت ذكراها " تكاد تكون تعبيرا عن شكل من أشكال الصراع بين البداوة والحضارة "[2]، باعتبار أن جل الشعراء العرب في تلك الفترة كانوا ريفيّي المولد والنشأة.

لذا لم تكن المدينة مع ما تتميز به من تمدن في منأى عن وصفها " هي المصدر الأساس للشرور

[1])علي قاسمي. **محاولة في انقد الأدبي المقارن أنظر**

www.alnaked eliraqi.net

[2])محمد حمود: **الحداثة في الشعر العربي المعاصر**. بيانها ومظاهرها . الشركة العالمية للكتاب.. دط. بيروت. 1996.ص261.

والجرائم والحروب والأمراض والأحزان وألوان المعاناة والموت"[1]، فالذات الشاعرة مجبولة على حب أمكنة الولادة والصبا، خاصة وأن الأرياف العربية كانت منبعا للصفاء والجمال والهدوء، يضفي عليها الشاعر نوعا من القداسة قبل أن تتسرب إليها آثار التمدن التي انجرت من وراء الثورة الصناعية التي ألحقتها بالمدينة وجعلت منها رافدا من روافدها.

هذه الثورة التي جعلت من المدينة" وبقدر اتساعها عبر امتدادها الجغرافي أفقيا وعموديا فإنها وباختناقها السكاني ولصعوبة الحركة والتنقل فيها وللثقل النفسي الذي تحققه البنايات الضخمة على نفسية ساكنيها، فإنها تصبح أقرب إلى السجن منها إلى الحرية، ويقابل هذا الازدحام إحساس متصل به متعلق بالحصار والسجن"[2]،هو ما أدى إلى تنوع أسباب الهجرة من شاعر إلى آخر إلى المدينة، إلا أن المشترك بينهم أن المدينة عالم مليء بالمتناقضات يغرس في الذات الشاعرة شعورا متعد دا مقرونا بالخوف والرهبة والتوجس والقلق، ويلون النفس بشتى ألوان الاغتراب ، وكل ذلك ناجم عن أثر التمدن.

هذا وقد حمل موضوع المدينة رؤى فكرية، وأبعادا اجتماعية وسياسية، تبعا الإيديولوجيات الشعراء باختلاف مشاربهم ،وتنوع أعراقهم، عمدوا من خلاله إلى البحث عن تجارب شعرية جديدة في نطاق إنساني أوسع، بشاعرية أكثر دفقا.

كما نلحظ أنّ التجربة الشعرية التي دافعها شعرية المدينة تختلف من شاعر إلى آخر ،مردها أنّ المدينة

[1])محمود الربيعي ومحمد عبده بدوي: **الشاعر والمدينة**. مجلة عالم الفكر. الكويت .1988م. ص 132

[2])عبد الله محمد رضوان :**المدينة في الشعر العربي المعاصر** . دار البيروني. ط3 . المملكة الهاشمية الأردنية .2014م . ص 42.

الواقعية تختلف عن المدينة الشعرية، فالبعض يكتب عن المدينة متأسيا بالتجربة الإليوتية ،وما جنته الثورة الصناعية على الوجود الإنساني من تدن وتلاش في ظلّ الانقلابات التكنولوجية الهائلة، رغم أنّ المدينة العربية لم تشهد هذه الانقلابات بصورتها المكتملة، وهو ما يجعل عداءه للمدينة "يفتقد إلى مبراراته الفلسفية والفكرية، أولا ولا يستند ثانيا إلى أساس"[1]، كما نجد على الطرف الآخر من يكتب بصدق شعري نابع من أعماق ذاته التي اصطدمت بالمدينة، وهو يعكس الحس الرومانسي الذي يختلج أغلب شعراء الريف القادمين إلى المدينة.

وأخذت المواقف من المدينة بين القبول والرفض، تأخذ أبعادا مختلفة تكسب المدينة صورا متعددة عبر أبعادها السياسية والاجتماعية وغيرها. بعد أن أصبحت تشكل مفهوما جديدا للكينونة، وموضوعا شائعا للرصد و الاستيحاء والتشخيص والتأمل، ورمزا متعدد الإيحاءات والاستعارات والمعاني، وفضاء مفتوحا على تحدد التأويل وإنتاج الدلالات"[2].

[1])علي جعفر العلاق. **المدينة في الشعر** . دراسة موقف الشاعر العراقي من المدينة. مجلة أقلام. 1986، ص 47

[2])علي ثويني: **المدينة.. فضاء عمراني ووعاء ثقافي**. موقع صحيفة المثقف الالكتروني العدد 4373.

الفصل الثاني:

المظاهر المادية في شعر

شارل بودلير و عبدالمعطي حجازي

المظاهر المادية للمدينة في شعرشارل بودلير و عبد المعطي حجازي.

1-ميكروتيمات المدينة.

2-الفضاءات العامة للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-1- المدينة مقهى في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-2- المدينة شارع في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-3- المدينة ميناء في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-4- المدينة معارض وصالون اتفي شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-5- المدينة مصابيح في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي،

2-6- المدينة حدائق في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-7- المدينة سوق في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-7-1- المدينة زحام في شعرهما.

2-7-2- المدينة جامعو خرق في شعرهما.

2-8- المدينة مستشفى في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

3- المدينة فضاءات مقدسة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

3-1- المدينة دُورٌ عبادة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

3-2- المدينة مقابر في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

4- المدينة فضاءات مدنسة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

4-1-المدينة دور دعارة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

4-2-المدينة سجون في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1-ميكرو تيمات المدينة .

تتشكل تيمة المدينة الكبرى كفكرة مهيمنة بين نصي الشاعرين من تيمات رئيسة صغر يستوجب الوقوف على إبراز الدلالة الأفقية والعمودية للمكروتيمة في إيضاح استراتيجية الدلالة عند الشاعر، فهي العين التي يمعن بها القارئ النص، لما تحمله من دلالات نفسية وأبعاد إنسانية تصب في نسيج لغوي معين.

فالتيمة هي إطار كلي يتكون من مقاطع وصور جزئية لتحدد في النهاية إطار التيمة، فهي ليست صورة جاهزة أو معطاة، بل يجب بناؤها انطلاقا من مضامين النص، وقد تحدد مجموعة صور تيمة لتتوج بصورة تيمة الكلية داخل النص الواحد، وقد تتشارك مجموعة نصوص أدبية مختلفة في نفس الصورة التيمة، ففي محاولة لتطبيق أو استخلاص هذه الصورة[1] ، وهذه الجزئيات هي التي تعرف بالتيمات الصغرى أو الفرعية أو ما يصطلح عليه بالميكروتيمات.

2- الفضاءات العامة للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تتشكل المدن من فضاءات متعددة المقاصد والغايات كانت نتيجة حتمية لتطور التمدن ومظاهره، وهي نتاج التفكير الإنساني، أخذت أشكالا ونظما متمايزة من خلالها تبرز تلك الإسقاطات الدلالية على الذات الشاعرة تبعا لتأثيراتها ومدلولها النفسي.

وبما أنّ المدينة "هي أكثر محاولات الإنسان اتساقا، وعلى العموم أكثرها نجاحا في إعادة تشكيل العالم

[1])ينظر، ليلى احميايي : **التيمة إشكالية المصطلح وامتداداته**، موقع الحوار المتمدن، العدد 4505، بتاريخ 07/07/2014 ، التوقيت22:44.

الذي يعيش فيه بما يتفق بدرجة أكبر مع رغباته، لكن إذا كانت المدينة في العالم الذي يتعين عليه العيش فيه، فالإنسان بشكل غير مباشر، ودون إدراك واضح لطبيعة مهمته قد أعاد أثناء خلقه للمدينة تشكيل نفسه"[1]، وقد رافق هذا التشكيل النفسي التشكيل المديني الواقعي المختلف فضاءاته العامة، فربطت الذات الشاعرة بين الواقع والخيال في رسم هذه الفضاءات تبعا لأثر وقعها النفسي و الواقعي أحيانا. وهو ما لمسناه عند شارل بودلير وعبد المعطي حجازي ، والتي تمثلت في الفضاءات الآتية: :

2 –1– المدينة مقهى في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تحافظ المقاهي باعتبارها حيزا مكانيا، والذي يروم على عدة دلالات فهو مكان للأحبة والعشاق، و الراحة والطمأنينة، يشعر فيه الفرد بالحرية والأمان، استعمله الشاعر وحوله إلى عنصر شعري لا يمكن فصله عن حياته المليئة بخوض المعارك الغرامية، والتي يشوبها الرحيل غالبا. كما يمكن للمقهى أن يكون المكان المرادف لعديد الأنشطة والمجالات الأخرى .كما أنّ المقاهي أعطت دفعا حيويا للطبقة الوسطى والحياة البوهيمية في فرنسا، وعملت على تعبئة البروليتارية الثورية ،ولعبت دورا هاما في إشراك النساء في الحياة السياسية ؛حيث كان وجودها سابقا في المقهى مرتبطة بالجنس"[2].

وبالحديث عن "**شارل بودلير**" فالمقهى الباريسي ليس مجرد مكان للجلسة واللقاء والحديث، بل أحد أبرز التعبيرات العبقرية في باريس،فباريس مدينة الألف وجه مسكونة بهاجس التجدد والعراقة،تستحق أنها

[1]) ديفيد هارفي، **مدن متمردة** مرجع سابق ص 29

[2])Haine, W. Scott. **The World of the Paris Café**: Sociability among the French Working Class, 1789–1914, The Johns Hopkins University Press, 1996, p180-p186

توصف مدينة الملاهي بلا منازع "[1]، وفي هذا يقول في قصيدة عيون الفقراء[2]:

"فأردت أن تجلسي أمام مقهى جديد ... وكان مازال مليئا ببقايا الطوب ومستعرضا بالفعل فخر فخامته التي لم تكتمل، كان المقهى يتلألأ"

ربط "**بودلير**" صورة المقهى العتيق بصورة حبيبته، فهو الذي لا يزال يحن إلى الأيام الخوالي بين أزقة المدينة القديمة متسكعا بين مقاهيها رفقة عشيقاته. فكان تلألأ المقهى المليء بالطوب القديم ، نورا ينير ماضيه، فبودلير يعيش على إيقاع الماضي عندما يلتقي حبيباته ، ورحيل الحبيبة عن المكان أو المدينة يدل على فاعلية الشخصية في المدينة، وارتباطها بما وهي الصورة التي بقيت تحفر في مخيال الشاعر.

هذا وقد يكون المقهى رمزا للحداثة وطغيان البرجوازية حين يقول بودلير في قصيدة (عيون الفقراء):[3]

" وأمامنا مباشرة على قارعة الطريق كان ينصب رجل طيب في الأربعين من عمره، ذو سحنة مرهفة ولحية شائبة يمسك في يده ولدا صغيرا ويحمل في يده الأخرى كائنا صغيرا أضعف من أن يمشي... وكانت هذه الوجوه الثلاثة متجهة بصورة استثنائية، وهذه العيون الستة تمعن النظر بثبات في المقهى الجديد بإعجاب متساوي وإن كان متباينا بتباين الأعمار... لم أتأثر فحسب بهذه العائلة من العيون بل أحسست بالخجل من أكوابنا ودوارقنا الأكبر من عطشنا..."

[1]) هدى الزين: **المقاهي الأدبية في باريسحكايات وتاريخ** الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط1, 2014 ص 06

[2])شارل بودلير : **سأم باريس** تر أحمد أحمد مراجعة كاميليا صبحي .ص 83.

[3])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة عين الفقراء**)ص 684.

يرى **بودلير**أنّه في المدينة سيطرت الآلة الجهنمية على الذات الإنسانية،فاستلت منها روحها وأبدلتها قيمها المقدسة، قيما مختلفة عنها اختلافا جذريا، وظهر المدينة بوحشها المادي الذي أطبق على البشرية متمثلا بالحضارة والمدنية،، فالمدينة في عصر الحداثة عالم الكتل الحجرية والضجيج والنفايات ،وعلى إنسان المدينة أن يظل يقظا من مزالقها التي تترصده كل يوم بين زحامها الكبير وعجلاتها التي لا ترحم، فبؤس المدينة وجبروت حداثتها جعلت بودلير يرصد العائلة الفقيرة التي أمعنت النظر في المقهى تستجدي أي شخص يرأف لحالها ويتصدق إليها . من رواد المقهى الذين غالبهم من الطبقة البرجوازية للمجتمع الفرنسي الذين يرون أنّ الفقراء كأوزار للحداثة والمدينة الحديثة وأنّهم شوهوا المظهر بملابسهم الرثة والبالية، وهذه العائلة تمثل الطبقة الكادحة من المجتمع، وهو ما تردد على لسان إحدى رفيقاته في إحدى المقاهي قائلة **لبودلير" لا أستطيع احتمال هؤلاء الأشخاص بعيونهم المفتوحة مثل أكواب العربات ! ألا تستطيع أن تطلب من صاحب المقهى إبعادهم من هنا؟"**[1]

كما يقول :[2]

هكذا كان يتكلم إيتزل في مقهى فلمنكي

بصورة ملغزة ، بفعل الحصافة.

أدركت أنها كانت طريقة لبقة

[1])شارل بودلير : الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة عين الفقراء ص 684.

[2]) شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة رأي السيد إيتزل في البيرة البلجيكية)** ، ص 604.

لأن يقول لي: البيرة البلجيكية، مرادف للبول»!!

عكس المقهى الواقع الاجتماعي البائس للمجتمع البلجيكي والذي لم يسلم من كم بودلير الدائم ليكون المقهى أهم فضاء في المدينة يعبر فيه عن خوالج نفسه تجاه البلجكيين، وينتقد عيشهم ونظم حياتهم.

وفي المقابل يشكل المقهى عند أحمد عبد المعطي حجازي غالبا مرتعا للحياة اليومية، يضم مختلف شرائح المجتمع، يكون مكانا للالتقاء وقضاء الحاجات والمصالح "كون المقهى عنصرا يمثل قاسما مشتركا في الحياة اليومية العربية، قد تتغير مواصفاته وأسماؤه وملامحه ،ولكنه لا يبتعد بناء على هذا التغير أو الاختلاف عن القيام بهذا الدور الإنساني ،فهو مكان للقاء، ذلك اللقاء الذي يكون بداية لنشاط إنساني فعّال "[1] يقول حجازي:[2]

إذن.. فانتظاراتنا في المقاهي

عكس هذا المقطع حالات التسكع التي كان عليها الحجازي بين مقاهي المدينة، فهي مكان للهروب من واقع المجتمع، ففيها يجد الحميمية بين طبقات المجتمع التي يفتقدها بين أزقة المدينة. والمقهى هنا مكان للراحة من أعباء اليوم الشاق يقول:[3]

واملأ العين مما يحيط بنا من قذى ودمامة

إنهم يأكلون لحوم الصغار ،

[1]) مصطفى الضبع ،**المقهى في الرواية العربية** ، مجلة وجهة نظر . ع2000.18. ص 02

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة أغنية البغداد)** ص364

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة السفر)** 584.

ويخترعون مشانق للروح تستلها ،

ويظل القتيل يعيش ويغشى المقاهي.

حملت صورة المقهى هنا صورة اللاّعدل، والتي تسود النظام الاجتماعي في المدينة، ففي المقهى بؤرة اجتماعية؛ حيث أعراض الناس تنتهك والقتلى يعودون إلى الحياة والحي تستل منه روحه، وهذه هي بعض مظاهر المدينة.

وفي هذا جاء قوله[1]:

ونحن في المقهى نموت

فاقترن عنده الجلوس في المقهى بالموت، لما فيه من مضيعة للوقت وقتل للنفس، فالمقهى يعدّ مسرحا لعديد الأحداث والمواقف وساحة لخوض البطولات بين الحياة والموت، والشاعر اختار الموت وهي حالة نفسية تنم عن العزلة التي أودت به إلى اتخاذ ركن في المقهى دون المشاركة في الحياة الواقعية المليئة بالتناقضات، تناقضات الشرائح التي يعجّ بها المقهى، وتموج في المدينة ويبرز هذا من خلال قوله[2]:

في منزل فيك تعلمت الهوى

وفي مقاهيك أنا أحاول السلوان

عمد الشاعر إلى ربط أمكنة المدينة ببعضها، فهي أمكنة كان الشاعر دائم المرور بها، فأصبح للمقهى

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي . **الأعمال الشعرية الكاملة (يوميات الإسكندرية)** . ص 281

[2])أحمد عبد المعطي حجازي : **الأعمال الشعرية الكاملة**. ص 281 .

حضورٌ ذو حيوية وانسجام، فالشاعر ما انفك يجسد حضوره الشعري دائما فهو عنصر فني فعال لا يمكن تجاوزه. وفي هذا يقول حجازي[1]:

في كل بيت في دمشق... لي صديق

في كل مقهى ذكريات ...

كما حمل المقهى عديد الذكريات رفقة أصدقائه في أزقة دمشق أيام الوحدة السورية المصرية وقتها عمل كصحفي ،والتي كان دائم الاعتزاز بما، ويغدق على تلك الذكريات عاطفة وجدانية. و هو إحساس الشاعر العربي عموما أيام الوحدة التي لم تكتمل تعكس البعد القومي العميق. تجلت العديد من ملامح المدينة في المقهى وهو ما صوره الشاعران تبعا لأثرها ومنه ما نقف عليه:

- عكس المقهى ملامح المدينة البرجوازية عند بودلير في حين كان عند حجازي لا يعدو فضاءً يضم عديد شرائح المجتمع.
- يشترك الشاعران في كون المقهى فضاء لاسترجاع الذكريات ومرافقة الخليلات وهو ما يعكس ملمحا من ملامح المدينة؛ حيث كان كذلك جزءًا من حياتهم العاطفية.
- اتخذ المقهى عند الشاعرين فضاء لممارسة السياسة والنقد واتخاذ القرارات الحياتية وما يدور في المدينة .
- كلا الشاعرين جعلا من المقهى فضاءً حاسما في إعادة تشكيل وصياغة المدينة والتفاعل معه

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الكاملة (قصيدة عودة فبراير)**، ص 363.

2-2- المدينة شارع في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

تشكل الشوارع الفضاء المديني الأرحب، "فالشارع صحراء المدينة ، وجزؤها الزمني وحياتها الدائبة المتحركة ولولب بعدها الحضاري لامتداده ، طاقة على مد الخيال ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان "[1]، و هو عصب المدينة بما يقدمه من خدمات،كما يعد فضاء مفتوحا على التظاهرات الاحتفالية، ومغلقا وهاجسا مرعبا في حالات الغضب والعنف، فتيمة المدينة هنا ترجع إلى هذا الاستقطاب الهائل لهذه الأكوام البشرية الباحثة بين دروبها عن أمالها ومالها وهو ما يخلق الصدامات، و ما ينجر عنها من آفات اجتماعية، وقد أشار إليه شارل بودلير حين قال :[2]

الآن سيغدو (الشارع منبرا دائما للخطب الأخلاقية المضجرة).

كما جاء اسم الشارع أحيانا صريحا في شعر بودلير لارتباط الشارع بالمدينة لكونه حجر الأساس في بنائها وتحديد شكلها الظاهري ، ولذكر المدينة وجب المرور بالشارع لتحديد معالمها ومرجعياتها،كما في قصيدة (عن بدايات أمينة بوشتى) ؛ حيث قال :[3]

يقول الغالي «كل هذا ، لي أنا تلك لهجة هندية ، ولا أعرف في الواقع من حوريات الأحداج إلا حوريات مونتافي أوزيرب بوتاجير »

---

[1])ياسين النصير ،**الرواية والمكان** ، مرجع سابق ص 144.

[2])باسكال بيا : **بودلير** ، ص 197

*بوتاجير : أحد شوارع بلجيكا الرئيسية

[3])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة عن بدايات أمينة بوتشي)** ، ص 511

حيث ربط الشاعر تسمية الشارع الحقيقية الذي يعكس الارتباط الدائم بين حياته الخاصة المسرحية وحياته العامة في مدينة بروكسيل ؛حيث ألف عديد القصائد المسرحية الهزلية.

يقول شارل بودلير في قصيدته **"إلى عابرة"**[1]:

كان الشارع، المصمّ بضجة في الأذان، يزمجر حولي

مرت امرأة طويلة ناحلة في حداد كبير، والأسى المهيب

وبيد مترفة، ترفع وتؤرجح طيات وذيل ثوبها.

الشارع عند **شارل بودلير** ضيقٌ رغم اتساعه، فهو الذي يصم الأذان بزمجرة حشوده التي تملأ المكان،ولكن رغم ذلك الحشد إلاّ أنّ الشاعر يعايش صيرورة المكان، ويلتقط جزئياته، فلا طالما كان الشارع المتنفس الوحيد لروح الشاعر المأسورة في المدينة البائسة.

ويقول :[2]

سواء في الليل أم في العزلة

سواء في الشارع أم في الزحام

فطيفها يتراقص في الهواء كشعلة .

[1])شارل بودلير **أزهار الشر**.ص 338.

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة طيفها يتراقص كشعلة)** ص 214.

ويقول في قصيدة "فقدان الهالة ":[1]

"كنت أعبر الشارع الواسع في سرعة فائقة، وأنا أقفز في الوحل عبر هذه الفوضى المتحركة؛ حيث يأتي الموت في عجلة من كل الجهات في الوقت نفسه."

فهو يصف الشوارع التي سعى إلى المرور منها بسرعة لما فيها من أوحال، وأُبعد من ذلك سعي إلى الخلاص من الموت الذي يترصده من كل الجهات فيها ، بل إنّه يتذكر تلك الكتابة التي يلمسها في تلك الشوارع، وهو ما يقوله في قصيدة " الشيوخ السبعة"[2]:

كانت المنازل في الشارع الكئيب ،

التي يطيل من ارتفاعها الضباب ،

تصنع ضفتين لنهر واسع

فهو يمعن النظر في تلك اللوحة التي شكلتها المنازل الموجودة على جانبي الشارع التجعله شبيه الوادي المليء بالكآبة والضباب، أما في قصيدته (عابرة). يقول[3] :

وانشقت الطريق فجأة على امرأة

ارتفعت بالماء نافورة

[1])شارل بودلير . **سأم باريس** . ص 96.

[2])شارل بودلير . **الأعمال الشعرية الكاملة (الشيوخ السبعة)** ،ص 325.

[3])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة عابرة)** .ص 155.

واعترفت بالعطر قارورة

امرأة بلورة مضوأة

فستانها الحرير فضفاض بلا مئزر

ذراعها الوردي رطب ، ناعم المنظر

يظهر لنا بودلير بشكل مغاير عن تلك التي عبّر عنها، إذ أصبحت المدينة عنده مدعاة للجمال والحسن .أمّا عند أحمد عبد المعطي حجازي فيعتبر الشارع الفضاء الأكثر بروزا وانفتاحا في عالم المدينة المترامي الأطراف، والتي تشكل جسورا بين مختلف أطرافها وامتداداتها، كما تشكل شبكة عنكبوتية يتم من خلالها التواصل بين أفراد المدينة، وقضاء مختلف مصالحهم الحياتية بينها، وتحتضن الشوارع عادة مختلف التظاهرات الاجتماعية ،والثقافية المقامة في المدينة ، وهو ما يجعل المدينة عند حجازي تتجلى في شوارعها ،وفي هذا الصدد يقول عبد المعطي حجازي:

كلمة زرعتها شفتي ذات مساء

أحببت العالم ذات مساء، مخنوق الأضواء

لما كان الشارع ليلا

عرشا للحراس [1]

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة ميلاد الكلمات)** .ص 168

جعل الشاعر المدينة ليلا تتجلى في شارع منفذا يمارس فيه هوايته الباحث فيها عن الحب وتبادل الابتسامات، فالشارع أخذ بعدا جماليا بأضوائه وأصبح معادلا لنزوات الشاعر .

يقول : [1]

هل تتذكرون يومها ماذا فعلت ؟

لقد رقصت

في شارع لا رقص فيه

إلاّ لسكير تعيس أو مهرج صفيق

لقد تحدّيت قوانين المرور .

نرى من خلال هذه الأبيات أنّ الشاعر ثار على المدينة من خلال شارعها فقد غنى كالسكارى، وتحدى قوانينها المنظمة لها ، في صورة تعكس مدى حنق الشاعر على الحياة الاجتماعية في مدينة قد تجعلك محنونا.

ويقول كذلك[2]:

رأيت نفسي أعبر الشارع عاري الجسد

أغض طرفي خجلا من عورتي

ثم أمده لأستجدي التفافا عابرا

[1])أحمد عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة فبراير الحزين)** . ص 318

[2])أحمد عبد المعطي حجازي . **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة لا أحد)** ،ص 381

نظرة إشفاق على من أحد

فلم أجد .

في شوارع المدينة ومع الزحام لا يأبه بك أحد، وهذا ما ولد لدى الشاعر الاحساس بالغربة رغم الحشود التي تعج بها الشوارع،فترى الشارع هنا يمثل مدينة بأكملها؛ حيث أدى إلى ضياع الشاعر وتشتيت ذاته فعبوره عاريا وعدم الاكتراث به جعله يرى الشارع مختلفا عمّا ألفه ماضيا وكأنّه تنصل من وظيفته الطبيعية الإنسانية في مد يد العون للغلابي والمحتاجين.

- فالصلة بين الشارع والشاعر ، أنّ الشاعر نبض المجتمع ومرآته بصفته فردا من أفراد مجتمعه، يرصد ويتفاعل مع أحداث الشارع ومتغيراته، له دور رئيس في حمل قضايا الناس، والذود عنها.
- كلا الشاعرين جعلا من الشارع متنفسا لهمومهما الشخصية.
- جعل الشاعران من الشارع منفذا لتكسير عزلتهما.
- كلا الشاعرين جعلا من الشارع فضاءً لنزواتهما العاطفية وما قصيدة إلى عابرة إلا مثال على ذلك.

2-3- المدينة ميناء في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

شكل الميناء فضاء مهما لمختلف المدن. تتعدد منافعه التجارية، والاقتصادية، والسياحية، يقول "**بودلير**" في قصيدة الميناء:[1]

الميناء إقامة ساحرة لروح متعبة من صراعات الحياة

فاتساع السماء والمعمار المتحرك للسحاب

وألوان البحر المتغيرة ووميض الفنارات

هي جميع ألوان طيف مناسب-بصورة رائعة -لإمتاع العين بلا ملل أبدا

والأشكال الفارعة للسفن ذات العتاد المعقد،

التي يطبع عليها اضطراب الأمواج ذبذبات متناغمة،

تؤدي إلى تغذية الروح بمذاق الإيقاع والجمال.

يشكل الميناء منفذا طبيعيا وأزليا للإنسان ، تبقيه الذات الشاعرة منفذا لانسلال ذكرياتها المليئة بانكساراتها وأفراحها ، شكّل منه "**بودلير**" مكانا حميميا يبوح له بأسرار ذاته العميقة هربا من بؤس المدينة.

وهو ما دفع بشارل بودلير إلى الإقامة عند والدته في ميناء هونفلور وهو " ميناء تجاري فرنسي، كانت له أهمية كبيرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد اشترى الجنرال أوبيك (زوج أم بودلير) منزلا

[1]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 716.

صغيرا في هذا المكان، انتقلت إليه الأم سنة "1857" بعد وفاته ،أقام عندها **بودلير** مطلع سنة "1858"، عاقد العزم على تخصيص إقامته لإنجاز عدة أعمال من بينها كتاب بعنوان "قلبي عاريا" إلاّ أنّ المرض لم يسعفه. "[1]

أمّا عند أحمد عبد المعطي حجازي ،فالميناء قد تختلف دلالته باختلاف بين ثنايا قصائده، في صورة تعكس تجربته الحياتية الدائمة في المدينة .

يقول حجازي:[2]

رسائلي، بوحي حياتي قصة خرساء تقصها العيون

لأنّني أعيش في ميناء

أحار في تعدد الأجناس واللغات والأزياء

فأرقب الحياة صامتا .

يعكس هذا المقطع الشعري حالة الاضطراب التي يعايشها الشاعر في مدينته التي تغيرت أحوالها و أحوال ساكنتها من أجناس ولغات، ما ترك الشاعر يعيش الحيرة ويلتحف الصمت وشاحا في المدينة .

ويقول: [3]

[1])انظر : شارل بودلير، **اليوميات** ،ص95

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العيون)**، ص 231.

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي **الأ الشعرية الكاملة (قصيدة إغتيال)** ،ص 574.

كان المرفأ داراً للجميع

كما أراد حجازي من الميناء أن يكون دًاراً لسكان المدينة في إشارة إلى رحيلهم عن المدينة ،التي افتكت بهم ،وجعلت منهم بؤساء يطلبون الرحيل إلى حيث الراحة وسبل العيش الرغيد. يقول :[1]

حين نزلت أشهد الميناء، أغرتني النساء

وعدت لم ألق السفينة

وهكذا أصبحت من أبناء المدينة

دّل الميناء على قرب رحيل الشاعر ،لكن تعلقه بنساء المدينة حال دون رحيله منها، كما تعلق بالأصدقاء و إيجاد عمل فيها حينها أزاح حجازي نظرة التشاؤمية واللاّواعية عن المدينة، وغاص في مشاهدها وتآلف مع أبنيتها وجدرانها، ومن خلال هذا نخلص إلى أنّ :

- نظرة الشاعرين مختلفة فعند بودلير كانت على أنّه منشأة اقتصادية، في حين عند حجازي فكانت منفذا للذكريات و فضاءً للتنفس.
- حجازي أوثق الصلة الرابطة بين المدينة وميناءها، على عكس ما لمسناه عند شارل بودلير

2-4- المدينة معارض وصالونات في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

شهدت مدينة باريس مابين الفترة" 1845-1863 "نحوا متصاعدا في المشهد الفني كان البارز منها ظهور الواقعية، كما أسهمت الثورة في قلب الذوق الفني العام؛ بحيث أعطت دفعا كبيرا لازدهار الفنون

[1])عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص293.

الجمالية، والمعمارية وانبثقت كذلك" أجناس أدبية جديدة كالمنظر الطبيعي والكركاتير..."[1]. إنّ هذه الصحوة الفنية والثقافية أسهمت في عبقرية **بودلير**، وعمقت تجربته الأدبية فزاوج بين الكتابة الشعرية والنقد الفني،" ولو أمعنا النظر في القوانين الأساسية الأفكار بودلير الفنية لنرى أنّها منطلقة من الخاص إلى العام في نضال ثابت ،وعنيد ضد التنميط standardization " .[2]

كانت باريس مدينة الصالونات الإبداعية التي أحبها **شارل بودلير**، إمّا مشاركا فيها أو مقيما لها ومنها نذكر :

✓ صالون عام 1845:

بالفن الفرنسي. فقد رأى أنّ الأزمة الفنية الفرنسية نابعة من القبضة البرجوازية. وهي خطوة جريئة من ناقد مغمور آنذاك، بوأته مكانة مرموقة بين نقاد عصره" ،وقد أعلن أنّ مأساة الفن الفرنسي تقوم على ظهور مجموعة من القردة في الفن شكلوا السواد الأعظم، وساهموا في انحطاط المستوى الفني العام الذي يتطلب بالإضافة إلى الموهبة المعرفة والصدق بالعلاقة بالذات"[3]

فالفن في نظر شارل بودلير ثمرة الحياة المليئة بالتناقضات والمحن، فهو يتخطى الحياة ويتجاوزها إنّه عظيم. فالحياة قصيرة ومنتهية ،وإن طالت على عكس الفن فهو منبع صاف لا ينضب. فالشاعر أدرك حقيقة الفن الصافية فرأى أن ممارسته يجب أن تكون لأناس تنبض ذواقهم به لكي تبقى خالدة. فهو رأى

[1]) زينات بيطار: . **بودلير ناقدا فنيا**. . دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان ،1993، ص76.

[2])المرجع نفسه ،ص 26

[3]) المرجع نفسه ، ص 75

أنّ الفن حر.

✓ صالون 1859:

استعرض بودلير في صالونه "1859" ظهور فن الفوتوغرافيا كنتيجة للتقدم العلمي – التقني، مناهض للشعري وكلاهما ينفي الآخر لكي يتطور ويستمر"[1]

أسهمت فلسفة بودلير المنفلتة من القيود المجتمعية في تحرير الفن وعدم إخضاعه للمعايير الجمالية ، والأخلاقية الرائجة آنذاك، فالمبدع يمارس الفن تعبيرا عن ذاته الخفية ،والمنطوية ،والإفصاح عن تجليات روحه. " الفن يتميز عما يدعي بالعالم المادي لأنه روح، ويتميز عن النشاط العملي والأخلاقي و المفهومي لأنه حدس .."[2]

والحديث عن الصالونات يدفعنا بحتمية الحديث عن المسرح الذي يمثل الفضاء الأكثر ارتباطا بالمدينة، فهو يعكس مدى تحضر الشعوب وتمدنها، و يعتبر أهم التجارب الإنسانية التي عبر فيها الإنسان المتمدن عن مختلف الظواهر الحياتية التي حاكاها بأنشطة عكست مختلق الهواجس ،والانفعالات التي تعتري الإنسان وواقعه المعاش.

فكان المسرح متنفسا لهذه التصورات المتعددة، بالرغم من أنّه كان مقتصرا في المدن على طبقة النبلاء والبرجوازيين كونه ينقل هموم وآهات الطبقات الكادحة و المهمّشة من الوسط الاجتماعي، التي كانت تعيش على صدى رجال الدين من المسرح الأوروبي قديما ؛حيث "موقف رجال الدين المسيحي من المسرح في

[1]) المرجع السابق ، ص84.

[2]) ب كروتشه، **فلسفة الفن**، تر سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي ،ط1، 2009 ، بيروت، ص 78.

الغرب ، بدا بمحاولة احتوائه وتوظيفه لتدعيم العقيدة الجديدة ثم انتقل بعد خروج المسرح من الكنيسة إلى الساحات الشعبية إلى التنديد، والهجوم الصارخ"[1]، ولأنّ بودلير كان متمردا منذ صباه فقد سعى منذ أيام طفولته الأولى إلى أن يصبح ممثلا على خشبات المسرح لما كان يراه رفقة والده أيام مرافقته من عروض مسرحية في مسارح باريس .

يقول :[2]

حين كنت صبيا أتمنى مرة أن أغدو * بابا (pape لكن بابا عسكريا ، ومرة أن أغدو ممثلا ، يا للمتع التي كنت أستمدها ...

ويقول :[3]

البارحة أخذوني إلى المسرح ، في قصور كبيرة وكتيبة يرى في خلفيتها البحر والسماء، ورجال ونساء ، رصينون ومكتئبون أيضا ، لكن أجمل جداً وأبهى لباسا من الذين نراهم في كل مكان »

" عندما يتكلم **بودلير** إذن عن العرض المسرحي، فهو أبعد ما يكون عن العرض المحسوس والمسرحة الأصلية بالنسبة لديه هي المشاعر والمعاناة..."[4] التي تنخر دواليب المجتمع الفرنسي وقتها من برجوازية نافذة، وسلطة واهنة، وعهر يستشري في المدينة. و**شارل بودلير** أراد من أعماله المسرحية أن تكون مرآة للمدينة

[1]) نهاد صليحة: **الحرية والمسرح** ، المكتبة الثقافية 1991، مصر ،ص 41.
[2]) باسكال بيا ، **بودلير** ، ص 144.
[3]) المرجع نفسه ، ص 142.
[4])رولان بارت: **مسرح بودلير**، ترجمة سهى بشور، مجلة المعرفة العدد 294، 1986 ص 155.

وجفافها الروحي وجفاءها تجاهه بصورة موضوعية ذلك لأنّه " عندما تتبنى المدينة المسرح وتؤمن به، فإنّها تحتضنه وتخصص له الفضاءات الملائمة وتجعله مكونا من مكونات ثقافتها ومتعتها، وعندما يتبنى المسرح المدينة فإنّه يتبنى نبض الشارع وينقل أحاسيس الناس وهمومهم إلى فضاء اللعب ليمد حبال التواصل بينه وبين ساكنة المدينة.[1]وهو مراد شارل بودلير كما سلف الذكر .

والحديث عن الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي يدفعنا إلى أن نشير إلى ما عرفته مصر- ومن خلالها العالم العربي – في تلك القفزة النوعية من ظاهرة المسارح ،وعلاقتها المتينة بالتمدن وانعكاسه عليه، وكأنّنا أمام تحقق تلك المقولة المشهورة والتي جاء فيها:

أعطيي خبرا ومسرا.. أُعطكَ شعبا مثقفاً

فالمسرح عند عبد المعطي حجازي أخذ بعدا رمزيا دعمته تلك الرحلات التي خاضها إلى مسارح مصر والعالم العربي ، إلاّ أنّ رؤية الشاعر موازية لما يقع فوق المسرح ودروب المدينة لمختلف المشاهد الحياتية وأوضاع تحمل عديد الدلالات والأبعاد، في رحلة محاكاة بين الواقع والتخييل ، وهي رؤية فنية لأنّ المسرح يرسم الحياة المدينية بتمفصلاتها بطابع جمالي، وهو ما عبّر عنه من خلال قصائده المتعددة ،ولعل أشهرها **"مرثية لاعب سيرك"**؛ حيث سعى إلى رسم عالم مثالي فردوسي محتمع تسوده العدالة، في المدينة التي تضغط على إنسانها البسيط بين أزقتها فيقول[2] :

في العالم المملوء أخطاءً

[1]) يونس لوليدي: **المدينة والمسرح** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث قطر ط1 2002 دار الشرق ص 03.

[2]) عبد المعطي حجازي ،**مرثية لاعب سيرك** ، مجلة الآداب العدد الثالث 1966، ص 21.

مُطالبٌ وحدك ألا تخطئا

لأنّ جسمك النحيل

لو مرة أسرعَ أو أبطأ ،

هوى ،وغطى الأرض أشلاء

فالشاعر هنا يرسم المدينة على أنّها عالم من الأخطاء وأن الشاعر الإنسان، وحده مطالب أن لا يخطئ بين حشودها ، أمّا عن تلك البهلونات التي يقوم بها لاعب السرك أمام جمهوره فيصفها الشاعر في قوله[1] :

حين تلوح مثلَ فارس يجيل الطرف في مدينته

مودعا. يطلب وجد الناس، في صمت نبيل

ثم تسير نحو أوّل الحبال

مستقيمة مؤمئا

وهم يدقون على إيقاع خطوك الطبول

ويملأون الملعبَ الواسعَ ضوضاء

ثم يقولون: ابتدئ

[1]) المرجع نفسه: ن ص.

في أيّ ليلة ترى يقبع ذلك الخطأ

فهو يرى فيه فارساً يتفقد مدينته، وقد شبه المدينة بالحلبة ، فهي التي يخوض الشاعر مغامرته في ساحاتها وميادينها من أجل ناسها كما يفعل لاعب السيرك في حلبته من أجل جمهوره، وفي خضم هذا الحدث و ذلك التفاعل من الناس أو الحشود مع الشاعر جعلته يعبر عما خلفته المدينة وما يعج فيها من تمدن على الذات البشرية إما إيجابا أو سخطا.

يرسم الشاعر إنسان المدينة في هذه المقطوعة الشعرية، فالحبال هي ما يجابه من أهوال، والجمهور هو أناسها أو حشودها، فالشاعر هنا لا يهوى المزالق لكن الحشود تدفعه إليه دفعا، في ضوضاء عالية وبقرع الطبول، لأنّ المخاطرة هنا غير محسوبة العواقب، فالشاعر أمام حتمية النجاح أو السقوط المميت وحيدا، وهذه هي ميزة المدن؛ إذ أنها تدفع بساكنيها إلى السعي وراء المغامرات والمجهول.

وتخلص من هذا إلى أن:

- شارل أراد من المسرح أن يكون إنسانية يحاكي بالأحاسيس والعواطف ويعتبر بالعقل ويطرح المواضيع الإنسانية ويحكي التاريخ ويرسم الفنون التشكيلية و يسعى إلى التهذيب النفسي للإنسان.

أما عند حجازي فالمسرح حاكى واقع المدينة وتفصيلاتها، يرتاده العامة يعالج عديد القضايا الاجتماعية والسياسية والقومية ، عاكسا لها بصورة شاملة.

2-5- المدينة مصابيح في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

إنّ من أبرز معالم المدن هي تلك القناديل والمصابيح التي تستمد من عبق التراث والتاريخ رونقا جماليا مميزاً ، وربما أنها تعبر في لحظة ما عن مدى التمدن الذي تعرفه المدن، وقد أخذت حيزا مميزا في كتابات الشاعرين، **فبودلير** جعل من الليل منفذا زمنيا يضمد جراحه فقد كان "من هواة التجول ليلا. ولما كان الليل يجلب بالنسبة لكل مرضى الأعصاب نوعا من الراحة بينما كان النهار يجرح عيونهم ويسبب لهم آلام الصداع فإن بودلير كان يتأذى من الضوء ويتعب من الضجيج. كما أنّ الليل كان بالنسبة له الوعد بالراحة، والظلام البار ،والانتعاش بعد الجفاف والواحة بعد الصحراء والسكون بعد اللجب. لذلك كان الشاعر يجد في تبريحات ألمه على هذا النحو نوعا من السلام أو السكينة الوهمية"[1].

وهو ما جعله يرتبط بنورانية مصابيح الغاز التي ارتبطت بحداثة المدينة ، والتي عّبر من خلالها في إحدى مقطوعاته عن جمال محبوبته المرسومة في مخيلته، وشبه نور المصباح بضياء وجهها، وفي هذا يقول:[2]

على ضوء مصابيح الغاز الذي يلونه

؛حيث مشاعل المساء تشعل فجرا جديدا

وعيناك الجذابتان مثل عين وجه مرسوم

جعل الشاعر من مصابيح الغاز مصدرا للتغني بالمشاعر الجياشة، وفتحت باب للتغزل والعودة إلى

[1]) مؤنس طه حسين : **ملامح رومانسية** ، ترجمة محمد علي الكردي، 2006 الكويت ص 187

[2])شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 351.

الحنين المفقود، وجعل الضوء الصادر منهما يذكره بما يشع من عيني محبوبته ويقول في مقطع آخر:[1]

آه كم العالم كبير على ضوء المصابيح

وفي عيون الذكرى كم هو صغير .

يشير هنا إلى فساحة العالم الكبير على ضوء المصابيح والصغير في عيون الذكريات التي تدفعه إلى تذكر محبوبته التي يصف عيناها ويشبههما بالمصابيح ، ومن خلال هذا الوصف يوضح لنا ما عرفته المدينة من تغير في مظاهرها من جراء ابتكار هذه المصابيح التي أصبحت وجها بارزا من أوجه التمدن ويقول [2]:

عيناك المضاءتان كالحوانيت

وأعمدة الإنارة المتوهجة في احتفالات العامة

تستخدمان بوقاحة قوة مستعارة

ولأن المدينة العربية لم تكن بمنأى عن مسارات الحداثة، فلم تختلف أوجه مظاهرها الجمالية مع نظيرتها الغربية، وهو ما لمسناه عند الشاعرين، وبالحديث عن مصابيح المدينة ووقعها على الذات الشاعرة، فحجازي وظف في إحدى مقطوعاته مصابيح مدينته وربطها بشدة حنينه إلى الريف وصفائه، فهو يصف مصابيح مدينته بتلك الطيور الفارة من ضوضاء المدينة وسعيها لأماكن هادئة، غير أنّها تختفي مع بزوغ الفجر لتعكس آية الوجود، وهي إشارة منه إلى أنّ التمدن الذي طبعت به مدينته عكس الطبيعة، وكأنّنا بالشاعر

[1]) شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الرحلة)** ، ص 433

[2]) شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة أيها الخزي السامي)** ، ص 187.

حجازي يكنّ شعورا عميقا بأنّ المدينة أضحت سجنا للذات و لمصابيحها ، ونلمس هذا من خلال قوله :[1]

المصابيح هاربة كالطيور

ونحن نطاردها من نوافذنا العالية

حين تأخذنا صحوة الشمس تنأى المصابيح منسية

ثم تحجبنا غرف النوم، تغشى نوافذها

فتلوح المصابيح عندئذ

وتأخذ وقفتها تحتنا متألقة زاهية

ومن هنا فإننا نصل إلى :

- إضافة إلى نورها فكل منهما اعتبرها دليلا إرشاديا .
- كل منها جعلها السمة البارزة التي تميز فضاءات المدينة، واستمدا منها نورانيتها لتحقيق أحلامه.

2-6- المدينة حدائق في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تشكل الحدائق أمكنة أنس و رومانسية، ارتيادها يبعث الطمأنينة للذات لتغوص في مسارات الذكري و التأمل، ففضاءها الواسع المريح يزيل غشاوة الضغوط النفسية التي تولدت عن تلك المظاهر التي دفعت بها

[1])عبد المعطي حجازي .**ديوان وأشجار الأسمنت**. ص 17-18.

حالة التمدن بكل أبعادها، وقد حملت الحديقة عديد الدلالات والرموز في النصوص الأدبية والشعرية وكذا اللوحات الفنية .

وفي هذا يقول بودلير في قصيدة إلهامات[1]:

" في حديقة جميلة حيث كانت أشعة الشمس الخريفية تبدو وكأنها تتسكع باستمتاع وتحت سماء مخضوضرة كانت تطفو فيها غيوم ذهبية مثل قارات مسافرة ".

شكلت الحدائق بخضرتها متنفسا لنفس شارل بودلير الغارقة في الكآبة، يرتادها كلما تعاظمت آهاته للارتماء في أحضان الطبيعة. وقد صرح بذلك حين قال[2]:

أحيانا في حديقة جميلة

كنت أجرجر فيها وهني

أحسست ، كسخرية

بالشمس تمزق صدري

وكذا من خلال قوله :[3]

<<... إن في الحدائق العامة ممرات مسكونة أساسا بالطموح الخائب نحو هذه الأماكن بالذات ،

[1])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 699.

[2]) شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إلى تلك المبتهجة للغاية)** ، ص 465.

[3])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الأرامل)**، ص 650.

يحب الشاعر أو الفيلسوف توجيه تأملاتهما الشرهة ...>>

فشارل بودلير يرى في الحدائق فضاء مميزا يساعد الشاعر على التأمل أمام الآفاق البعيدة ، بل إنه يذهب أبعد من ذلك حين يجعلها مكان مقدسا في هذا يقول:[1]

آه يسوع فلتتذكر حديقة الزيتون

ففي بساطتك صليت راكعا

إلى من كان في سمائه يضحك لصوت المسامير

التي يغرسها جلادون سفلة في لحمك الحي.

في حين أن أحمد عبد المعطي حجازي أكّد على أنّ الحدائق هي فضاء يعج بالرومانسية ، وهو ما صرّح به في قوله:[2]

انتصف الليل عليها وهي لم تزل

تهيم في حديقة الميدان

كأنها عاشقة، جديدة، تحتار بين البوح و الكتمان !

غير أن هذا الفضاء هو الآخر أحد المجالات التي تقوده إلى العودة إلى الريف الحنين إلى تلك الفضاءات المريحة و الخلابة التي تعج بها الأرياف، ومن هنا نصل إلى أن :

[1])شارل بودلير **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة سان بير)** ، ص409 .

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الكاملة (قصيدة أغنية لأكتوبر)** ص374

- ✓ الحديقة عند الشاعرين فضاء للرومانسية والحب .
- ✓ الحديقة فضاء لهروب من ضغوط المدينة والتنفس.
- ✓ بودلير أعطاها بعدا دينيا في حين أنّ حجازي أعطاها بعدا جماليا
- ✓ كل منهما عبر من خلالها عن رفض التمدن والحنين إلى الطبيعة.

2-7- المدينة سوق في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

إن السياسات التي اعتمدها الإنسان المتمدن في تقسيم المناطق الحضارية التي بنيت عليها المدن أدت به إلى حصر التجارة في مناطق محددة منها، أوجدت من خلالها ما يعرف بالأسواق، والتي كان لها الأثر البالغ على طبع الإنسان وتطبعت هي كذلك به ، وهو ما دفع إلى بروز المدينة فيه من خلال تلك المعاملات التي تحدث داخله والمأخوذة من المدنية ذاتها، بل أبعد من ذلك فإن صفات البشر وأخلاقهم تميز من خلاله، وفي هذا يقول حجازي:[1]

في هذا العالم يا ولدي

في السوق المائج بالعجزة والجهلة

بالمقتولين والقتلة

نغرق في الكذب والتضليل

[1]) عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 514.

فهو جعل من المدينة سوقا لما رأى فيها من سوء معاملة وقلة أخلاق وانتشار الآفات كالكذب والتضليل والنفاق ..... وهنا يقول عبد المعطي حجازي: [1]

و تعلمت كلاما من لغات الأرض

استهوى الغريبات ليلا

واصطاد الدموع

صرت إن غنيت في الأسواق طارت نحوي الأشياء

أراد الشاعر تعلم اللغات ليستهوي بها الغريبات في الليل، وكأنه في سوق تباع فيه النسوة، ففي السوق تتعدد الأشكال والألوان والأقنعة " وأصبحت الحياة ساحة موت وهلاك تحاصر الإنسان وتقوده إلى الاختيار"[2]، غير أنّ مظاهره تعدد والأبرز منها :

2-7-1- المدينة زحام في شعرهما.

من أبرز الظواهر الاجتماعية التي شدت الشاعر هي الزحام الحاشد لمدينة باريس، فبودلير كان ينفلت بين الحشود هربا من حياة الضجر التي تملأه، فالحشود والزحام حياة أخرى حياة مليئة بالتجارب والإثارة. غير الحياة التي اعتادها في سراديب الوحدانية، "فالمتجول المنعزل والمتأمل يستمد نشوة فريدة من هذه

[1])أحمد عبد المعطي حجازي : الأعمال الشعرية الكاملة. ص 574

[2])حنان محمد موسى حمودة . **الزمكانية وبنية الشعر المعاصر (أحمد عبد المعطي نموذجا)** . عالم الكتب الحديث .ط1 . الأردن .2006. ص 102.

المشاركة الكونية، فمن يقترن بالجمهور بسهولة يعرف مباهج محمومة"[1].

كان هذا البوهيمي المتسكع دائم الإنسلال بين الحشود حتى في إقاماته المتعددة، فارا من مطالب دائنيه المادية، فقد كانت المقاهي ودور القراءة المكتظة ملاذا آمنا له، وعرف بودلير زحاما حتى في عناوين إقامته فقد أحصى "كروبية Crepet أربعة عشر عنوانا باريسيا لبودلير بين عامي 1842-1858".[2]

كما كان الزحام مشهد مكمل للأروقة الزجاجية " [3]،بحيث أنّ رواقا من هذا النوع هو مدينة، بل هو عالم مصغر " والممرات التي أتت بها الحداثة العمرانية والتي رصعتها بزخارف فنية متميزة، يرتادوها المتسكعون والبرجوازيون مصطحبين سلاحفهم التي تحدد خطواهم، في مشهد يوحي بالأرستقراطية، كان بودلير لا يتورع في التسكع فيها وبين زحامها منعزلا، فالحشود في نظر الشاعر أشباحٌ هائمة، ورغم أن بودلير كان" مشهد الزحام يؤثر فيه، ويكمن الانبهار الأعمق بهذا المشهد في حقيقة أنه بينما يوصله إلى الانتشاء فإنه لا يعميه على الواقع الاجتماعي المرعب "[4] فيقول :[5]

هكذا يمضون في الظلام الشامل

شقيق الصمت الأبدي، آه أيتها المدينة

فيما تغنين وتخورين

---

[1])عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 648.

[2]) فالتر بنيامين ، **بودلير شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية** ، ص 52.

[3]) المرجع نفسه . ص 38

[4])المرجع نفسه. ص 66.

[5]) شارل بودلير . **الأعمال الشعرية الكاملة**. ص 335.

مأخوذة باللذة حتى الفظاظة

ويقول في قصيدة العجائز القصيرات:[1]

وعندما ألمح شبحا واهيا

يعبر المشهد الحاشد لباريس

يبدو لي دائما أن هذا الكائن الهش

إنما يمضي الهويني إلى مهد جديد

كان "**شارل بودلير**" يعيش عوالمه السحرية بين الزحام هروبا من الحضارة المقيتة التي أوجدها الحداثة ،يقول" سأمضي في هذا العالم البشع، مدفوعا بالمناكب في الزحام"[2]، فهو يرى أنّ الزحام أشبه بالغابة فيه يمكنك الصيد المراقبة والقنص. ويقول في هذا [3]:

متراصين ، متزاحمين ، كمليون دودة معوية

يعربد في عقولنا حشد من الجن،

وعندما نتنفس ، ينحدر الموت إلى رئائنا

نهرا خفيا مع الأنات الصمّا

[1])شارل بودلير. **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 331.

[2])شارل بودلير **اليوميات** . ص 90.

[3])شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إلى القارئ)** ، ص 116

كما غدت أمكنة باريس المحتشة بالزحام لدى بودلير فضاءات لاحدود لها لكن تغدو سرابا حين سكوها وخلوها ساعتها" تبدو المدينة على حقيقتها، فتغيب الحركة والعلاقات التي كانت سائدة، ليظهر الخواء"[1] يقول:[2]

في مكان آخر، بعيدا بعيدا عن هنا بعد الأوان أبدا ربما

لأني أجهل إلى أين تفرين، ولا تدرين إلى أين أمضي

أماّ عند عبد المعطي حجازي "فالمدينة زحام ،والزحام فوضى وتنافس وهمجية "[3]فالإنسان يضيع في زحمة المدن وشوارعها المكتظة وهو ما يألفه حجازي فيقول[4].

شوارع مختنقات مزدحمات

أو كما قال[5]:

وأشد صاحبتي وأرحل في زحام المدينة

لاندري غدا ماذا يكون

كما فزع الشاعر من زحام المواصلات الحديثة في المدينة التي جعلته يعيش اغترابا زمنيا، فهو المتعود على الرتابة الزمنية فشكل له الترام حدثا جللا، غير معتاد على رؤيته في القرية مما جعله يشعر بفجوة زمنية،

[1])أحمد زياد محبك. **الشاعر والمدينة قراءة في نص شعري** ،بمجلة فصول 1996. ص 332.

[2])شارل بودلير. **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 338.

[3]) علاء خالد. **فردوس المدينة الضائع. قراءة في رواية الصحراء**ص 70.

[4]) عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 126.

[5]) عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 484.

فقد" تحول الزمن من مجرد علاقة يومية إلى عامل معنوي يتحكم في المدينة وتحولت الآلة من مجرد شكلها الخارجي للحياة إلى سلوك بشري، وعكست سمات الزينة في المدينة زيفا داخليا يناقض هذا الشكل الخارجي المتأنق"[1] لذا نرى الشاعر يقول :[2]

الناس في المدينة لا يحفلون

أشباحهم تمضي تباعا لا ينظرون

حتى إذا مر الترام بين الزحام لا يفزعون

لكنني أخشى الترام

كل غريب هنا يخشى الترام

نرى أن الشاعر وقف مذهولا " يرصد هنا تفاصيل عالم المدينة المزدحم المتوتر، رصدا بصريا خالصا، ينتمي إلى عصر الصورة ويكشف معاناة الكائن البشري واغترابه في هذا الزحام الخانق "[3]، كما كان الشاعر شديد الإدراك أن المدينة تترصد خطواته وتدفعه إلى التخلي عن آماله وأمانيه وتتفرد بعذابه دون غيره من حشود المدينة الهائلة فيقول[4]:

شمسك يا مدينتي قاسية عليا وحدي

---

[1]) السعيد ورقي:**لغة الشعر العربي الحديث، مقوماته الفنية وطاقاته الإبداعية. دار المعرفة الجامعية**. ط1 2011. ص 370.

[2])عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة**. ص 115.

[3])شريف رزق :**قصيدة النثر المصرية شعريات المشهد الشعري الجديد**. ص98.

[4]) عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة**. ص 279.

تتبعني أن ذهبت

تأكل ثوبي وتعري سوأتي

أشعرت المدينة الشاعر بالوحدة وألبسته رداء الحزن فقال:[1]

عندما أمضي الحزن تصبرت وقلت

هذا لأنني في مدينة كبيرة

في هذه العثرات والمعاناة حلم الشاعر بمدينة فاضلة ،" فالمدينة الفاضلة من الأفكار التي انتهجها الإنسان في مواجهة الصعاب"[2]،وهي ذاتها التي تعتري الذات الشاعرة في المدينة الكبيرة.

ومنه فالزحام في شعريهما كان :

- ✓ شكل الزحام لدي بودلير ظاهرة هلامية من الحشود التي تميم في حرية مشبعة بالفقد والعزلة، وهي المشاهد التي أحبها الشاعر في الزحام، فحركيته السريعة جعل لديه كل شيء مبهما، وهو ما يرتضيه الشاعر ، فالحشود والجمهور المتلاطم رأى فيها مشهدا حداثيا.
- ✓ كانت رؤية الشاعر حجازي ، للزحام فردية في موضوعها، وهي نظرة ثاقبة تنم عن مفارقة المجتمع وأعرافه التقليدية التي ألفها الشاعر، ففي الزحام ربط الشاعر حالته المتوجسة في المدينة بحالة اللاّشعور التي أبداها المجتمع في صورة الزحام، وهو ما عمق حنقه على المدينة .

[1])عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة**. ص 318.

[2])مختار أبو غالي. **المدينة في الشعر العربي المعاصر**. سلسلة عالم الفكر.1988م. ص 363.

2-7-2- المدينة جامع خرق (في شعرهما):

لم يكن **شارل بودلير** راضيا عمّا آلت إليه الحياة الاجتماعية في مدينة باريس ، فالشعب يئن في البؤس، تحت الأبراج العالية التي زادت اتساعا إثر عمليات التحديث؛ حيث أدت العملية الصناعية في باريس إلى ظهور جامعي النفايات ،فقدت تكدست أكواخهم في الشوارع بين ركام ما جمعوه من النفايات لإعادة بيعها عبر وسطاء[1]، عكس هذا المظهر الاجتماعي رؤية بودلير للحداثة السلبية لباريس، فالثورة الصناعية ظلالها معاناة إنسانية.

جعل بودلير من جامع النفايات مشهدا إجتماعياً بائسا ،فيقول :" **أمامنا رجل عليه** أن **يجمع نفاية النهار في العاصمة، إنه يصنف ويجمع كل ماتلقيه المدينة الكبيرة، كل ماتفقده، كل ما تحتقره، كل ما تسحقه تحت أقدامنا**"[2]

فإنّ المدينة الحديثة تريد بعث ذاتها من رماد دمارها لطمس تناقضاتها التي هيمنت على مشهدها، فكانت حوافها أمكنة متاحة لعرض تناقضتها بعيدا عن مركزها، وهو ما نشاهده في جامعي الأسمال والخرق، الذين أشار إليهم بودلير في قوله:[3]

حقا، فهولاء الناس المنهمكون بالهموم المنزلية

المطحونون بالعمل، المعذبون بالزمن

[1]) انظر فالتر بنيامين. **شارل بودلير شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية**. ص 17.

[2]) فيصل دراج: **حداثة بودلير وصرايا المدينة الحديثة** . ص 57.

[3]) شارل **بودلير الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 369.

المرهقون، المحنيون تحت ركام الأنقاض

القيء الغامض لباريس الضخمة

فجامع الأسمال عند **بودلير** مخلوقٌ آت من الجحيم، يتأمل الشاعر في مصير كآبته التي لا تنتهي، ويتأمل في أسطورة التقدم التي تشتق الذهب من الأوحال، وتعيد الذهب إلى وحل جديد فجامع الأسمال يفتك أقنعة زمن الصناعي "[1]فهؤلاء عند شارل بودلير مسحوقون:[2]

بل إن أغلبهم لم تعرف أبدا

عذوبة البيت وأبدا لم يعيشوا

فشارل يألم لحال هؤلاء، لحال الإنسان المقهور في سراديب الكونية ، وقال عنهم:[3]

هكذا في الغابة التي تنفي فيها روحي نفسها

تدوي ذكرى قديمة بملء صوت بوق

أفكر في البحارة المنسيّين بإحدى الجزر

في الأسرى والمهزومين... وفي الكثيرين غيرهم

[1]) فيصل دراج . **حداثة بودلير وصرايا المدينة الحديثة** ص 57.

[2]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 344.

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص324.

ويقول كذلك .[1]

فالموتى ، الموتى الفقراء يعانون من آلام هائلة

وعندما ينفث أكتوبر ، مشذب الأشجار الشائخة

ريحه الكئيبة على رخام القبور

أمّا عند حجازي فإنّه يرى في الطفل بائع الليمون مشهدا مقاربا لمشهد بائعي الخرق عند بودلير، وفي هذا الباب يقول:[2]

تحت شعاع مسنون

والولد ينادي بالصوت المحزون

عشرون بقرش

بالقرش الواحد عشرون

فالباعة الصغار يشكلون غالبا" مشهد من مشاهد الحياة اليومية في المدينة، ولكن وضع هذه الصورة المركبة داخل الإطار العام لنتاج الشاعر ... لما فيها من إشارات خاطفة إلى الريف والمدينة وما يتخللها من

[1]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة خادمة ذات القلب الطيب)** ، ص345.

[2]) عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 31.

تعاطف بين الشاعر والليمون. كل هذا يتخطى حدود الدلالة الظاهرية، إلى مستوى الإيحاء الباطني[1].

فالأطفال الصغار ولقسوة المدينة على ضعفائها يلجأون إلى الأسواق لكسب عيشهم ،رغم أنّ مكانهم في المدارس رفقة أتراكم. وهي صورة تكاد تكون عامة في جل المجتمعات العربية.

2-8- المدينة مستشفى في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

شكلت المشافي عبر التاريخ أهم مخرجات التمدن وأبرز مظاهر المدينة ، وبالإضافة إلى الوظيفة العلاجية المسندة إليها فإنّها تعكس وجه المدينة وتحضّرها، والأبعد من ذلك أنّ المدينة تنعكس فيها من خلال بسط ثقافاتها وتعاملاتها داخل هاته الأماكن ، وفي هذا الباب بحد بودلير يقول:[2]

"هذه الحياة مستشفى تتملك فيها كل مريض الرغبة في تغيير السرير، فهذا يريد المعاناة أمام المدفأة، وذاك يظن أنه سيشفى بجوار النافذة ."

جعل **بودلير** من مدينة بأكملها المستشفى الذي انزاح به من وظيفته العلاجية إلى دلالته السلبية، ووصف سكان المدينة بالمرضى فيه. فإحساسه بالقهر المقرون بالكآبة، ولّد شعور عميق بألام البشر من الذين رسفتهم المدينة ووأدت أحلامهم وأمانيهم يعيشون ليموتوا بدون أن يشعر بهم أحد.

وفي الجهة المقابلة ،فإن المستشفى عند أحمد عبد المعطي حجازي لم يتم ذكره أو الإشارة إليه، وربما

[1]) محمد فتوح، **الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**، دار المعارف،القاهرة ، ط2،1978،ص 327

[2]) شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة أي مكان خارج العالم)**،ص 731

هذا راجع لعدم تعامله معه على النحو الذي عرف عند **بودلير** ، ومن هنا فإنّنا نخلص إلى أنّ :

✓المستشفى أخذ حيزا مهما في كتابات شارل بودلير على العكس مما هو عند أحمد عبد المعطي حجازي.

✓تعامل شارل بودلير مع المستشفى كان بدافع من الوضعية الصحية التي عاشها ،والتي جعلته يعبر عما عاشه في العديد من المرات، وأسقطه على المدينة بأكملها ، والتي انعدمت عند حجازي.

3- المدينة فضاءات مقدسة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي:

تتشكل المدينة من فضاءات مقدسية ترتبط بها الذات الشاعرة، ما يخلق بعدا عميقا على عدة أصعدة دينية منها وتاريخية. فالذات تسعى لتشكيل المكان في النص الشعري ببعده الروحي الوجداني والمكاني، وهو ما يشكل مبعثا للقيم الإيمانية التي تربط الشاعر بأمكنته، ومن ثم يحقق هذا المبعث تفاعلا للذات الشاعرة بما يحدثه فيها. و هذا الفضاء الديني ينم عن الوعي الإنساني بأهمية الرابطة الوثيقة بين السماء والأرض، وعلاقتهما بوجوده ،ومن هنا نما ربط الشاعر بين حسه الديني وحسه المكاني ويختلف التفاوت في هذا الحس باختلاف إيديولوجية الشاعر وعقيدته الإيمانية وعمقها، والتي تحلت لديهما في العديد من الأماكن نذكر منها:

3-1- المدينة دور عبادة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

يعتبر الدير أو الكنيسة مكانا للعبادة ولإقامة رهبان النصارى ،كما يعدّ الدير من أهم فضاءات المدينة

الغربية تميزا. لما يضفيه من قداسة وروحانية على حياة السكان، يتخذ عدة أشكال فنية تتسم بطراز رفيع. وشكلت الأديرة والكنائس نويات لعديد المدن الغربية منذ العصور القديمة ، وهذا الأمر لا يختلف كثيرا في الحضارة العربية ،فالمساجد ودور العبادة كانت مراكز لعدة مدن، وهو ما أشرنا إليه سابقا، والتي يقول عنها شارل بودلير في قصيدة الراهب الفاسد[1]:

Les cloîtres anciens sur leurs grandes murailles

Étalaient en tableaux la sainte Vérité,

Dont l'effet, **réchauffant les pieuses entrailles**,

Tempérait la froideur de leur austérité.

وقد ترجمه رفعت سلام على نحو [2]:

كانت الأديرة القديمة

تعرض في لوحات على الأسوار الهائلة، الحقيقة المقدسة

التي كان تأثيرها، الملهب للقلوب الورعة

يخفف من برودة زهدها

فكان الدير عند شارل بودلير رمزا للعذاب الإنساني ورمزا للخلاص، رغم أنّ الكنيسة حرمت ممارسة

[1])Charles baudelaire: **les fleurs du mal**, p10.

[2]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الراهب الفاسد)** ص 143.

التمثيل وتقديم العروض المسرحية في القرون الوسطى، لكنّها أدخلت فيما بعد مشاهد صغيرة في مجرى الأناشيد المعروفة في جميع الكنائس باللغة القومية لكل بلد كون اللغة اللاتينية كانت سائدة على الجو الكنائسي، وهنا توسع حجم الهوة التي حدثت ما بين فضاء الكنيسة المقدس والفضاء الدنيوي للحياة[1] "

جاء الدير في قصائد **شارل بودلير** ليعكس حياته الدينية متقلبة المزاجية، كما كان للأديرة لديه عالم من الأسرار لها قدسيتها المكتسبة عبر التاريخ، يقول **شارل** " حرص الكنيسة على أن تفعل كل شيء و أن تكون كل شيء هو قانون من قوانين الفكر البشري"[2].

وفي المقابل، فإنّ الفضاء المقدس لدى حجازي هو المسجد، مثله مثل كل شاعر عربي، لما للمسجد من مكانة في أوساط المجتمعات العربية، والذي أشار إليه من خلال هذا المقطع الذي لم يكن التصريح واضحا بالمسجد غير أنّه أكّد على الإخلاص في أداء العبادة، في أيّ مكان أُديت فيه، فهو لم يربط الديانة بالمكان ، وهو ما صرح به في قوله [3]:

أنا في الصف المخلص من أي ديانة

يتعبد في الجامع أو في الشارع

غير أنّه يشير إلى القومية من خلال ربط الصلاة بالمسجد الأقصى و يقول[4]:

[1])عبد الناصر حسو: **ثنائية الفضاء الأسطوري والواقعي**، يومية الثورة مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر عدد2016/01/26

[2]) شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة** . ص 52

[3])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 207.

[4]) أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الكاملة (قصيدة الرحلة ابتدأت)** ، ص 495.

ومن الذي سيؤمنا في المسجد الأقصى

ومن سيسير في شجر الأغاني والسيوف

ونجده في هذا المقطع الأخير وسّع دلالة المسجد لتتحول من رمز للمدينة إلى رمز أكبر منه متمثلا في القومية ، وكخلاصة دور العبادة مدينة عندهما نقول :

- ✓ إن وجود دور العبادة تعد من أبرز مظاهر التمدن، وتعبر عن مدى التطور العمراني الذي مرت به المدن، وتعبر عن مدى الرابط بين سكان المدن وعقائدهم.
- ✓ تشكل الأمكنة المقدسة فضاءات روحانية سامية المقام.
- ✓ استمدت قدسيتها على مر التاريخ بوصفها حواضن الطقوس الدينية الباعثة للطمأنينة الروحية والوجدانية .
- ✓ أخذ المسجد عند حجازي رمزا مدينيا في ذات الوقت الذي رمز به إلى القومية.

3-2- المدينة مقابر في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

المقبرة مكان مغلق له الأثر البالغ في نفسية الشاعر يذكرها على ذمة الشعور الحزين المأساوي، مصورا ما يكتنف نفسه من آلام والخيارات داخلية جعل من المقبرة شبيها لحالته .

وجاءت المقبرة عند **شارل بودلير** بعيدة عن توصيفها التقليدي الغالب بالموحشة ليجعل منها فضاء محددا للحياة.و الانبعاث ويقول[1] :

[1])شارل بودلير : الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة شؤم) ، ص 147

وإلى مقبرة معزولة

فلتمض يا قلب مثل طبل مبحوح

وأنت تدق الألحان الجنائزية

ويقول:[1]

المقبرة، الهائلة بلا أفق

حيث ترقد في أضواء شمس ذابلة بيضاء

شعوب التاريخ القديم والحديث

تمثل المقابر عالما هامشيا للمدن، لجأ إليها شارل بودلير بؤرا لقصائده ليجعل من ذلك العالم الهامشي مركزا لجنوحه الوجداني الغارق في قاع الموت الأبدي، فقد " بدت المدينة، مدينة قبور أو قبرا أسطوريا مستمرا في وظيفة الدفن عبر التاريخ "[2]، وهو ماعبرت عنه الذات الشاعرة لشارل بودلير الذي يقول :[3]

أنا مقبرة يبغضها القمر

يزحف فيها مثل الندم دود طويل

ينكب دائما على أعز موتاي.

---

[1]) المرجع نفسه ، ص 281

[2]) صلاح صالح: **المدينة الضحلة، تثريب المدينة في الرواية العربية**، ص 168

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 290

يحاول **شارل بودلير** إبراز مدى كثافة الهموم التي تثقل كاهله في هذا العالم العقيم، فهو الطامح إلى حياة أبدية بحس عدمي ، لذا فالمقبرة كمكان " يمثل هنا عنصرا ظاغطٌ على الذات لإخراج ما بداخلها ، وإسقاطه على المكان، كما أنّه يحرك كوامن الذات ،ويبيّن ما يراودها تجاهه من مخاوف ليست إنسانية فقط ، بل إنسانية كونية كامنة في اللّاوعي البشري و توهماته"[1]

هذا وقد تكون عند **بودلير** مدينة بأكملها قبرا كحال مدينة بروكسيل في نظره، ويتأكد هذا الوصف الذي قدمه من خلال مشهد مدينة بروكسيل التي عانى فيها كثيرا، ففي بلجيكا كما قال: "ليس ثمة واجهات محلات، التنزه الذي يحبه الأصم ذات الخيال ليس ممكنا في بروكسيل، ليس هناك ما يرى والشوارع غير قابلة للاستخدام[2] " يقول[3]:

طلب مني كتابة على قبر

بلجيكا الميتة، سدى

أحفر، أرفس وأركل

لم أعثر إلا على كلمة واحدة *أخيرا*

أما عند الشاعر **حجازي** فالوصف والدلالة تختلف، يقول حجازي[4]:

[1])قادة عقاق : **دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر** ،ص 284.

[2])فالتر بنيامين : **شارل بودلير، شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية** ،ص 55.

[3])شارل بودلير . **الأعمال الشعرية الكاملة (نقش على قبر بلجيكا)**، ص 609.

[4])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة رسالة إلى مدينة مجهولة)** ،ص 226.

في غروب الشمس تنحني، على القبور، وما وجدت زورقا يقلني

لم أستطع وداعه في يومه الأخير

فالشاعر مأسور في جزيرة (المدينة والمياه تحيط به من كل جانب، ويبحث عن زورق اللحاق بركب المودعين لأبيه لأسباب قد تكون مالية أو ظروف أخرى كانت المدينة مسببا فيها.

ويقول:[1]

وكأنّما صارت لها روح المكان الأخروي

قبر ضليل في فلاة

أو معبد ناء تهوم في زواياه صلاه

ويقول :[2]

أنبش أعماق الجذوع الناشفة

عن برعم أوحشرة

أنبش صمت المقبرة

من خلال الأبيات جعل الشاعر من المقبرة مبعثا على عذاباته بعد أن حمل الدلالة طاقة شعورية تنم عن حجم المعاناة ،فهو العاجز والفاقد للقدرة على المحاكمة والتحرك وسط المدينة التي أصبحت يسودها

[1])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الكاملة (قصيدة بكائية لبلاد النوبة)** ص 534

[2])أحمد عبد المعطي حجازي : **الأعمال الكاملة (قصيد تروبادور)** ص 579

صمت رهيب فحال سكانها كالموتى وأعجاز النخل الجافة.

4- المدينة فضاءات مدنسة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

على مر العصور مرّ الإنسان بصراع مرير بين المدنس والمقدس ، فالشيء الوحيد الذي يجمع بينهما هو حالة عدم التجانس و التضاد المطلق ، فالمدنس يقصد به ما غاب عنه الطهر بشتى أشكاله، وقد تجلى في عديد الأماكن أبرزها:

4-1- المدينة دور دعارة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

ارتبطت الدعارة على امتداد المجتمعات البشرية بالوجه الخفي السفلي المنحط ،فكانت دور المفاسد الأخلاق ومرتعا لتعاطي الملذات الروحية والجسدية، ومع الحداثة أعطتها الصبغة الشرعية،، وأرست لها قوانين وأضحت هذه الدور ظاهرة للعيان فكأنما عكست منظومة القيم، ولم يعد هناك ما هو خفي للمدينة الحديثة،.

ومن خلال مقال "**رسام الحياة الحديثة**" الذي كتبه **شارل بودلير**، و الذي من خلاله يؤكد فيها على أنّ العاهرة صورة مميزة تمثل بامتياز نشوة الحضارة، إذ أنّ باريس أصبحت في تلك الفترة تعج بمظاهر الدعارة التي أصبح شبه مستحيل التخلص منها ، وأخذت تتطور حتى عدت شراً لا بّد منه.

عرفت التحديثات التي مست باريس تغيرا اجتماعيا هائلا ؛بحيث أصبحت الدعارة مقننة فشكلت بذلك مشهدا من مشاهد الحياة اليومية في المجتمع الفرنسي؛ حيث أخضعت السلطة بيوت الدعارة إلى

تنظيم خاص مكنت من خلاله بنات الليل ممارسة نشاطهن بكل حرية مقابل تسجيلهن في مراكز الشرطة. وبدفع ضرائب أحيانا. فالمومس أو العاهرة في الفكر الرأسمالي سلعة تخضع لمبدأ العرض والطلب. وانعكاس ذلك على فلسفة **شارل بودلير** الموغلة في المجون والعهر فنظرته إلى باريس خضعت إلى هاته الرؤية، فهي عاهرة تقبل كل غريب وتتجمل لكل وافد؛ حيث يقول في قصيدة غسق المساء:[1]

عبر المصابيح التي تعذبها الريح

تستعر الدعارة في الشوارع

مثل قرية نمل تفتح دروبها

في كل مكان تشق لنفسها طريقا خفيا

مثل العدو الذي يحاول شن هجوم خاطف

تمور في قلب المدينة الأوحال.

وكان لهذه التحولات للحياة الاجتماعية في باريس الأثر الشديد على البسطاء من ساكني المدينة، فقد ظهرت الطبقية بشكل بارز، وبانت من خلال سيطرت البورجوازية ، وهو ما دفع بالمرأة إلى مزاولة العهر تخفيفا لتكاليف الحياة الشاقة، و"رغم أنّ الفكر البرجوازي في القرن التاسع عشر، كان يصنّف العاهرات والعزاب في فئة المصابين بالجذام الأخلاقي، لقد كانوا مرفوضين منبوذين مهمّشين لدرجة أن مصيرهم كان

[1]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 342

محددا بحتمية المرض والشقاء أو الموت المبكر"[1]، يقول في قصيدة مقامرة[2]:

في مقاعد وثيرة بالية عاهرات عجائز

شاحبات، مصبوغات الرموش عيونهن غانجة قاتلة

متظرفات ومن آذانهن النحيلة يتساقط صليل المعدن والحجر الكريم

وحول طاولات القمار، وجوه بلا شفاه وشفاه بلا لون، وأفواه بلا أسنان.

وأصابع متشنجة بفعل حمي جهنمية تفتش الجيب الخاوي أو الصدر النابض.

اختلفت تلك النظرة الرومانسية التي أبداها مختلف الشعراء لمدنهم غالبا عن رؤية بودلير، فقد أزاح غشاء الرومانسية عن مدينة باريس، فهي لم تعد كما كانت تلك المدينة العتيقة الجذابة، فقد أضحت حديثة حداثة مصانعها ومنشآتها ونسيج عمرانها، فلم تعد سماؤها صافية بل لبدتها غيوم المصانع المتعاركة مع سحابها، وحتى أطرافها عرفت توسعات عشوائية أثقلت كاهل جمالها المتبقي من زمن ماقبل الحداثة، فباريس كما رآها شارل بودلير أضحت له مدينة المتناقضات الدائمة والأحزان الهائمة والشرور النائمة، ففيها شرائح مجتمعية مهلهلة ممزوجة بطبقية مقيتة، حيث شرار السياسة والبرجوازيون والسفلة.

يقول شارل[3]:

---

[1]) محمد المحماصي: **عزوبية الفنان الحداثي مجلة الجديد** العدد36 (2018) ص 130

[2]) شارل بودلير ،**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص346

[3])شارل بودلير **سأم باريس** تر: أحمد أحمد مرا: كاميليا صبحي ص 159

حيث يمكن تأمل المدينة في اتساعها

المستشفى والمبغي والمطهر والجحيم والسجن

حيث تفتح الفحشاء كلها تفتح الزهرة

يصور لنا الشاعر واقع مجتمعه بصورة الواقعية في مواقف فكرية تبرز رؤى الشاعر الحال مجتمع مدينته ولذا فإن " إلتفات الشاعر الحديث إلى المجتمع عموما ومجتمع المدينة بشكل خاص هو من أبرز ظواهر هذه الرؤية ولم تكن أهمية المدينة نابعة من كونها إطارا مكانيا لما يجيش به المجتمع من حركة وتشكل مستمرين للقيم وأنماط الحياة، بل باعتبارها عقرا لهذه الحركة وهذا التشكل وباعثا عليهما من جهة ومحصلة لها من جهة أخرى [1]" حيث يقول[2]:

سأعود الى الجحيم

باريس القذرة

باريس الضجر كما لم أضجر من قبل

أخالها عبر مسارات الصيف حين تضئ الشمس أصداء الشوارع

حيث النهار يبحث عن الخلود

حيث النهار يأتي بالضجر

[1])على جعفر العلاق : **المدينة في الشعر ، دراسة في موقف الشاعر العراقي من المدينة**، ع5، العراق ، 1986، ص 46

[2])شارل بودلير : الاعمال الشعرية الكاملة، ص 215.

ويقول في قصيدة الساعة الواحدة صباحا[1] :

حياة فظيعة؟

مدينة فظيعة

ومن خلالها رسم لنا بودلير مشهدا بانورامية عن الحياة في المدينة الحديثة التي عايشها وتعايشها باريس، بدا شارل بائسا تحذوه رغبة رهيبة في الانتقام من المدينة التي فقدت عذريتها حسب رأيه، جراء عملية التحديث التي مستها لانها فقدت قيمها ومثلها فأضحت المدينة تحثم على صدره رغم رحابتها واتساعها. حتى وإن كانت باريس القديمة تعاني الشوارع الضيقة المكتظة مع ارتفاع مبانيها وما خلق جوا خانقا متعفنا ما جعل الأوبئة والأمراض تفتك بها كما حدث سنة 1832م.

فقد رسم بودلير تفاصيل الحياة التي تسري في باريس يوميا ، وعبر بوضوح عن انكسارات سكان المدينة، وسعى إلى التركيز على الهامش وأحواله المرعبة فكتب عن الحب والجنس والخيانة والإدمان ، وهو ما دفع الكثير من النقاد إلى اعتبار بودلير مجسدا للرومانسية السوداء التي باتت جزءا من الهوية الحداثية الجديدة ، وقصائده الشعرية والنثرية في كتابي "سأم باريس" و"جنات مصطنعة" ومقالاته الصحافية هي ما دفعهم إلى هذا الحكمماوردفيقوله[2]:

ماري، التي أنقذتها من رجل الشرطة

[1])شارل بودلير ،**الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 643

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 282

قبل ليلتين

رأيتها في الليل، تمشي وحدها على البلاج

تعرض ثدييها الاثيني لقاء ليرتين

بعد أن جزنا الطريق مسرعين

واصطفق الباب، وأحكم الرتاج

قصت علي قصة الشاب الذي أنقذها

من ليلتين

ثم بكت ... وابتسمت وكان نور القمر الغارب يملأ الزجاج

من خلال هذا الوصف الذي يقدمه الشاعر لماري، تعد " صورة المومس وسيلة أخرى للوصول إلى شاعرية المدينة (...) إنها ضعف المدينة لأنها من لحم ودم في عالم الحجر هذا (...) وتحت ظروف معينة يشعر الرجل أنه يملك المدينة من خلال المرأة"[1]، وفي الوقت ذاته دلالة على وجود بيوت الدعارة ولو بنحو مستور لخصوصية المجتمعات العربية فالبغاء ظاهرة رغم وجودها إلا أنه يغطيها السكوت عنها .

4-2- المدينة سجون في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

يشغل السجن لك " تيمة" أو " موضوع" حيزا هاما في الخطاب الشعري، يرادف طرحه غالبا للدلالة

[1])دينا حشمت. **القاهرة في الأدب الحديث والمعاصر. من حلم المدينة الكبيرة إلى عزلة الضواحي**.ط1 2006 القاهرة ص65

على الإذلال والإكراه والحرمان، فهو المكان الموحش والقاهر، ينم عن شتى ألوان العذاب في السراديب المجهولة.

فالواجِ إليه أشبه بالميت فعتمة ثناياه مفزعة، وحريته مقيدة إلى أنظمة وقوانين تجعل منه وحيدا مسلوب الإرادة والشخصية والحرية ورغم أن الشاعرين لم يلجا السجن إلا أنهما جعلا منه معادلا موضوعيا لعمليهما الفني عكستها تجاربها خارج أسواره ضمن الحياة الاجتماعية الواسعة وهو ما نقف عليه في شعريهما.

يقول شارل بودلير[1]:

وحين تتحول الأرض إلى زنزانة دبقة

فيما يتخبط الأمل مثل خفاش

في الجدران بجناحه المفزوع

وترتطم رأسه في سقوفبالية.

من خلال المقطوعة الشعرية نرى مدى تأثير المحيط الذي يعيش فيه الشاعر فغدت الأرض رغم سشاعتها سجنا لذاته ، سجن بدون جدران مرئية ومقرونة تلك الحالة بالكآبة التي تزداد حدتها كلما تعاظمت هيجانته الداخلية المضطربة. وقد أكد هذه الرؤية أيضا فيقوله[2] :

وحين يقلد المطر وهو ينشر خيوطه الهائلة

[1])شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة سأم** ، ص 294.

[2])شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة سام**،ن ص.

قضبان سجن شاسع

شعب أبكم من عناكب مقززة

أما عند حجازي فالسجن يختلف تبعا لتأثيرات الحياة الاجتماعية في المدينة على نفسه، وأخذ السجن عنده دلالات عدة تراوحت بين السجن كواقع والسجن كرمز وهو ماظهر في عديد المقاطع الشعرية ومنها قوله[1]:

السجن ليس دائما سورا وبابا من حديد

فقد يكون واسعا بلا حدود

كاليل كالتيه

نظل نغدو في فيافيه

حتى يصيبنا الهمود

ويقول كذلك[2]:

كأنما بيني وبين الناس قضبان

كأنني سجين !

وقد بلغ به الأمر إلى درجة أن جعل من البيت في المدينة سجنا لا يقل وحشة عن السجن الحقيقي، وفي

[1])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 380.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الكاملة (قصيدة العيون)**، ص 231.

هذا بحد قوله[1]:

الصمت و الجدران والظلام

آلهة البيت الذي به أنام

آلهة.. لاتعرف الكلام

و رغم أن البيوت تشكل غالبا مرتع الراحة والسكينة والهناءة، و هو مكان للدفء الحميمي والأمان من الأخطار والشدائد ، فقد يصبح البيت سجنا حين "لا تقام البيوت وسط محيطها الطبيعي، تصبح العلاقة بين البيت والفراغ مصطنعة، كل ما يحيط بها يصبح ميكانيكيا والحياة الأليفة تنقلت هاربة في كل اتجاه"[2] ، وهنا نرى البيت" الحيز الذي يبدو أكثر انفتاحا وأقل انغلاقا قياسا إلى السجن، فالمكان له صدى نفسي إزاء نفس الشاعر يثيره بمقدار عمق ذكرياته المتعددة التي عايشها فيه وتبقى الأمكنة الماثلة للعيان بأطلالها الأشد وطأة على ذات الشاعر ويقول:[3]

نغلق أبواب البيوت خلفنا

لأن أرضا لاتضم أهلنا ليست لنا

والوجه إن لم يحتفل بنا بدا مسطحا بلا خدود

وتبقى الأمكنة الماثلة للعيان بأطلالها الأشد وطأة على ذات الشاعر ، ولها شديد التأثير عليهما ومن هنا

[1])أحمد عبد المعطي حجازي ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العيون)**، ص 233.

[2])غاستون باشلار: **جماليات المكان** مرجع سابق ص 53.

[3])حنان موسى محمد حمودة: **الزمكانية وبنية الشعر المعاصر** مرجع سابق ص 12

نخلص إلى أن :

✓شكل السجن عند شارل بودلير فضاءا واسعا شمل الوجود بشتى مظاهره، في حين كان عند حجازي مجرد فضاء فضيع للعقاب.

✓أخذ السجن عند بودلير بعد رمزيا ، في حين عند حجازي كان واقعا ملموسا أكثر منه رمزا.

✓مفهوم السجن وصل عند حجازي حد البيت في حين عند بودلير كان او سعمن ذلك.

الفصل الثالث:

المظاهر المعنوية للمدينة في شعر

شارل بودلير وعبد المعطي حجازي

(3) الفصل الثالث

المظاهر المعنوية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

1- المظاهر الاجتماعية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-المظاهر الأخلاقية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

3- المظاهر السياسية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

4- المظاهر الثقافية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1- المظاهر الاجتماعية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تعدّدت المظاهر الاجتماعية في المدينة " فالمدينة من جانب آخر – قامت دائما على التنوّع؛ بحيث كانت ولا تزال أشبه بوعاء ضخم فضفاض لطبقات اجتماعية عدة ،لأجناس وديانات شتى وثقافات مختلفة، ولأشكال من الوعي متباينة"[1]، وإذ اكان إنسان المدينة بإمكانه في فضاءاتها العامة أن يرتدي قناع الهدوء والتصنع بالصلاح والتصرف بالسلوك السوّي و اللاّمبالاة حيال البقية من الأفراد ،فهو في الوقت ذاته منكّب على حياته، وأموره الحياتية المدينية الخاصة بدون قيود كبيرة، كما أنّه قابل للتفاعل والتطور وتغيير مبادئه بتفاعله مع الآخرين من حوله، فيعتنق مذاهب وأفكاراً، ويتحلى بأنماط اجتماعية و رؤى سياسية وقيم ثقافية متنوّعة.

مارست الحداثة تغيّرات على البشرية جمعاء بعد أن شملت آدابهم وفكرهم وحتى نمط حياتهم، فقد تغيرت المفاهيم والمواقف بعد قطعها لجذور الماضي، وتجلت في الكتابات والمفاهيم الفلسفية التي كان **شارل بودلير** رائدا لها،كما كان الشق الثاني من الحداثة ،وهو المادي الذي شمل العمارة ،والتي جعلت من باريس مثالا حيّا عليها في القرن التاسع عشر، والتي من خلالها أحدثت بنية اجتماعية جديدة انعكست سلبا على حياة **شارل بودلير** .الذي نَقَم على هذا النوع من التغير – الجانب السلبي من الحداثة –.

حين أدرك **بودلير** أن الحداثة أجهزت على مدينته باريس، وهو " الذي لم يقبل بالرغم من جرحه

[1])حسن حمودة: **الرواية والمدينة (نماذج من كتاب السيتنات)** ، ص 25

المميت، بأن يغادر باريس إلّا إلى مدينة أخرى هي كاريكاتوري لها[1]، بالرغم من أنها تعجّ ضجرا وقلقا، ومعروف أنّ **بودلير** شاعر المتناقضات ،فلا غرابة بأن ينعت باريس بالجثة لما رأى فيها من فزع ورعب وانحطاط، فنظرته التأملية تحمل وعيا مخالفا دائما حتى وهو يقر " أنّ المدينة خلق دائم وأنّ بنيانها وروائحها وضجيجها... تنتمي إلى الملكوت الإنساني"[2]، لكن ذلك لا يمنع أن يكون الإنسان هو سبب خرابها ودمارها، و هو يبحث عن الحياة فيها، وأن الزمن سيبليها

وقد رأى **بودلير** أنّ إنسان المدينة الصناعية يعيش تحت رحمتها في ظلامها الدامس محنطاً، منمطا مستلب الذاتية والحرية، يتماهى في ثقافة المكان الحديث بملذاته ومغرياته وفق شروط شديدة التعقيد، وكأنّهم دمى متحركة آلية.

يقول:[3]

Contemple–les, **mon âme ; ils sont vraiment affreux** !

Pareils aux mannequins, **vaguement ridicules**

Terribles, **singuliers comme les somnambules**,

Dardant on ne sait où leurs globes ténébreux.

[1])جون بول سارتر. **بودلير**،ص 210.

[2])فانسان توماس: **الجثة، اللغة والصورة** ، تر: أحمد الحوفي، مجلة علامات، ع 04، المغرب ،1995م، ص 48.

[3])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page1312.

يقول:[1]

فلتتأمليهم يا روحي، فهم حقا بَشعون

يشبهون عارضات الأزياء، ومضحكون بغموض

مفزعون، فريدون مثل من يسيرون في النوم

ولا أحد يدري إلى أين يحملقون بعيونهم المظلمة

فبودلير أدرك أنّ المدينة الحديثة تؤثّر على الطبيعة البشرية بسلبياتها وايجابياتها لذلك "كلما زادت المدينة الكبيرة غرابة، صارت المعرفة بالطبيعة البشرية للعيش فيها أكبر"[2] ويتجلى هذا من خلال قوله[3] :

و الشاعر اليوم، عندما يريد تصور

هذه العظمة الفطرية، في الأماكن

التي يرى فيها عري الرجل وعري المرأة

يحس ببرودة معتمة تغشى روحه

إزاء هذه اللوحة السوداء المفعمة بالرعب

أيتها المسوخ النائحة على ثيابها !

---

[1])شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العميان)** ،ص 33

[2])فالتر بنيامين. **شارل بودلير شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية** . تر: أحمد حسان . ط3. 1983، ص42.

[3])شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العصور العارية وهي من اختيار المترجم)** ص 133

أيتها الحضور المضحكة، أو الجذوع الجديدة بالأقنعة

أيتها الأجساد الملتوية الضامرة، الرخوة أو ذات الكروش

التي لفها إله المنفعة، الصارم الهادئ

كأطفال في أقمطته الفولاذية !

أمّا عند "**أحمد عبد المعطي حجازي**" فقد كانت رحلة الشاعر إلى مدينة القاهرة نقطة مفصلية في حياته، وتجربته الشعرية؛ حيث عرفت تحولا كبيرا، أكسبه المزيد من التجارب الأدبية في خضم حياته الجديدة التي سيحياها في كنف المدينة، الباحث في أغوارها عن المال إضافة إلى الشهرة والسمعة وصاقلا لموهبته الشعرية لاحتكاكه بصفوة الكتاب والشعراء .

غير أن تَسَرُب المدنية الغربية الذي طال المدينة العربية ألبسها زيًا مختلفا، غير الذي ألفه الشاعر في قريته الوديعة، فالمجتمع المصري والمجتمعات العربية على امتداد تمدّنها تمتلك عادات وقيما ثقافية يرجع الفضل في أصالتها إلى الموروث الديني.كانت المدينة إطارا حضاريا حاملا لهذه الهوية الثقافية لكونها الحصن الحامي لغالبية هذه المجتمعات. كان هذا الانفتاح الذي مقته الشاعر حين" إدراكه أن كثيراً من القيم العزيزة على قلبه والتقاليد المستحبة، قد اهتزت صورتها في ذهنه ولم يملك إزاءها إلا التعبير عن هذا الوضع وهذا النفور، بحدّة ومبالغة ولعل هذا سر مبالغته في تشويه الصورة لا سيما في بداية التجربة"[1]

[1])زهير محمود عبيدات: **صورة المدينة في الشعر العربي الحديث**، دار الكندي ، ط1، عمان، 2006. ص 25.

ويقول:[1]

أحار في تعدد الأجناس واللغات والأزياء

فأرقب الحياة صامتا

مكبل الحنين

كأنما بيني وبين الناس قضبان

كأنني سجين!

أشير، أحلم الحياة لا أعيشها !

لقد كان لانتقال **حجازي** إلى القاهرة تغيّرٌ في أنماط الحياة لديه، فالمدينة تشهد تطورات اجتماعية وسياسية وفكرية، وجب على الشاعر التأقلم معها ،والتخلص من فطريته الريفية خاصة في ظلّ الحياة المعقّدة في المدينة. ولكن منذ أن وطأت أقدام الشاعر المدينة اصطدم بها من أول مواجهة، وكثير من الشعراء الحداثيين صوّروا هول الاصطدام العنيف." فالمدينة العربية الحديثة، جاءت كنفي العالم الريف الرازح تحت عبء تخلفه، والمتثاقل في حركة تطوره ،وقامت على أنقاضه محتلةً دوره ،فأوهمت الشاعر بإمكانية تحقيق حلمه في التطور والتقدم الحضاري ، لم تكن في حقيقة أمرها تحمل إلّا خيبة وانكسارا، ولم تكن إلا مثالا للجمود والتحجر"[2] .

[1])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية، الكاملة (قصيدة العيون)** ، ص 231.

[2])قادة عقاق: **دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر** ص 323

لذا كان إحساس الشاعر باديا من سؤاله فيقول:[1]

هأنذا أنهض في مدينة بائدة

أخرج من تحت الركام

أفلت من دم الفرسة الذي يسكنني.

ويقول:[2]

كأنّي أحاول نقل المدينة في مقلتي لسجني

ولكن بلا طائل فأنا هارب

والمدينة تهرب مني

وأشعر أني فقدت قناعي، ملامح وجهي

كانت الوضعية المعقّدة التي اصطدم بها الشاعر في مدينته القاهرة تنمّ عن " الوضع الهامشي الذي يعيشه الريفيّ في المدينة ،هو الذي سينبت معظم حالات الشعور بالعداء والكراهية للمدينة [3]، وفي هذا الصدد يقول :[4]

[1])أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الطريق إلى السيدة)**،ص 113

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إشاعة)**، ص532.

[3])صلاح صالح: **المدينة الضحلة، تثريب المدينة في الرواية العربية**. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014،ص155.

[4])أحمد عبد المعطي حجازي : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة تروبادور)** ، ص586.

كم قنبلة تكفي لتهدم هذا العالم الفاسد

واستضحكت في نفسي لهذا الخاطر الشرير

لما ألف سنة !

فالريفيّ بطبعه صعب الانسجام مع المجتمع المديني لما يحمله من صفات وموروثات اجتماعية لا تتوافق وشخصيته الأصيلة، التي يفقد كل معالمها داخل المدينة، لما يحدث فيها من تَمَدّن، وما يخلفه من آثار على الذات البشرية ونفسيتها.

2- المظاهر الأخلاقية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

شكلّت الدعامة الأخلاقية أساس التطور البشري والحضاري، فعديد المجتمعات المثلى تحلت بأخلاق سامية ومُثُل عليا ، وحمل إنسانها السوي قيما أخلاقية بعثته خارجا عن دائرة البهيمية.

في حين حملت الأخلاق على مر التاريخ سبغة دينية كانت لها الأثر البالغ على الروح الإنسانية، والتي شملت الحياة الاجتماعية من أفراد وجماعات انعكست بصورة على التمدّن الذي يعدّ شرطا بارزا لبروز أخلاق المدينة، وفي عصرنا الحديث والمعاصر عرفت الأخلاق المدينية تلونا رهيبا " تتمشى مع المادية التي أنتجت إنسانا مطبوعا بطابع الأنانية والمنفعة والسعي وراء المادة فبات الإنسان مضطربا الأخلاق والسلوك"[1]

وبالحديث عن **شارل بودلير** فإنّ روحه المتمرّدة لم ترض أن تعيش في كهف الأخلاق المظلم الذي يتحلى بها المجتمع ظاهرا ،وينتهكها خفية كلما أتيحت له الفرصة ، في عالم المدينة السفلي.

[1])انظر: كريمة دوز، **الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية**،مركز براهين، ط2 ،2016 م ،ص 13.

فبودلير يرى أن الإنسان منذ ولادته في معركة قائمة على الدوام ممزق بين جاذبيتين اثنتين: جاذبية سماوية إلهية وهي جاذبية الطهارة و المثل العليا و الفضيلة، و جاذبية شيطانية نارية سفلية، فالتطلع إلى المعرفة و نحو اللانهاية رغبة في الارتقاء و الصعود ... ،و من خلال هاته المعركة بالخصوص يمكن أن نستكشف أسرار تركيب ديوان أزهار الشر.[1]

فهو ينسب الرذيلة والخطيئة إلى بني البشر ،وخاصة منهم المرأة التي يحملها كل الذنوب ،ويجعل على كاهلها كل الرذائل والعيوب، ويصفها بأنها منبع الرذيلة ومصدر لانعدام الأخلاق والقضاء عليها وفيها يقول:[2]

وأنتن، أيتها النساء وأسفاه! شاحبات كالشموع

ينخرنكن ويغتذي بكن الفجور وأنت أيتها العذارى

تجرجرن ميراث الرذيلة الأمومية

وكل بشاعات الخصوبة

نحن الأمم الفاسدة نملك حقا..

[1])محمد غنام: **بودلير أزهار الشر أم أزهار الألم**، الموقع الاكتروني، مكتبة فيلو كلوب بتاريخ 03 يونيو، 2019.

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العصور العارية)** ص 133.

كما يقول :[1]

فلتقولي لي يا أجاث، هل يحلق قلبك أحيانا

بعيدا عن المحيط الأسود للمدينة القذرة

نحو محيط آخر تومض فيه الروعة

أزرق صاف غائر مثل العذرية!

ومن الجزء الأخير الذي ذكرناه نلمس التعرية التي تبناها **بودلير** من أجل الوقوف على انعدام الأخلاق في المدن وانتشار الرذائل و القذرات، وهو ما دفعه إلى السعي للتحليق بعيدا عن هاته المدن، وما يحيط بها من مقززات ومولّدات الشؤم والتقزز ، نحو محيطات ملؤها الصفاء ونقاوة الروح والمنظر، ويقول كذلك:[2]

في الثنايا الآثمة للعواصم القديمة

حيث كل شيء، حتى الرعب يتحول إلى فتنة .

فهو يرى أن المدن ملأى بشعاب وثنايا تعج فيها مظاهر انعدمت منها الأخلاق، وهو ما أدى إلى صبغ المدينة بمظهر انعدام الأخلاق من جرّاء هذه الأماكن، ويمتلك التاريخ شواهد حية عن حضارات شاع فيها الفساد الأخلاقي وحادت عن أصولها، فعرفت الانحطاط التام فالفساد" قرين الحضارة المترفة هي أمور متجذّرة في المسيحية الغربية وما صاحبها من حضارة ... فالتوراة تحكي قصصا عديدة عن مدائن العهر

[1])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة تائهة)** ص 263.

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة(قصيدة العجائز القصيرات)** ص 329.

والرذيلة مثل سدوم وعمورة المدينتين الأمتين... وكذا قصة عاهرة مدينة بابل القديمة"[1]، ورغم ذلك فبودلير يكن حبا خاصا لمدينته وهو ما صرح به حين قال[2]:

Je t'aime, ô capitale infâme ! Courtisanes

Et bandits, tels souvent vous offrez des plaisirs

Que ne comprennent pas les vulgaires profanes

والتي تترجم على النحو الآتي :[3]

فأني أحبك أيتها العاصمة سيئة السمعة!

أيتها المحضيات، أيها اللّصوص، هكذا غالبا ما تقدمون الملذات

التي لا يفهمها الدنيويون المبتذلون

وعلى الرغم من كل المساوئ التي يعلنها وتحويها المدينة إلّا أنّه يعلن بصراحة حبه لها، وهو دليل واضح على روحه الماجنة. في حين أن **عبد المعطي حجازي** كان دائم السعي الحفاظ على القيم والأخلاق التي يعج بها مجتمعه ، غير أن الصراع مع الذات والماضي ومع الآخر والمستقبل معا أخذ حيزا كبيرا لدى الشاعر، وهذا يرجع إلى عديد الأسباب منها تكوينه الذاتي والحقبة التي تواجد فيها، والتي تميزت بالصراع بين الأصالة والحداثة – ولذلك كان الموقف من المدينة متوترا بين الذاكرة والأحلام، التراث والمعاصرة، مع محاولة توفيقية

[1])انظر : المرجع السابق ، ص 09.

[2]) Charles baudelaire, **Épilogue** (**Le Spleen de Paris**),p61.

[3]) شارل بودلير : **سأم باريس** ،ص 160.

عنيدة ومستمرة ، حتى وان كانت مواقف ذات صلة بما يدور من مظاهر "الإصلاح العربي الوسطي الذي سعى للتوفيق بين المدنية الغربية وأصالة المجتمع العربي على نحو ما صاغه رفاعة الطهطاوي في منهج الألباب العصرية إذ رأى أن التمدن ضروري لتحقيق سعادة الإنسان، وهذا التمدن ذو شقين: شق مادي يتصل بالعلوم والصناعات والحرف والعمران، وشق معنوي يتصل بالآداب والأخلاق ولذلك لم يخف من الآلة الغربية، ومن شرورها ومفاسدها. كما أنه لم يجعلها "مفتاح السعادة"، بل رأى فيها سبيلا إلى حياة اجتماعية أفضل. مثلما عبر عن موقف جريء، في القول بأن أصالة الأمة تكمن في قدرتها على التفاعل والتكيف مع الحضارات الأخرى، دون أن تتنكر لجذورها وأصولها، وأن الإيمان الحقيقي يتم بتوازن وتكامل التطور المادي والروحي. هذا التصور كان حاضرا بنفس المعنى لدى محمد عبده الذي أكدّ أن المدينة الحقيقية مطابقة للإسلام"[1]، هذا ما ولّد لدى الحجازي ذلك الصراع بين رفض الأخلاق والحفاظ عليها.

[1])انظر: الموقع/**https://dammaw7swaqi.blogspot.com**، 2010.

3- المظاهر السياسية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

إذا كانت المدينة هي وعاء السلطة وساستها جوهر الحكم فيها، أصبحت السياسة مع أرسطو صناعة بشرية مشروطة بالمدينة، وعلما عمليا يهدف إلى تنظيمها تنظيما يؤدي غلى وحدة المواطنين وتعاونهم على قضاء حاجاتهم الضرورية"[1]

و الإنسان والذي بطبعه مديني يرتجي منها السعادة وسبلها ، وذلك مبني على ماتقدمه السلطة وما تأخره، لذا يظل السجال بين الفرد والسلطة، بين الثورة على المدينة والتالف معها من منظور هذه الرؤية. وتظل الذات الواعية والشجاعة الأقرب إلى المقاومة في سبيل نيل المبتغى، "فالمفكرون الحقيقيون، أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم حين تدفعهم المشاعر الميتافيزيقية الجياشة والمبادئ السامية، أي مبادئ الحق والعدل إلى فضح الفساد والدفاع عن الضعفاء وتحدي السلطة المعيبة والغاشمة"[2]، وهو ما كان عند الشاعرين.

ومن اللافت للنظر أن المدينة عند شارل بودلير ارتبطت برجال السياسة، فرأى أن السياسة الراهنة في المدينة بتجثم على أنفاس الغلابي والمظلومين ورجال السياسة أغرقوا هذه المدينة في بوتقة الدمار والتشرد، فالمدينة لم تعد رمزا للجمال والحرية و الانعتاق، بل باتت موبوءة بداء السياسيين وتابعيهم، فقد جعلت من ساكنيها عبيدا وشوهت وجوههم وسلخت أجسادهم النحيلة، إنها مدينة مفترسة، أقامت حداثتها على أرواح ساكنتها، لذلك لم يكن شارل بودلير يقيم للطبقة السياسية وزنا، فهي بلا جدوى في نظره إذ يقول في

[1] عبد القادر عرفة :**المدينة والسياسة**: دراسة في الضروري في السياسة لابن رشد ط1 2002 مركز الكتاب للنشر ص 86

[2] ادوارد سعيد: **المثقف والسلطة** ، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006، ص36.

رسالة موجهة إلى عمدة نودي:

" لم ترني في التصويت ذلك عمد مني، انقلاب الثاني من كانون الأول أفزعني من السياسة جسديا، لم يعد من آراء عامة، كون باريس كلها أورياليانية "، واقع حقيقي، لكن لا يعنيني لو صوت، لما صوت لغير نفسي قد يكون المستقبل للرذالة"[1]

كما كانت الأنا البودليرية رادعا له في الخوض في الأمور السياسية فهو القائل :

" أما أنا فعندي كرامة وحصافة حجزاني دوما على نهج سبيل كهذا ، وأبدا لن يظهر اسمي في الأوراق القذرة للحكومة، وأوثر أن أكون لكل الناس مدينا ..."[2]

في حين أن الرؤية السياسية للمدينة عند أحمد عبد المعطي حجازي تجسدت في مفهوم بناء مدينة للإنسان والذات الشاعرة تعي ذلك، لكن انقلاب الأمور وكثرت التوترات في العالم العربي ولد لديه حينها نفور من المدينة وأرغم على الهجرة والمنفى، كما قد يكون رفض المدينة نتيجة للعنف السياسي والاغتيالات التي تبديها السلطة تجاه أصحاب الرأي المناهض.

ففي الخمسينيات من القرن الماضي عرفت مدينة القاهرة جملة من الأحداث السياسية عاشها الشاعر، خاصة وأنها تزامنت مع فترة شبابه وبداياته الشعرية الأولى فكتب يمجد الحزب الحاكم في القاهرة سنة

[1] باسكال بيا : **بودلير** ، تر :صلاح برمدا ، وزارة الثقافة ، دمشق ،1985 ، ص 127

[2] المرجع السابق ، ص 205

1956 قائلا[1]:

كن لي عائلة

ياحصن الفلاحين الفقراء

فأنا لا أسرة لي

إلا الإنسان، بلا أسماء

فالعنف السياسي ظهر في المدينة على شكل أطياف سياسية لا تنتمي إلى السلطة، مبدية رغبتها بالمشاركة وامتلاك الحقوق متساوية مع السلطة الحاكمة، وهو ما يدفع بالسلطة الحاكمة إلى استعمال العنف و القوة معتمدة في ذلك على مظاهر الحظر وسجن المناهضين من السياسيين وزعماء الحركات التمردية، وقد سعى إلى مساندة هذه الحركات والمشاركة فيها ورغم دعمه المعلن لسياسة الحكم في فترة جمال عبد الناصر ، وقوله في المقطع الأتي يبين لنا تلك العلاقة[2]:

كن لي عاصمة

يابلد العمال الغرباء

فأنا لا موطن لي

منذ تركت الأرض الخضراء

[1])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية، الكاملة (أغنية للاتحاد الاشتراكي العربي)** ، ص 326.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية، الكاملة (أغنية للاتحاد الاشتراكي العربي)** ، ص 326.

كن لي ملحمة

نركب الخيل ونفتح مدن الحب

ونحرر السجناء.

فالشاعر هنا أراد أن يكون الحزب الحاكم ملحمة في المدينة، يسعى من خلالها إلى تحرير إنسانها المأسور في سجنها الكبير وهي رغبة الشاعر الدفينة التي ارتسمت من خلالها عديد قصائده التي تحمل نبرة سياسية بخلاف رؤاه الشعرية الممتدة.

4- المظاهر الثقافية للمدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تشكل المدينة مكانا روحيا وإبداعيا ينبض بالحياة الثقافية، يجدد الشاعر علاقته بها وارتباطه، عبر مساراتها وفضاءاتها الواسعة مبرزا كينونته كشاعر ومعبرا فيه عن وجوده داخلها، انطلاقا من بعث أنشطته الشعرية والثقافية فيها، يبادلها الإحساس العميق بالانتماء فهي التاريخ والوطن، " فالمدينة صورة للهوية التي لا تضيع عبر توثيقها وكتابتها، ليس في إطار التأريخ المباشر بل في إطار المزج بين الوعي الذاتي لدور المدينة وتاريخها وبين الرؤية الأثينية "[1]التي سعى من خلالها الشاعر إلى إبراز مكانة مدينته المرتبط بها حبا متأججا نابعا من تاريخها المنصهر مع ذاته ، و يجعلها الشاعر دائما طرفا يحاوره و يستجلي همومه وأحزانه فينقل ذلك عبر متونه الشعرية أو مقيما للصالونات الإبداعية وبيوت الشعر والمعارض المتعددة لتكون الوسط الأكثر

[1]أحمد ياسين موسى العرود: **البعد الثقافي والحضاري للمدينة في الخطاب الروائي العربي المعاصر** ، رواية ترابها زعفران" لأدوارد الخراط، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية العدد 02 ص132.

تفاعلية مع الشاعر، يعكس صورتها الثقافية والتراثية، وهو ما عبر عنه الشاعرين شارل بودلير و أحمد عبد المعطي حجازي في مدينتيهما باريس والقاهرة تواليا.

فباريس فضاءا ثقافيا أقام فيها الشاعر بودلير عديد الصالونات الإبداعية والشعرية والنقدية والفكرية رفقة العديد من محبيه وأصدقائه، جعل بعض الصالونات مناهضة للفكر البرجوازي المستشري في باريس مدينة الفن والإبداع التي عرفت " هذه الصالونات الإبداعية في القرن السابع عشر وكثرت في القرن الذي يليه، واكتسبت طابعا عالميا بمن كانوا يترددون عليها بالقضايا التي يتداولها السامرون ... من المتع الحسية والفكرية، من أدب وفكر وثقافة وفنون"[1]، كما كان لباريس الأثر العميق في إذكاء مكامنه الإبداعية رغم السوداوية التي تعتريها في قلب بودلير .

عند اعتلاء لويس بونابرت السلطة عام 1852م، في تلك الأثناء أعلن إعادة البنى التحتية لمدينة باريس فكلف أوسمان * الأشغال التهيئة بدءا من عام 1853م.

أدرك أوسمان أن عليه بناء بنى تحتية تعيد الهيبة لمدينة باريس، وذلك بإعادة تنظم الأحياء بإزالة الهش منها وإلحاق أطراف المدينة بعدة ضواحي، ذلك الأمر غير شكل باريس في عملية حضرية واسعة على نطاق كبير، حيث تمت التهيئة على دفعة واحدة، رافقت هذه العملية صرف أموال طائلة، فتغيرت بذلك شخصية باريس وأضحت " مدينة النور والمركز الكبير للاستهلاك والسياحة والمتعة، لقد غيرت المقاهي والمتاجر الكبيرة

[1]طاهر أحمد مكى : **الصالونات الإبداعية في الشرق والغرب**، مجلة الدوحة الدولية العدد 07(1984) ص 38.

وصناعة الأزياء والمعارض الكبيرة من أسلوب الحياة [1]

يقول بودلير:[2]

أحبك جميلتي يا فاتنتي

أحب قذائفك، طعناتك، انتصاراتك أعيادك

ضواحيك الحزينة

فنادقك الباذخة، حدائقك الحبلي بأنفاس جذابة

أديرتك التي تعزف ترانيم الصلوات

حسناوات الطفولة،

شيخوختك المخبولة

كان بودلير دائم الحنين إلى حياته السابقة في الحي اللاتيني لأن كما قال غوته" كل خطوة على جسر من جسور باريس، أو في كل زاوية من زوايا طرقاتها قد جرى جانب من التاريخ"[3] حيث يقول في قصيدة " الحياة السابقة "[4] :

أقمت طويلا تحت أروقة شاسعة

[1] ديفيد هارفي : **مدن متمردة :من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر** ، تر:لبنى صبري ، الشركة الوطنية للأبحاث والنشر، ص 35.

[2] شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ص 412.

[3] أحمد الصاوي محمد: **باريس**، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1993 ص 04.

[4] شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ص 150

كانت الشموس البحرية تلونها بألف نار

وأعمتها الضخمة، المستقيمة والمهيبة

تجعلها شبيهة في المساء بالكهوف البازلاتية

وفي المقابل من ذلك تكونت مدينة القاهرة الحالية عبر العصور الإسلامية بداية من فتح عمرو بن العاصلمصر حيث بني مدينة الفسطاط عام 21 هـ/642 هـ، ثم بنى العباسيون مدينة العسكر سنة 132 هـ/750 م، في الشمال الشرقي من الفسطاط، وعندما استقر أحمد بن طولون في مصر بدأ في تأسيس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، أسس مدينة القطائع في سنة 252 هـ /870 هـ، وعندما استولى جوهر الصقلي على مصر وضمها إلى الخلافة الفاطمية التي كانت قائمة في المغرب، أسس مدينة القاهرة سنة 357 هـ/969 م لتكون العاصمة الجديدة لهم فأصبحت القاهرة بذلك العاصمة الرابعة للمسلمين بمصر.[1]

عرفت القاهرة عبر امتدادها التاريخي تحديثات عديدة مست منشاتهما القاعدية وأنسجتها العمرانية، عبر خطط بدائية أحيانا ومدروسة في أحايين كثيرة خاصة في العصر الحديث لهندسة مدنية حديثة تتماشى ومعطيات العصر فرضتها حالات المواصلات واختناقاتها المزمنة، فأغلب تخطيطات المدينة رسمت قبل عصر الصناعة والمواصلات الحديثة، ولعل التحديث الأبرز خطط له إسماعيل الخديوي إذ كان الخديوي إسماعيل متعطشا للتحضر على الطريقة الأوروبية وكان عليه أن يفعل مع القاهرة ما فعله هوسمان مع باريس"[2]

[1] محمد حسام الدين اسماعيل : **مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل**،دار الآفاق العربية ، ط1998،1،ص28.

[2] سينثيا منيتي : **قاهرة اسماعيل باريس على ضفاف النيل**، تر: أحمد محمود ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2008، ص 21.

هذا الحديث جعل من القاهرة مدينة كبرى في الشرق الأوسط "فالقاهرة تاريخ مفعم محمد أو محفوظ، كل حجر فيها مشبع بعبق الماضي وعرقه، وكل شبر فيها يحمل بصمات الإنسان إنها كبيت جماعي كبير وكمنطقة مبنية لا مثيل لكتلتها في مصر.[1]

هذا وقد عاشت مصر قبل الحملة الفرنسية النابليونية (1798- 1801)، بقيادة نابليون بونابرت ركودا ثقافيا رافقه انحطاطا سياسي واقتصادي، فالمشهد الثقافي حينذاك ومنابعه كان مقتصرا على جامع الأزهر الذي بقي وحده ينبض بعلوم اللغة والعلوم الشرعية ، إضافة إلى الكتاتيب، بينما أصاب الحمول باقي العلوم نتيجة تردي الأوضاع كما سبق فمصر وقتها كانت تحت السيطرة العثمانية المملوكية التي استبدت بمصر وأهلها.

والعالم العربي ولعدة ظروف قاهرة" كان يرقد في سبات طويل منذ انتهاء عصر الخليفة المأمون في القرن التاسع ميلادي، واستمر هذا السبات إلى منتصف القرن التاسع عشر حصلت خلاله قطيعة كبيرة بين الثقافة العربية والثقافة الأجنبية من جهة وبين الثقافة العربية والتراث العربي من جهة، فكانت القطيعة في الواقع قطيعتين وليست قطيعة واحدة"[2]

لكن بعد الحملة عرفت مصر فضة ثقافية وفكرية مميزة وأضحت نقطة تلاقي لثقافتين الحضارتين مختلفتين، وما رافق الحملة من كتاب وعلماء في جميع الميادين كان لهم الأثر البارزفي النهضة بما حملوه من نماذج تطبيقية عن الحضارة الغربية ، فأنشأت المسارح ودور النشر وازدهرت الكتابة والصحافة ومختلف

[1] جمال حمدان : **القاهرة** ، الهيئة المصرية للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ط 1، القاهرة ،1998 ،ص 3.

[2] شاكر النابلسي: **محامي الشيطان، دراسة في فكر عفيف الأخضر** . دار فارس. ط1. الأردن، 2015م ص 81.

الفنون، كما عرف المصريون أنواع الموسيقى ووسائل اللهو والترفيه. كما توطدت العلاقة التأثيرية للأدب الفرنسي على الساحة المصرية بعد الحملة، فقد قام محمد علي بإرسال عدة رحلات علمية وثقافية لمختلف المعاهد الفرنسية لنهل العلوم والفنون، بعد أن أصبح الأدب الفرنسي أحب الألوان إلى المصريين"[1]

وهو ما دفع الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي اتخاذ القاهرة حقلا إبداعيا ومحورا ثقافيا، تدور أحداثه بين ثنايا الثقافة المصرية الضاربة في عمق التاريخ وبين ثقافتها في العصر الحديث، فكان مقر بيت الشعر الذي يرأسه منبرا لعدة صالونات إبداعية أقامها الشاعر وأسهم فيها بآرائه ومقالاته النقدية وأمسياته الشعرية كما حفل خلالها بعيد الكتاب والشعراء من مدينته وخارجها.

وبحلول الشاعر عبد المعطي حجازي بمدينة القاهرة لأول مرة بمت بجمالها واتساع شوارعها وارتفاع عمائرها، وقف الشاعر طويلا أمام مدينته يستشعر جمالها الممزوج بالرهبة وكان ذلك طبيعيا باعتبار حجازي آت من القرية، فالمدينة نسيج خيالي بات حقيقة أمامه ؛ و في إحدى قصائده المبعوثة إلى والده واصفا مدينة القاهرة وصورتها الرهيبة حيث يقول [2]:

هنا عرفت يا أبي المدينة العجيبة مدينة الأقزام والشوارع العجيبة مدينة القصور والعمائر الرهيبة مدينة التمثال ذلك الحجر يطل من عليائه على البشر كأنه القدرشد انتباه الشاعر ملامح المدينة المترامية الأطراف بجزئياتها، كل هذه العناصر رسخت في مخيلة الشاعر حسا جماليا حرا وإن كان اصطناعيا، فالشاعر مازالت تسكنه روح الطبيعة العذراء التي تربى في حضنها أيام عيشه في الريف ، فلم يألف الدكاكين المكتظة

[1] حسن مؤنس: **الشرق الاسلامي في العصر الحديث مطبعة حجازي**. ط 1 القاهرة . 1935 ص 90.

[2] عبد المعطي حجازي ،**رسالة إلى القرية** ، مجلة الآداب العدد السادس 1956، ص 33(انظر الملحق)

والأسواق الدائمة المفتوحة واللوحات الإشهارية الضوئية، والأسوار الإسمنتية العالية الشاهقة.

فحب القاهرة تغلغل لذات الشاعر، وألبست قلبه زخما خاصا يعكس رؤيته الجديدة لها فتلاشت الأبعاد الهندسية وذابت هالتها المورفولوجية لتتحول إلى عروس الأوطان حيث يقول [1]:

آن الأوان كي أغني لك يا مدينتي

يا أجمل الأوطان

في منزل فيك تعلمت الهوى

أراك في الليل الأخير طفلة

بريئة، ظلت الأقران

عبر الشاعر عن انغماسه في مدينته التي باتت جميلة الأوطان متلألئة الأنوار وطفلة بريئة يختلجها شعور وجداني بعد أن تبددت هواجسه تجاهها.

كما أن المدينة لدى الشاعر صارت مكانا للأحلام الجميلة، فأضحت مكانا شاعرياملييء بالإنسانية يخاطبها الشاعر وتخاطبه حيث يقول :[2]

أحلم يا مدينتي فيك بحب هادئ

يمنحني الراحة و الإيمان

[1] أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 372-374.

[2] أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 562.

أحلم يا مدينتي فيك أن نبكي معا

إذا بكت عينان

بأن نسير ذات يوم قادم

تحت نهار يسعد الإنسان

صارت القاهرة المدينة الفردوسية التي تمناها الشاعر صغيرا، فقد أخذت كل أفكاره وأصدق أشعاره حيث يقول[1] :

نبحث عن مدينة تمنحنا الأمان

تمنحنا الرغيف والخمرة والوجه الجديد

فالشاعر بحث عن مدينته التي عايشها منذ الصغر قبل أن يعيش فيها حيث يقول[2] :

أبحث عن قاع الوتر

عن بلد صنعته منذ الصغر

وجد الشاعر صدى نفسه في المدينة التي بحث عنها منذ الصغر فعندما " تكون المدينة رمزا للوطن ولابد أن تكون كذلك بل هذا من دواعي القبول بها بل الإيمان بها إيمانا مطلقا"[3].

[1] أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ص 562.

[2] أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ص 594.

[3] أحمد أبوغالي : المدينة في **الشعر العربي المعاصر** ص 68.

ويقول كذلك[1]:

كانت كأنها قصيدة

خرجت من كلمات فهي مدينة

نهر يضاع ربوة

تنجاب رغوته السخية عن حدائق ذات أعناب

منازل ذات أقمار

ولا يكاد الجمال ينفصل عن الفن والإبداع، وباريس هي من أبرز المدن في هذا الباب فإذا كانت تنشئة شارل بودلير الفنية أيام والده، حين كان هذا الأخير رساما بارعا، ماأكسب شارل الحدس الجمالي والتذوق الفني منذ الصغر. أخذت باريس بعدها الثقافي من خلال كونها ساحة للفن والجمال الأسر، فبين ثناياها يعيش فنانون ومبدعون أسهموا في إثراء الحضارة الإنسانية بفنون مختلفة، ففي" مدينة باريس وحدها يتحرر الفكر الإنساني، وتجرد عن الأشكال والصبغات التي تفرغها عليه الخصومات القومية، والعداوات الدينية ... هناك يشعر المرء أنه تسامى عن مستوى الخلافات، فلا شيء غير أفراد قد خلقوا من طينة واحدة"[2]

أصبحت مدينة باريس لبودلير رمزا للإبداع والفن، فهي التي تضم بين ثناياها فنانين عدهم الشاعر

[1] أحمد عبد المعطي حجازي: **ديوان طلل الوقت** ص 25.

[2] أحمد الصاوي محمد: **باريس**، ص 274.

إخوته الروحيين، فخصهم "أوجين دو لاكروا " الذي بصم على مكانة خاصة في قلب بودلير منذ أن تعرفعليه "عام 1845 م في أوتيل بوميدون شعر بتشابه أمزجتهما وبوحدة الفهم القضايا الفن وهدف الفن "[1]، فقد حمل ديلاكروا التيار الرومانسي والذي احتل مكانة رائدة في الوسط الفني الفرنسي، كان رساما لامعا طبع على لوحاته روحا من الدرامية والواقعية، حيث رسم عدة لوحات أبهر بها بودلير .

- الحرية التي تقود الشعب 1830م

-نساء الجزائر 1834م

-لوحة صيد الأسود 1845م

أدرك بودلير أن الرسامون يخلقون عالما متحررا من قبضة الواقع المفعم بالضجر والاكتئاب لذا كان بودلير يقدم الفنان ديلاكروا "بوصفه عبقري فن التصوير الفرنسي لعصره ويصفه رائد الثورة في اللون والإحساس والتعبير "[2]

أحكمت باريس قبضتها على المشهد الفني في فرنسا ما بؤها لتكون ساحة للفنوالموسيقى فالفرنسيون كانوا من أسبق الناس عناية بالموسيقى وفن التمثيل وكل أنواع الفنون الجميلة"[3]

شكلت باريس بمورفولجيتها عبر التاريخ الأوروبي حضورا متميزا وقويا في الذاكرة الإنسانية في شقه الحضاري والعمراني فحلقات عمرانها المتسلسلة والمترابطة. جعلت منها منارة أوربية بمعالمها المميزة والصامدة

[1]زينات بيطار: .**بودلير ناقدا فنيا**. دار الفارابي ، ط1 1993 ص 28.

[2]المرجع السابقص58.

[3]أحمد ضيف: **باريس الفن والجمال**، مجلة الهلال ، ع1، 1935 ، مصر، ص 15.

في وجه الزمن.

يقول شارل بودلير في قصيدة البجعة Le cygne:[1]

ضواح قديمة، كل شئ يصبح لي رمزا

وذكرياتي الحبيبة أشد وطأة من الصخور

عكست هذة الأبيات التماهي العاطفي والانسجام الروحي الذي أبانه بودلير مع مدينته باريس فقد أحبها بتفاصيلها وصورها مجسدة بأنثي.

وفي رسالة وجهها إلى أمه قال فيها[2]

"في هذا البيت الباريسي... تحت هذا الشلال، لا تبدو باريس أكثر جمالا كما تتخيلين. إلا تحت أشعة الشمس وبين حدائقها الرائعة "

رسم بودلير صورة جميلة لمدينته والتي أحاطت بها الحدائق الغناء والروائح العطرة، فارتبط بماء صورتها بسحرها . أما " الجمال فلا أظن مدينة من مدن العالم تضارعها أو تقرب منها وكأن الجمال قد تحسم في مبانيها وحدائقها وتماثيلها وقصرها وأبراجها وشوارعها وأسواقها وزخارفها وأزيائها"[3]

فمع بودلير رأت مدينة النور افاقا شعرية أرحب "لم تدخل باريس إلى عالم الشعر الفرنسي كشخصية

[1] شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ص 322.

[2] عبد حقي: : **بودلير في باريس أم باريس في بودلير** ،http://www.wat 2007.

[3] يعقوب صروف. فارس نمر: **جريدة المقتطف** ، المجلد السادس عشر 1892 ص 106.

مستقلة حقا إلا مع بودلير. وقد كان دخولها دخولا مظفرا فلم تعد مجرد " ايماءات " من قريب أو من بعيد بل أصبحت إلهاما حقيقيا "[1]

فباريس اضحت مدينة الحداثة، وبودلير أيقن أن لا حداثة حقيقية دون معايشة عميقة لمفهوم المدينة فهي الفضاء الاستراتيجي الذي تجد فيه الحياة المعاصرة تعبيراتها وتجلياتها ومفرزاتها، بايجابياتها وسلبياتها، بخيرها وشرها بجمالها الشفاف وقبحها الأسود بزهرها وكبارها بعشاقها وقضاها ولصوصها "[2]

شهدت مدينة باريس مابين الفترة 1845-1863 نحوا متصاعدا في المشهد الفني كان البارز منها ظهور الواقعية. كما اسهمت الثورة في قلب الذوق الفني العام بحيث أعطت دفعا كبيرا لازدهار الفنون الجمالية. والمعمارية وانبثقت كذلك" أجناس أدبية جديدة كالمنظر الطبيعي والكركاتير..."[3] إن هذه الصحوة الفنية والثقافية اسهمت في عبقرية بودلير وعمقت تجربته الأدبية فزاوج بين الكتابة الشعرية والنقد الفني" ولو أمعنا النظر في القوانين الاساسية الأفكار بودلير الفنية لنرى أنها منطلقة من الخاص إلى العام في نضال ثابت وعنيد ضد النمطية standardization "[4].

كانت باريس مدينة الصالونات الإبداعية التي أحبها شارل بودلير إما مشاركا فيها أو مقيما لها.

أراد بودلير أن تكون باريس مدينة يوتوبية إبداعيا، وذلك بعد أن فتحت له أبوابهاالصالوناته الأدبية

[1] جان ماليزا: **اسطورة باريس في الشعر الفرنسي المعاصر** تر : نادية كامل. مجلة الفكر المعاصر ع60 1970 مصرص68

[2] محمد علاء الدين عبد المولى : **بودلير مدينة وحداثة**. البيان الكويتية ع494. 2011 ص101.

[3] زينات بيطار : . **بودلير ناقدا فنيا**. ص 17.

[4] زينات بيطار: . **بودلير ناقدا فنياص** 26.

والفنية, فغدتأحد مفاتيح حداثته الشعرية والنقدية. وفاتحة أفاق أرحب الخلق عالم جمالي مثالي.

الفصل الرابع:

انعكاس تكاليف سأم الحياة في المدينة في شعر

شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

الفصل الرابع:انعكاس تكاليف سأم الحياة في المدينة في شعر شارل بودلير وحجازي.

1- التمرد في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1-1- التمرد الاجتماعي في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي

1-1-أ- التمرد الأخلاقي في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1-1- ب- التمرد الديني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1-2- التمرد السياسي في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

1-3- التمرد الفني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2- الاغتراب في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-1- الاغتراب المكاني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-2- الاغتراب الزماني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

2-3- الاغتراب الفكري في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

إنّ ما يمر به الإنسان خلال مراحل حياته من تكاليف سأم الحياة يولد لديه نوعا من الكراهية والرفض والاغتراب والتمرد، مما ما يدور حوله، وهو ما تحلى في العديد من مظاهر العيش والتمدن ومنها:

1- التمرد في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تولع النفس بالتمرد والرفض، وهي من الحالات الإنسانية و الاجتماعية التي تمتاز بما المدينة؛ فليس بالضرورة أن تكون الذات الإنسانية في رحم المعاناة و الظلم لتعلن التمرد والنفور، فمن يحمل قيما في نفسه يحافظ عليها وإن كان يحملها غيره .

فشارل أعلن تمرده الميتافيزيقي الشخصي على المدينة وما فيها، فعنده "التمرد الميتافيزيقي إذن يقف على أنقاض عالم منحط لا يستطيع رده إلى أصل، و لذلك فهو يطالب بوحدته، وهو يرى أنّ مبدأ الظلم السائد في كل مكان فيعارضه بمبدأ العدالة الذي هو في نفسه"[1]، في حين أنّ تمرد أحمد عبد المعطي حجازي نجم عن تحولات المدينة في تجربة الشاعر الذاتية إلى حصار قاهر، اكتشف فيها علاقات الرجال الجوف ووجهها الحضاري الزائف القائم على العلاقات المادية وما أحدثته هذه الحضارة الحديثة من تمزق في العلاقات الإنسانية وإحلال علاقات أخرى قائمة على الصراع والعجز عن الارتباط الإنساني".[2]

وهذه النظرة هي ما ولدت لدى الشاعرين ذلك التمرد الذي شمل العديد من الجوانب الاجتماعية والسياسية ، وهو ما سنتناوله في هذا المبحث تباعا.

---

[1]) هاد التكرلي : **التمرد في الأدب الفرنسي المعاصر** ،مجلة الأديب ،ع01، 1954 ،ص 04.

[2]) السعيد الورقي: **لغة الشعر العربي الحديث، (مقوماتها الفنية ، طاقتها الإبداعية)**، دار العرفة الجامعية، ط 1، 2011 ص268

1-1- التمرد الاجتماعي في شعر شار بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

يرث المجتمع عن أسلافه عادات وتقاليد تعتبر موروثا يميز هويته ، يظل دائم الاعتزاز بها لكونها ثروة وجب الحفاظ عنها ؛لأنّها تنّم عن العراقة والأصالة والهوية، و قد أصابتها ضمن مجتمع المدينة العديد من التشوهات لما لحقها من تطور تكنولوجي وعلمي.

وقد شهد هذا الحفاظ على التراث والقيم الاجتماعية نوعا من التمرد من قبل العديد من أبنائه خاصة الشعراء ،الذين سعوا إلى اعتماد العديد من السلوكيات التي تتنافى وعادات المجتمع بقصد التميز والترفع من خلال تغيير أساليب العلاقات الاجتماعية المتبعة أو التقليل من أهميتها وانتقاصها. ولم يقتصر هذا التمرد على مجتمع دون آخر، بل إنّه ظهر في جميع الأمم وعبر العصور وهو ما لمسناه في المجتمع الفرنسي والمصري .

وقد انتشر ما يعرف بالثأر والانتقام، فأولئك الذين باتوا أغلبية سكان المدينة، على الرغم من تفرق أصولهم وتنافرها، يجمعهم الفقر أو فقر الحال ، والشعور بأنهم غرباء في مدينة جمعتهم ولفظهم مما جعلهم، يتمردون عليها وعلى حداثتها التي أغوقم بسحرها.

وهو ما ذهب إليه الفكر الماركسي للعدالة الاجتماعية، والذي يذهب حسب ماركس إلى وجود الصراع الطبقي في المجتمعات لانعدام العدالة الاجتماعية، فالحكام متنعمون بينما الفقراء محرومون من أدوات الانتاج المستغلة، وهو مارآه **بودلير** اضطهادا إنسانيا أفرزته الصناعة، خاصة في ظّل تسلّط البرجوازية المادية وافتقار المجتمع الإنتاج القيم. فقد " بات من المستحيل تصفح أيّ جريدة لأي يوم في أي شهر من أي عام

دون العثور في كل سطر على علامات الفساد البشري الأكثر ترويعا ، جنبا إلى جنب مع التباهي الأكثر إدهاشا بالاستقامة والطيبة والرحمة، إضافةً إلى الادعاءات الأكثر وقاحة بالتقدّم والتحضّر. كل جريدة من أول إلى آخر سطر ليست سوى نموذج من فضائع حروب ، سرقات، فواحش ، تعذيب، جرائم أمراء، جرائم أمم ، جرائم أفراد، عربدة ، فظاعة كونية."[1] وهو ما أشار إليه بودلير[2]:

Le bourreau qui jouit, **le martyr qui sanglote;**

La fête qu'assaisonne et parfume le sang;

Le poison du pouvoir énervant le despote,

Et le peuple amoureux du fouet abrutissant;

فهو يرى أنّ الطغيان المتمثل عنده في الجلاد يسعد ويستمتع بما يقوم به من اضطهاد لضحاياه التي تعاني وتتأوه، ويقوم بهذا وسط حفل تفوح منه عطور الدم ووسط ابتهاج الشعوب التي ألفت السوط، وهذا ما لمسناه في شعر **بودلير** وأبانه **رفعت سلام** في ترجمته التي جاءت على نحو:[3]

الجلاّد المستمتع والضحية المتأوه

الحفل المتبل والمعطر بالدم

[1]) شارل بودلير : **اليوميات**، ترجمة آدم فتحي، دار الحملط1 كولونيا – ألمانيا ،1999 ص 167.

[2])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**, p188.

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الرحلة)** ، ص 439

سُمُ السلطة الذي يوهن الطاغية

والشعبُ العاشقُ للسوط المتوحش.

وهو الموقف الذي يجعله يرى عامة الناس تتوارى وراء النفاق في دهشة ،وانعدم فيها صدق المواقف إذ أصبح المرء يسخر من السيد ويسعى إلى الجنة، ومال الدنيا في الوقت ذاته دون هوادة، يقول **شارل بودلير** في هذا الموقف من خلال ترجمة رفعت سلام[1]:

فهل ظننتم آنئذ، أيّها المنافقون المندهشون

أن يسخر المرء من السيد وأن يخدعه وهو معه

وأن يكون طبيعيا أن يلقى جائزتين

الذهاب إلى الفردوس والثراء؟

ويظهر من خلال هذا الموقف ذاك التمرد على الطبيعة و الأخلاق، إذ أنّ الإنسان مدعوٌّ إلى الصدق في المواقف و الوضح في حالته الطبيعية ، أمّا النفاق فإنّه الخروج عن المألوف ، فالإنسان ذاته مبنية على الصفاء، وكأنّ معبد في داخله، غير أنّ ما يجري داخل المعبد عكس ما وجد لأجله، فظاهره العبادة وباطنه التحالف مع الشيطان، يقول **شارل بودلير**[2]:

[1]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة غير المنتظر)** ،ص 502.

[2]) شارل بودلير ،**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة غير المنتظر)** ،ص 502.

كلٌّ منكم أقام لي معبدا في قلبه

وفي السرّ ، قبلتم مؤخرتي المقززة!

تتعرفون على الشيطان بضحكته الظافرة

الهائلة القبيحة كالعالم.

أمّا عند الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي فقد بات من المعلوم أنّ النقلة الاجتماعية للمجتمعات العربية إبانَ العصر الحديث، أحدثت شرخا في نفسية الشعراء عموما ومنها الشاعر **حجازي**، فمنظومة القيم الاجتماعية عرفت تغيرات جسام وعلى أكثر من صعيد، فاضمحلت الكثير من القيم والمبادئ في مقابل ظهور سلوكيات وقيم غريبة ، دفعت بالشاعر إلى الحيرة النفسية التي دائما ما ترتسم على محياه كلّما رأى الغرابة تعتلي منظومة القيم في المجتمع ،ومما لاشّك فيه أنّ المدينة أحدثت تغيرا على البنية الاجتماعية والحياة العصرية . ويعرّف التمرد بكونه ظاهرة طبيعة سلوكية تعتري الفرد في المدينة من جرّاء الوضع الاجتماعي، ولعدّة أسباب منها الذاتي ،والآخر تفرضه الحياة الاجتماعية؛ من تعقيدات حياتية وواقع مهترئ مأساوي، فتجعل من الفرد متمردا على كل ما يعكر صفو حياته و ينغص عليه، وفي هذا يقول :[1]

لو أنّني أفصحت عمّا في العيون

عريت قوما من ثيابهم

[1])أحمد عبد المعطي : **حجازي الأعمال الكاملة (قصيدة العيون)** ص 237 .

لو أنّني جسدتها قولا سحابات الظنون

لأغلق الناس العيون

الهول ما يشاهدون.

رأى الشاعر من خلال الأبيات أنّ المدينة يملؤها النفاق، وهي ظاهرة قد تبدو غريبة عن شاعر قادم من الريف، فالمجتمعات المدينية لا تخلُ من الاستغلال والظلم بسبب تهاوي القيم وتردي الأوضاع، "فالمدينة الحديثة العربية هي حديثة بالنسبة إلى المواطن العربي العادي، الفلاّح والعامل .. وجماهير العرب، وهي مدينة مزيّفة، وهي مدينة قاهرة .. وهي مؤسّسة للطغيان، وللاستغلال وللفساد .. وهي مؤسَّسة للأغنياء .. وهي مؤسَّسة لم تنشأ نشأة طبيعية من حاجات أهل البلاد .. إنّما فرضت على أهل البلاد عمارتها تقاليد الناس فيها نوع المصالح الموجودة فيها، نوع القوى الاجتماعية التي تعيش فيها ... المدينة صورة الفساد والخطيئة والاستغلال والظلّم والقهر "[1].

الفرد سعى متلبسا بعدة أقنعة لتحقيق مآربه في المجتمع الحربائي بعدّة وسائل المشروعة منها وغير المشروعة في سبيل تحقيق بقائه ونيل مبتغاه؛حيث يقول[2]

والناس موكب يمشي صامتا، بجانب الجدار

يضيقون العين في وجه الهجير

[1]) ماجد السامرائي، **حوار مع عبد المعطي حجازي**، مجلة الآداب ، ع4 ، 1979 ،ص 04-05.

[2]) أحمد عبد المعطي **حجازي الأعمال الكاملة (قصيدة ليس لنا)**، ص 212.

وأقبلت سيارة تمشي على مهل

مذياعها مازالَ يشتكي الهوى

أمّا أنا .. فكنت أشكو الجوع.

في مطلع الربيع.

كان التمرد الاجتماعي لدى حجازي يأخذ طابع الانتقامية من المجتمع، فقد وصف حاله وهو التائه بين أزقة القاهرة وغيره مشغلٌ مذياع سيارته مستمتعٌ بالحياة ورفاهيتها.

يقول حجازي[1]:

وأنا الذي هرولت أياما بلا مأوى، بدون رغيف.

كي تخرج الكلمات راجفة مروعة بكل مخيف.

وكان الوضع الاجتماعي المعيشي في مدينة حجازي أكثر تعقيدا، فقد هرول لليال ببطن خاوية في دروب المدينة المظلمة، مما جعل كلماته تعبر عما يجوش في خاطره من أثر تلك المعاناة التي مر بها عبر العديد من مراحل حياته، وقد عبّر عن ذلك في قوله[2]:

الكلمة تنمو بالدمعة

[1])أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة لمن نغني)** ،ص 123.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة ميلاد الكلمات)** ،ص 170.

فليسحقني الألم إذا الكلمة عطشت

كي أسقيها بدل الدمعة، عشر دموع

وليزرعها كل شقي مثلي، عرف الجوع

وهو هنا يعبّر عما يعيشه بني عصر من الشباب من معاناة ،ومن خلال أبياته الشعرية يرى أنّ" هذا الجيل الجديد لم يولد وفي فمه ملعقة من أيّ معدن، بل كان عليه أن يبحث عن ملعقته ،ويكد ويكافح، ويعاني الإرهاق والتعب في سبيل الحصول على احتياجات حياته المادية و المعنوية على السواء.. "[1]

ومن خلال هذه المواقف للشاعرين نرى أنّ التمرد الاجتماعي لديهما شمل أبوابا أخرى تجلت في:

1-1-أ- التمرد الأخلاقي في شعرهما

يكسب المجتمع البشري المديني قيما أخلاقية تعدُّ من أهم مكوناته الشخصية، ترتبط بقيم وعادات عامة ، تتسامى هذه المجتمعات أخلاقياً كلما كان ارتباطها بقيمها وثيقا، وبالحديث عن شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي وتمردهما الأخلاقي ضمن مجتمعيهما، فمدينة باريس شكلت لشارل بودلير فضاء واسعا ولا متناهيا، تراقصت فيه أحلامه وأمانيه، فلم يعترف فيها بالحواجز الاجتماعية ولا بنظمها الأخلاقية ،فكشف مستورها وأذاع المسكوت عنها بكل روح متمردة على ما جاءت به القوانين الوضعية، ويبرز ذلك

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي ، **الأعمال الشعرية الكاملة (من مقدمة رجاء النقاش)**،ص 09.

من خلال قوله في قصيدة ليسبوس [1]:

ماذا تريدُ مما قوانين العدل والظلم؟

أيتها العذراوات ذوات القلب السامي، يا شرف الأرخبيل،

دينگنّ، شأن أيَّ دين،جليل،

والحبُّ يسخر من الجحيم والسَّماء!

فماذا تريد منّا قوانين العدل والظلم؟

فهو يعي زيف الحقائق الأخلاقية المدينية التي يرتادها الناس في مدينته في نظرة منه لتفكيك العوالم غير المرئية لمجتمعه خصوصا والمجتمع الإنساني عموما، فالإنسان عند **بودلير** واحد وإن تعددت أعراقه ، كما أنّ **بودلير** من الشعراء المتمردين الذين يرسمون أخلاقهم بأنفسهم ويسعون للعيش بها بحرية مطلقة ، لذا جاءت قصائده مروّعة تحمل صورا إيروتيكية ساخطة ، ومن جهة أخرى جارحة للأخلاق العامة ،ولعل من أبرزها تلك الأوصاف التي تشبعت بها العديد من قصائده، ومنها قوله في قصيدة **إلى القارئ**[2]:

Ainsi qu'un débauché pauvre qui baise et mange

Le sein martyrisé d'une antique catin,

Nous volons au passage un plaisir clandestin

[1]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة(قصيدة ليسوس)**، ص 453.

[2]Charles baudelaire.**les fleurs du mal**, p12.

Que nous pressons bien fort comme une vieille orange.

Serré, **fourmillant**, **comme un million d'helminthes**,

Dans nos cerveaux ribote un peuple de Démons,

Et, **quand nous respirons**, **la Mort dans nos poumons**

Descend, **fleuve invisible**, **avec de sourdes plaintes**.

Si le viol, **le poison**, **le poignard**, **l'incendie**,

N'ont pas encor brodé de leurs plaisants dessins

Le canevas banal de nos piteux destins,

C'est que notre âme, **hélas ! n'est pas assez hardie**.

فهو يصف أموراً نكاد نجزم أنّ الخوض فيها في ذاك العصر يعد مساسا خارقا للقيم الأخلاقية للمجتمع الذي كان يتغنى بالقيم والحفاظ عليها، ولقد أكدّ هذا الموقف "**رفعت سلام**" من خلال ترجمته لهاته القصيدة حين قال " [1]:

كذا كفاجر بائس يقبل ويلتهم

الثدي الشهيد لعاهرة عتيقة،

تختلس – في الطريق – لذة محرمة،

[1]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إلى القارئ)**، ص116.

نعتصرها بقوة كبرتقالة قديمة.

متراصين، متراحمين، كمليون دودة معوية

يعربد في عقولنا حشد من الجن،

وبينما تتنفس، ينحدر الموت إلى رئاتنا،

نهرا خفيا مع الأنات الصماء.

وإذا ما كان الاغتصاب، والسم، والخنجر، والحريق،

لم توش بعد برسومها الهازئة

للوحة التافهة لمصائرنا البائسة،

فلا أرواحنا –للأسف – لا تملك الجرأة الكافية.

والأكيد أن هذه المواقف التي تبناها **شارل بودلير** هي من أبرز الأسباب التي حملته إلى المحاكمة والإدانة ،كما أشرنا إليه سابقا.

في حين أنّ **أحمد عبد المعطي حجازي** لم يعلن تمرده الأخلاقي بشكل صريح مثلما كان الحال عند **شارل بودلير** ،إلا أنّه أشار في بعض أشعاره إلى نوع من هذا التمرد خاصة فيما تعلق بعلاقة الرجل بالمرأة والممارسات التي تحدث بينهما، هو ما يعتبر خرقا لخصوصية المجتمع العربي المحافظ، وأبرز هذه المواقف لمسناه

في قصيدة كائنات مملكة الليل التي يقول فيها[1]:

كيف صار كل ذلك الحسن مهجوراً

وملقى في الطريق العام

يستبيحه الشرطي والزاني

كأنّني صرت عنّيناً فلم أجب نداءها الحميم المستجير

تلك هي الريح العقور

أحسّها تقوم سداً بين كل ذكر وأنثى

إنها السمّ الذي يسقط بين الأرض والغيم

بين شهوة الموت وشهوة الحضور.

وربما ذهب به الأمر بعيداً حين جعل من ذاته إله الجنس والخوف ،وعظّمها بأن رأى فيها كل الذكورة، وقد قال في إحدى قصائده[2]:

أنا إله الجنس والخوف..

وآخر الذكور

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 451.

[2]) عبد المعطي حجازي، **قصيدة كائنات مملكة الليل**، مجلة الآداب، ع10 ، بيروت، لبنان، 1973، ص 10.

أظنها التقوى وليس الخوف

أو أنّي أرد الخوف بالذكرى

فأستحضر في الظلمة آبائي

وأستعرض في المرآة أعضائي.

وهي صورة شعرية تمردية مطلقة الحرية للشاعر في ضوء المجتمع المديني الحديث، فالمدينة أضحت بمثابة فضاء كوني نصب الشاعر نفسه إله عليه، متحديا بذلك أعرافها الأخلاقية والاجتماعية، والتي عكست تلاشي الحس الريفي الذي غلف الرؤية الشعرية الأولى لحجازي.

وخلاص القول في هذا الباب أن:

- التمرد الأخلاقي عند **شارل بودلير** لم تكن له حواجز ولم يراع ما يحترمه المجتمع، في حين أن **حجازي** كان دائم السعي للحفاظ على الكثير من القيم والأخلاق التي تعّج بها المدينة.
- التمرد الأخلاقي عند **بودلير** شمل كل المجالات وعمل بها، في حين أن حجازي اقتصر في تمرده الأخلاقي على القول لا الفعل، وهو ما لمسناه في العديد من صوره الشعرية.
- الأعراف الأخلاقية التي تميزت بها المدينة الغربية تختلف في العديد منها مع ما هو في المدينة العربية، إذ أن الكثير من المباح في المدن الغربية محرم و محضور في نظيرتها العربية، وهو ما أثر على الصور الشعرية لدى الشاعرين .

1-1-ب- التمرد الديني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

تعد الحداثة بسياقاتها المتعددة من المشتركات والمفترقات في الحد ذاته بين كل من شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي، فكلاهما اشترك في رؤية الحداثة وقضاياها ونظرا الرؤاها لكنهما في الوقت نفسه أخذا موقفا من مدلولها و آلياتها، وهذا الموقف أدى إلى ظهور العديد من المواقف الرافضة لما يدور في المجتمع وبرز ما يعرف بالتمرد الديني على المدينة والمجتمع.

فالتمرد الديني هو الاختلاف عمّا يعتقده المجتمع ويدين به؛ أي أنه رفض للأحكام والعقائد الدينية نظرا لما يرى فيها المتمرد من تضييق للحريات أو مخالفة لقناعاته مما يكسبه ، ميزة التفرد عن بقية أفراد المجتمع ويدخله في خانة المتمردين.

فبودلير "رغم عدم احترامه الظاهري للمقدسات. مما أزعج كثيرا رجال الدين فقد كانت معرفته للأشياء تنطلق من رؤية صوفية عميقة ومتجذّرة في ذاته[1] " يقول في قصيدة بركة[2]

Lorsque, par un décret des puissances suprêmes,

Le Poète apparaît en ce monde ennuyé,

Sa mère épouvantée et pleine de blasphèmes

Crispe ses poings vers Dieu, qui la prend en pitié:

[1]) جمال عمر الماجد : **شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد**،ص 36.

[2])Baudelaire: **les fleurs du mal**, p10.

--- «Ah! que n'ai–je mis bas tout un noeud de vipères,

Plutôt que de nourrir cette dérision!

Maudite soit la nuit aux plaisirs éphémères

Où mon ventre a conçu mon expiation!

وهو ما ترجمه رفعت سلام بقوله[1]:

عندما تجلى الشاعر في هذا العالم الضجر

بقرار من القوى العليا

أشهرت أمه المذعورة الطافحة بالتجديف

قبضتيها نحو الرّب، الذي يشفق عليها

آه ! لم لم أضع حشدا من الحيات

أفضل من إرضاع هذا المسخ

فاللعنة على ليلة الملذات

التي حملت فيها بطني كفارتي !

نلحظ من خلال هذه الأبيات الندم الشديد الذي أبداه بودلير على لسان والدته، والذي من خلاله

[1]) شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة قصيدة بركة** ص 121.

تجلى في رفض مشيئة الله وتمردها عليها ،فوجوده في هذا العالم الضجر (المدينة)، يراه خطيئة . يقول[1]:

وأمام المرآة أتقنت

الفن القاسي الذي منحه لي شيطان عند الولادة

يقول[2]:

بالتأكيد، بالنسبة لي كنت سأرحل راضيا

من عالم ليس الفعل شقيق الحلم

فلأستخدم بيير أنكر اليسوع... وحسنا فعل!

من خلال الأبيات نلمس من **بودلير** سعيه للوصول إلى عالمه الحقيقي ؛حيث العمل والحلم شقيقان، وهي رؤية رمزية خالصة، كان تمرد بودلير **الديني**، تمردا واضحا عكسه التمرد على الكنيسة الكاثوليكية ؛حيث أنّ هذه الكنيسة " تذهب إلى أنّ بطرس الرسول هو الصخرة التي يشير إليها السيد المسيح، وتجعل من مذهبها شاهدا على كونها الكنيسة الوحيدة الحقيقية، وهذا الأمر في الحقيقة، لا قيمة له عند **بودلير** لأنّ أصول كنيسة الروم لا تقوم على ما أتى به بطرس الرسول من تعاليم الحرية"[3]، **فبودلير** يرى الحرية مذهبا

[1])شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إلى سانت بيف)** ص 571.

[2]) شارل بودلير ،**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة سان بير)** ،ص409.

[3]) أحمد راشد إبراهيم راشد: **رمزية الخمر والتمرد والموت في ديوان أزهار الشر لشارل بودلير** ، مجلة البحوث كلية الآداب جامعة المنيا ، القاهرة ، ص 67.

حياتيا لا مناص منه ،فهو يرى أن "تنزل الإنسان عن حريته، يعني تنزلا عن صفة الإنسان فيه "[1] يقول:[2]

أخيرا تنفجر روحي وتصرخ بحكمة في وجهي " ليس المهم المكان ! ليس المهم المكان ! طالما أن ذلك سيكون خارج هذا العالم".

ومن هذا الباب عرف **بودلير** التمرد والرفض الديني منذ صباه ؛حيث فطر قلبه على الصدق رافضا الزيف والتصنع الديني الذي يبديه سكان المدينة، فهم غير ملتزمين بالضابط الديني المسيحي، على عكس سكان القرى الذين يلتزمون بالتعاليم الدينية. يقول شارل بودلير:[3]

عندما يهتاج الجرس، وينشد بأعلى صوت

ويلزم القرية باليقظة منذ الصباح

عندما يمضي الجميع لسماع القداس المتأهب

شبابا وشيوخا بأبهة أنيقة.

أمّا في العالم العربي الحديث والمعاصر فإنّه عندما تسللت الحداثة ، حاول شعراؤه الذين تبنوا هذا الطرح البحث فيها عن كل ما يوافق روح عصرهم، وما يعرفه من تطور علمي وتكنولوجي محاولين الثورة على الموروث الديني وتحديده حاملين الفكر الإيديولوجي الوافد مع الحداثة .

[1]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة أي مكان خارج العالم)**، ص 732

[2]) جان جاك روسو، **العقد الاجتماعي**، تر عادل زعيتر مؤسسة هنداوي ط1، 2016، القاهرة ، ص32.

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة فتات)** ،ص 582.

ولأنّ المدينة العربية تشهد تدافعا طائفيا وعقديا كبيرين؛ حيث يجعل من الخطاب الديني الوسيلة الأنجع لإثبات الذات .. يتسم غالبا علماء الدين ودعاته بالتشدد والغلو والتعصب، وهو ما يجعل التابعين من جمهور الشرائح المجتمعية تعاني ... والشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** رأى من خلال عيشه في المدينة أنّ الفاعلية الدينية تنقص العديد من أبناء المجتمع نتيجة للتشدد الكبير في الأمور الحياتية لدعاتهم فدعاهم إلى تحديد الخطاب الديني المبني على الوسطية، وفهم الحياة المعاصرة فهما يليق بها ، فهو يرى أنّ القيم الإيمانية تبقى المورد الرئيس لباقي القيم الاجتماعية.

فعرف الشاعر تمردا دينيا، جرّاء "الوضع العام الذي شاهده حين عاد من باريس جعل المقالة حتمية، لأنّ الأجواء كانت مشحونة بمحاولة اغتيال نجيب محفوظ، واغتيال فرج فودة، ومحاربة نصر حامد أبو زيد، وملاحقة القضاء له، و لحلمى سالم، وحسن طلب . فالمقالة إذن. تفتح أمامه الأفق ليكتب عن الحريات، وتحديد الخطاب الديني، والمرأة، والفن والثقافة .[1]

فكما ذكرنا آنفا الشاعر يدين بالإسلام ويلتزم بتعاليمه، وقد تربى في عائلة محافظة ،كما حفظ القرآن وهو في سن الصبا، لكن وجدنا مقطوعة شعرية رأينا فيها خروجه عن المألوف الديني ورفضه " الفكرة الدينية لأنّها كما يراها آنذاك تصطدم مع رغبته القوية في الحياة"[2]

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي: **الآن أشعر بالحزن والعطف على القاهرة،** حوار مع أسامة رحيمي مجلة الأهرام الالكترونية .https://gate.ahram.org.eg/daily/News/653336.aspx/2018

[2]) انظر : أحمد عبد المعطي حجازي **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 68

وقد قال فيها:[1]

دع لنا الليل والنساء وتثاءب مع القمر

أنت يا رب في السماء فأترك الأرض للبشر

أنت يا رب بعتني عندما ذقت حنطتك

فاترك القلب يجتني جنتي وارع جنتك

كما نرى كذلك أنّ الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** ينبذ التقوى المصطنعة التي يبديها سكان المدينة التي لا تنبع من ضمائرهم الميتة ويضع في مقابلها التقوى الأصلية، فالسلوك الجمعي المديني يختلف عن القرية وموردها الديني الصافي.

1-2- التمرد السياسي في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

شكّل البعد السياسي عند **شارل بودلير** أثرا فنيا بارزا في رؤيته للمدينة، جعله يأخذ موقفا مضادا تجاهها بما حملته من أحداث سياسية، أخذت منحيين في موقف الشاعر؛ موقف ذاتي الرؤية وموقف قومي الرؤية تحلى في المناهضات والمطالب الشعبية.

كانت رؤية **بودلير** السياسية للمدينة مبنية على العدل والمساواة، فمدينة باريس أثقلتها البرجوازية الطاغية في جشعها، التي أفرزها الثورة الصناعية، والتي عمقت الهوة بين الواقع الاجتماعي والسياسي، ما

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي ، **الأعمال الشعرية الكاملة لحجازي (من مقدمة رجاء النقاش)** ،

جعل إنسان المدينة يتألم كثيرا فغابت الإنسانية، وتعددت المظاهر الاجتماعية البائسة جراء تلك السياسة.

وكان لقرارات السلطة الحاكمة في باريس كما حدث في قرار زيادة الضريبة على الخمر، وهي الزيادة التي كانت قد وعدت السلطة بإبطالها بعدها ،ولكن من خلال الضريبة اشتم الفلاحون رائحة الحكومة"[1]، هذه الحكومة التي لا تألم لحياة المهمشّين والمستضعفين من العمال والفلاحين الباحثين عن قوت العيش في ظل الحياة الأرستقراطية الفارهة التي يحياها البرجوازيون والمتسلّطون من الحكومة، غير آبهين بمن هم يحيون في دهاليز باريس الحديثة.

يقول:[2]

يعودون وهم يفوحون، برائحة براميل الخمر

يتبعهم رفاق شابوا في المعارك

وشواربهم محنية كالأعلام القديمة

الرايات والزهور وأقواس النصر.

كما تبنى شارل بودلير الأفكار الاشتراكية الماركسية، لذا جاءت نظرته أكثر انفتاحا واتساعا رغم أنّ العمل السياسي لديه ضربٌ من ضروب الفن والتهكم، كما سبق الذكر.

عايش **بودلير** الأحداث السياسية التي عاصرها في مدينة باريس، فقدت حملت ذاكرته كل التفاصيل

[1]) فالتر بن يامين: **شارل بودلير شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية**، ص15.

[2])شار بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص371.

السياسية وما رافقتها من تبعات، وما عكسته تلك الأحداث في تشكيل وبلورة المدينة في مخيلته، فالامتداد التاريخي لباريس جعله يعيش على واقع مدينتين، ما كانت عليه ماضيا وما آلت إليه حاضرا ومستقبلا، وارتباطه بباريس فتح نافذة ذاكرته للحنين والتأسي لما كانت عليه مدينته العريقة التراثية، وما آلت إليه الآن، وما أصابها من تحديث مّس عمرانها الأصيل فتحولت إلى أشكال مادية فاقدة للهوية، جرّاء السياسة الحاضرة التي تحكمها.

أسبغ الجنرال **أوبك** على حياة الشاعر **شارل بودلير** كُرها مقيتا للمدينة بصفته حامل لواء النظام البرجوازي الطاغي ،و المتنفذ في مدينة باريس، هذا النظام الذي سلب الشاعر كل امتيازاته وميراثه ،وأقام عليه رقابة قضائية، ذاق من خلالها **بودلير** أنواع الصعاب بدءا من الجوع والحياة الشاقة وإخضاعه لحياة الديون التي أثقلت كاهله، مما جعلته يغير عناوينه هروبا من دائنيه.

ومع اندلاع الثورة كان **بودلير** من المنضمّين الأوائل لها حاملا سلاحه، وقد دفعه حماسه المستفيض ليشد أزر رفقائه الذين يقفون بجانبه " فبودلير كان يوجه غضبه ضد حكم البرجوازية وأنّه كان سيجد اللذة القصوى فيما لو حدثت الثورة في تدمير ذلك المجتمع باسم الأسرى والمظلومين وكثيرين غيرهم"[1].

كان الانتقام الدافع الوحيد الذي يحرك دواخل شارل بودلير، فزوّج أمه الجنرال أوبيك،والذي "قام بقمع عدة ثورات تحررية سابقا ؛حيث كان يصيح بودلير وسط الجموع "هذا بونابرت آخر.[2]

[1]) ريتشاد ج كلين : **بودلير والثورة وبعض الملاحظات** ، تر : جان صليبا ، مجلة مواقف ، ع 26 ،1973 ، ص 72.
[2]) انظر شارل بودلير : **اليوميات** ، ص 36.

كانت تلتهم قلب **بودلير** كآبة شديدة السواد تجاه البورجوازية، ورغم ذلك لم يبد أيّ التزام ثوري واضح، سوى تحمسه لأفكار معادية للنظام الملكي آنذاك.

ولكن رغم تلك النظرة التشاؤمية تجاه المدينة وسلطتها إلاّ أنّ بودلير "استطاع أن يعيش حياة أسنة هادئة في مجتمع الإمبراطورية المتعثّر المتحشرج المهتم قبل كل شيء بالحفاظ على الوضع الراهن أو بإعادة توطيده "[1]

ولأنّ **بودلير** شاعر المتناقضات، فقد كان "يحلو له دائما أن يسخر من أهل الصلف والغرور، وذي الرتب ،والألقاب وأصحاب الجاه، والسلطان، وكأنّه يلتمس بذلك أن يثأر لنفسه من اضطراره إلى الخضوع لهم أحيانا تحت ضغط القوانين والأوضاع[2]

ساند **بودلير** حركات التمرد الشعبية مرتين، وأشرف كذلك مرتين على صحف مرتدة كانت تشهّر بها،[3] وعند اندلاع ثورة 1848م، والتي جاءت ردا على الضرائب المتزايدة التي أثقلت كاهل التجار، والبعض من البرجوازيين الذين أدركوا أنّ الحكومة تستغلهم، وهو ما جعلهم ينتفضون في وجهها كلية ليأتي اليوم الذي يشاهد فيه " بودلير وكوربيه وشامفلوري والموسيقيّ بروماييه يركضون من مكان عصيان لآخر، وقد هيّجهم الاضطراب القائم . .. يبحثون عبثا عن الشعلة التي ستحول باريس عمّا قريب إلى جمر متقد

[1]) جون بول سارتر : **بودلير**، تر: جورج طرابيشي ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ص 184.
[2]) عثمان أمين :**سحر باريس** ، مجلة الأديب، لبنان ، ع2 ،1952 ، ص4.
[3]) ريتشارد ج كلين ، **بودليروالثورة وبعض الملاحظات** .ص 64.

"[1] فبودلير لم يكن يقاتل من أجل الجمهورية، بل من أجل الثورة باعتبارها ثورة وضربا من الفن، أي من أجل التمرد و الانتهاك "[2]

كانت الثورة العامل الوحيد القادر على إحداث تحول وتنصيب الوعي المجتمعي لدى الأوساط العمالية والبرجوازية، وإحداث القطيعة مع الممارسات التي تهدف إلى استغلال واستعباد الإنسان. ولأنّ **بودلير** شاعر يهتم بتتبع اللحظات الهاربة رأى أنّ ثورة 1848م "مثيرة لسبب واحد هو أنّ الناس كانوا يشيدون يوتوبيا كالقصور في الهواء "[3]

كما رأي بودلير أنّ السلطات الحاكمة بعيدة عن آمال مواطنيها في بناء مدينة سعيدة، فحسب المفهوم الأرسطي "إن واقعية المدينة هي واقعية سلطاتها و واقعية أجزائها في ائتلافها وفي إيمانها بخير وسعادة المدينة..."[4]، وهذا ما لم يتحقق أمام أنظار الشاعر، فالطبقة البرجوازية لا تضمر إلا الشر، فالعامل البشري يشكّل روحا وجمالا للأمكنة التي تحتويه ، فالسلطة آنذاك كانت منصبة الاهتمام على الثورات وتسيير الأزمات، يقول **بودلير** " إنّي أمقت هذا النظام البرجوازي المتعجرف الذي يحول اللامبالاة إلى معيار اجتماعي يحق له استعمار أرواحنا كما يستعمر العالم "[5] فالسياسة في رؤاه ما هي إلاّ شعارات ولافتات فارغة، فراح يحلم بالماضي السعيد الذي ولى، ويدين الحاضر المعاصر له وهو السبب الذي جعله يمقت

[1]) مكائيل برازن :**عشيقة بودلير** ص 91.

[2]) ريتشارد ج كلين ، **بودلير والثورة وبعض الملاحظات** . ص 70.

[3])بيار بورديو : **قواعد الفن ترجمة إبراهيم فتحي، الهيئة المصرية للكتاب**، مصر، 2013 ، ص121.

[4]) حاتم النفاطي: **مفهوم المدينة في السياسة لأرسطو** ، دار الحوار ، ط1 ، سوريا ،1995 ،ص 97.

[5]) مكائيل برازن : **عشيقة بودلير** ص 78.

باريس ؛بحيث بدت له كابوسا مرعبا ومسرحا لأحداث سياسية ستنعكس على الماديات لا على الإنسان، لذا عبر عن مدينة منهارة وفاسدة(ديستوبيا)، التي رفض واقعها وسلطتها رفضا قاطعا. **فبودلير** يعي أنّ " الخراب الكوني أو التقدم الكوني (فلا أهمية للتسميات) لن يتجلى عن طريق المؤسسات السياسية تحديدا، بقدر ما يتجلى عن طريق إزاء الروح ،هل أحتاج إلى القول .إنّ القليل المتبقي من الشيء السياسي سيتخبط بعناء في أحضان الحياة الشاملة، وإن الحكام سيكونون مضطرين إذا أرادوا البقاء في الحكم وخلق نظام إلى الاستعانة بوسائل سترتعد لها فرائص بشريتنا الراهنة، على شدة تحجّرها"[1].يقول بودلير:[2]

شهر "بلقيوز "[3]، مهتاجا على كل المدينة

يصب من جرتّه بردا مظلما في دفقات كبرى

على السكان الشاحبين للمقبرة المجاورة

والوفيات على الضواحي الضبابية

وبالعودة إلى ثورة 1848م التي عرفتها فرنسا، والتي عرفت امتدادا أوربيا مس أوربا بقومياتها، ففي فرنسا أسقط حكم **لويس فيليب** وتم إعلان الأمبراطورية سنة 1851م ،والتي جاءت ردا على الفساد الاجتماعي والاقتصادي ،كما رفضت السلطة إصلاحات قوانين الانتخابات، فاشتعلت الثورة ردا على هذه

[1])شارل بودلير : **اليوميات** ،ص87.

[2]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 288.

[3]) الشهر الخامس من تقويم الثورة الفرنسية (من 20 يناير إلى 18 فبراير).

المفاسد فخرجت الجماهير غاضبة ناصبة المتاريس في شوارع باريس مطالبة بالإصلاحات، ورغم " ما أحدثته الثورة الفرنسية من تغييرات جذرية في البنية النفسية والاجتماعية للفرد، وإذكاء الروح الوطنية والقومية، ومن فتح مجال الغني الثقافي بتأميم المتاحف والمعارض"[1]، إلاّ أنّ موقف بودلير كانت يتسم بالسخرية دائما.

اتخذت المدينة عند **بودلير** رمزا للطغيان السياسي الذي أضحى جبروتا متحكما في منافذها، فهو الذي جعل فيها النوادي الليلية ،والمباني والبارات، وشيّد السجون التي كانت مأوى للغلابى والمناهضين ،فشكّلت هذه الفضاءات هاوية لابتلاع الإنسان، ووأد حريته، وطمس آدميته. فالمدينة أضحت مأسورة رغم ارتباطها بالوعي الذي يقود إلى المظاهرات، التي تعصف بإيقاع المدينة المتواتر، وتجعل حشودها المنفصلة حشدا واحدا متجانسا، وتدمج بعض مفرداتها المكانية، الميادين والشوارع خصوصا في تار من غضب استثنائي؛ بحيث تبدو المدينة كلها ساحة قائمة على المشاركة، والتلاحم بتجاوز علاقاتها السائدة القائمة على الانفصال بين الفرد والآخرين"[2].

كما كان بودلير يبغض الساسة المتسلطين ،فهو الذي كان يتطلع إلى التكريم من كل سنة لكن دون جدوى، فيقول[3] :"**إذا كان الرجل ذا جدارة فما الجدوى من توسيمه ؟**

إذا لم يكن كذلك فهل يمنحه الوسام سوى بعض البريق، فالقبول بالتوسيم اعتراف الدولة أو للأمير بالحق في تقييمك وتحقيق شهرتك..." كان غياب التكريم يحز في نفس **شارل بودلير** ،ويوقد غلا متوهجا

[1])زينات بيطار: **الإستشراق في الفن الرومنسي** . سلسلة عالم المعرفة (1992) ،ص182.
[2]) حسين حمودة: **المدينة والرواية** ، ص 246.
[3]) شارل بودلير : **اليوميات** ترجمة آدم فتحي دار الجمل ط1 كولونيا – ألمانيا، 1999 ص 109-110.

،خاصة أنّه يرى نفسه الأجدر بالوسام على خلاف عدة شعراء وكتاب عصره. شعور بالإحباط ينم عن إحساسه بعلو شأنه، وعظمة قدره فيقول"[1]:الأمم لا تنجب العظماء إلا مرغمة، شأنها شأن العائلات وغالبا ما تعمل قدر جهدها كي لا يكون لها عظماء".

أما عند **حجازي** فقد أسهمت التنشئة الاجتماعية لحياته العملية والعلمية. فعرفت روح التمرد طريقا إلى قلبه، وهو في عنفوان شبابه، فقد سجن مدة شهر بسبب مناهضته للنظام القائم آنذاك ، لم يطلق سراحه إلّا بعد تعهد من والده بأن لا يمارس أي نشاط سياسي، فقضية سجنه حرمت عليه الوظائف الحكومية مستقبلا بسبب وضع اسمه في قائمة المعارضين للنظام، وعند استقراره النهائي بالقاهرة، "فقد تحولت إلى معامل النزوعة السياسي والاجتماعي وانتمائه الشعبي والقومي "[2]

عرفت مصر في تلك الفترة تيارات سياسية وتجاذبات فكرية، كان الشاعر حجازي يبدي تعاطفا متحفظا للإخوان المسلمين، لأّنهم تعرضوا للاضطهاد في ظل الحكم القائم، إضافة إلى مشاركتهم في حرب فلسطين، ولكن انشغال الشاعر بالكتابة والتدوين أبعده عن تيارهم، بدءا من سنة 1953م ، وقد صرح بذلك حين قال : "كانت جهات الأمن تعتبريني من الإخوان المسلمين، رغم أنني لم أنتَم في فترة الصبا لأي حزب فلم أكن شيوعيا، ولا من أتباع مصر الفتاة، إذ أنّ الأحزاب التقليدية قد انتهت بحلها سنة1953م،

[1])شارل بودلير : **اليوميات** ص 63.

[2]) علي جعفر العلاق : **الشاعر والحلم والمدينة في حداثة النص الشعري ، دراسة نقدية** ، ص 143.

أما بعد ذلك فقد تعاطفت مع البعثيين والناصريين خصوصا بين 1967/1956م "[1]

كان لطبيعة عمل الشاعر حجازي كصحفي دورٌ لا يقل أهمية في تشكيل رؤيته السياسية ،وتمرده الذي تزامن مع مرحلة سياسية هامة ومفصلية، ألمت بالمدينة العربية عموما والقاهرة خصوصا، وخاصة التضييق على الكتاب والمبدعين في ظل حكم أنور السادات ؛حيث كان يرى فيه "حصارا وانتحارا بطرق مختلفة وهناك جيل سحق وأصيب منه بالجنون والانتحار. أيُّ حصاد يكون حين يصبح الوطن وطنا آخر؟"[2]

أدت مجمل هذه المؤثرات والعوامل المتلاحقة إلى تشكيل رؤية سياسية، كانت المدينة محورا لها ؛حيث حملت هذه الأخيرة صورا متعددة تبعا للمواقف والأحداث الدائرة في سرحها التي عايشها الشاعر وأدركها؛ فأوضاع المدينة العربية غالبا مترديةٍ، والأغلب منها منفلت من مخالب الاستعمار الغربي حديثا. و الشاعر برؤيته المتبصرة أدرك عمق الهوة بين المطالب الجماهيرية والسلطات الحاكمة فتجلت أشعاره بين النضال والالتزام والوحدة والتطلع إلى مستقبل أرحب يتجاوز الواقع المعاش بزوال حالة الوهن والخنوع التي عايشتها الجماهير في مدنها العربية.

فقد كان **حجازي** ذا حلم عربي واسع الأفق، تحدوه رغبة تفاؤلية لواقع أفضل مشحون بالحماسة ،فهو يرى "كأن السياسة تصبح فنا في تعطيل الحياة، وتعطيل حيوية الفرد السياسية كلها، والملك كله لآلة الفساد

[1]) عزمي عبد الوهاب: **حوار مع أحمد عبد المعطي حجازي** ، مجلة نزوى ، ع 10 ع1997 ،ص 153.
[2]) أحمد عبد المعطي حجازي : **هزيمة 1967 أدت إلى عزلة جيل وهجرة جيل آخر** ، مجلة نزوى ، ع 10، 1997، ص 151.

والعنف "[1]

وفي هذه الفترة من الزمن اشرأبّت الأعناق تنظر جمال عبد الناصر بعد توليه الحكم، فقد رأى الشاعر أنّ جمال عبد الناصر بين يديه "مشروع ثوري ينقي المدينة ويطهرها من آثارها ويحولها إلى مدينة للإنسان لا ضد الإنسان"[2].

فالمشروع الناصري مستمّد من الحداثة الأوروبية في شقيها الثقافي والسياسي ذات الطابع الاشتراكي الهادف إلى إحداث وثبة إحداثية للمجتمع المصري، وإكسابه القيم الجوهرية الخادمة للإنسان وفق الأسس الحضرية المبنية على الوطنية ،والانتماء القومي والإيديولوجي.

جذبت تلك الرؤية المتبصرة الشعب المصري بأطيافه إلى الرئيس، وامتلك قلوبهم ؛حيث تحوّل الزعيم إلى أسطورة أثراها خيال المحبين والمبهرين بما قاله الزعيم أو حققه. ..لقد تعلقت أنظار الناس بجمال عبد الناصر فكالوا له كل أوصاف العظمة والبطولة، والعدل، والكمال، لم يدعوا من الصفات الحسنة شيئا لم يلصقوه به"[3]

تعلّق الشاعر بالرئيس لأنّه وجه من أوجه المدينة التي يحبها، حمل تطلعاته وآماله الرامية إلى رؤية مدينة ذات شعاع حضاري ،ومتسمة بالأمن والاستقرار والعدالة والتسامح، فاتسمت لديه صورة الرئيس ملازمة

[1])أدونيس: **غبار المدن وبؤس التاريخ**، دار الساقي ،ط1 ،2015 ،بيروت ،ص 02.

[2]) عزمي عبد الوهاب :**حوار مع أحمد عبد المعطي حجازي** ، ص 152.

[3]) عبد الله مسرور :**عبد الناصر في الشعر العربي الحديث** ، دار مطابع فاروق ، ط4 ، القاهرة ، ص 42

لصورة المدينة التي احتضنت الرئيس منقذ المدينة من الوضع المأساوي، يرجع ذلك إلى الوعي العميق الذي يحمله الشاعر، وإدراكه لما يجري في المدينة يؤكد أنّ الرئيس هو الفارس المخلص من الوضع الاستبدادي السياسي والاجتماعي.

كان تعلق وعشق الشاعر لجمال عبد الناصر لا يوصف تجسد ذلك في قصائده الشعرية التي حملت إحدها اسمه ؛حيث يقول:[1]

فلتكتبوا يا شعراء أنّني هنا

أمر تحت قوس نصر

مع الجماهير التي تعانق سني

أشاهد الزعيم يجمع العرب

فلتكتبوا عن شاعر كان هنا

في عهد عبد الناصر العظيم

بعد وفاة جمال عبد الناصر تفجّع الشاعر تفجعا جنائزيا على الشاعر، بفقده فقدت المدينة بريقها، ولم يصدق ما يحدث خاصة ما خلفه ذلك الفقد من حسرة في قلوب أوساط المهمّشين من المجتمع المصري؛

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ، ص 177.

حيث يقول:[1]

يا أيها الفقراء يا أبناءه المنتظرين مجيئه. ..هو ذا أتى

خلع الإمارة وارتدى البيضاء والخضراء ،وافترش الرمال، هو ذا أتى

ليمرّ مرّته الأخيرة في المدينة

صوّر الشاعر المدينة كمعبر أخير للرئيس حال عودته المنتظرة تعكس حالة الفقد الرهيبة التي أدمت قلوب المحبين له، وكست أنفسهم قهرا، وحزنا، وأحسّ الشاعر بحرارة الفقد، فقال[2]:

نحس كأنّ خرجنا من مدينتنا إلى غريب

يتواثب الأطفال فوق الأمهات الباكيات،

وتحمل الأجيال أجيالا وتنفجر المدينة بحراً من الحزن المروع

فقدت المدينة بريقها بفقد رئيسها، فانتكست صورتها وتحولت إلى بركان من الحزن.وقدأسبغ الشاعر على جمال عبد الناصر طابع القداسة والأسطورية، فغدا عنده البطل الحتمي والوحيد. ..وتوّلدت جرّاء هذه المواقف نزعة قومية غرست شعورا يتسم بالعاطفة ،تربط بين أفراد المجتمع من خلال روابط ثقافية، ودينية، واجتماعية، إضافة إلى العادات والتقاليد، تُميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات البشرية الأخرى.

[1]) المرجع نفسه، ص 493.

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ص 495.

غير أنّ ما شاع في العالم الثالث، والعربي خلال هذه الفترة هو بروز ظاهرة الاغتيالات، وقد اتّخذت الأنظمة الحاكمة من المدينة فضاء لتنفيذها ،إضافة إلى جعلها مقرا لحكمها ومزاولة أنشطتها السياسية وغيرها، ففيها كما قال الشاعر[1] :

الطغاة

العراة

الولاة

الجباة

هذه الكائنات الخرافية

الأفعوانات

قادة الانقلاب

مزورة الانتخاب

المسوخ التي صبغت شعرها

ونفت نفسها خارج الوقت كي لا تموت

هذه العصابات جعلت من المدينة بؤرة للاغتيالات المناهضة في سبيل إعلاء الكلمة، ووأد الفكر

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي: **ديوان طال الوقت**، الهيئة المصرية العليا للكتاب، القاهرة، ص39.

التنويري، كما فعلوا مع المفكر – فرج فودة – وهو مفكر مصري معروف.

يقول[1] :

دمه الذي أريق في أقصى المدينة وردة

قامت في الرمل، الذي أمطر البلاد

دمه دم طمي تحت عصف الريح

صرختنا الأخيرة

جرحنا المفتوح في هذا السواد

كما ربط حجازي محاولة اغتيال الكاتب نجيب محفوظ بخلو المدينة من سكانها، فدبيب الحركة فيها انعدم ؛حيث[2]:

كانت الساعة الخامسة

والمدينة غائبة بين قيلولة ومساء

مخدرة بشذي يتصاعد من شجر شائخ

....

[1])أحمد عبد المعطي حجازي: **ديوان طلل الوقت**، الهيئة المصرية العليا للكتاب، القاهرة، ص 87.

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي: **ديوان طلل الوقت**، ، ص 36

والمدينة مهجورة

ما عدا رجلا طاعنا في الثمانين

ليس له أن يغيب ولا أن يموت

يواصل تجواله في شوارعها البائسة

فالشاعر رثى المدينة البائسة التي يقّتل أبناءها بين ثناياها نتيجة سطوة الحكام، والمتطرفين ،فالمدينة لم تعد آمنة للفكر، فواقعها موبوء بالعنف والتعصب،وفي هذا يقول[1] :

إرمُ الجديدةُ من دم الكتاب تولد

فالسلطة تريد أن تجعل من دم الكتاب أسطورة مبعثها المدينة البائدة – إرم– كما كانت المدينة مبعثا للرثاء، فنجد

حجازي يرثي صديقه –أمل دنقل – فيقول[2]:

يومها كانت الشمس تشرق والنهر يركض في الصيف

ركض الغزال

كانت الريح خضراء والصيف أشقر

[1])المرجع نفسه، . ص 37.

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 624.

والأمهات يدغدغن أطفالهن على الشرفات

وكانت سماء المدينة عامرة بالنجوم

وأهواؤها بالغلال

وأتى لابسا كفنا

إنه عرسه المهدي

فرثاء المفكرين" هو رثاء لاضمحلال وعي المدينة وهشاشتها الفكرية، وفساد الذوق فيها" كما نادى حجازي شعب مدينته لاسترداد حقه، ومجابهة الطغاة الذين عاثوا فسادا في المدينة ،فيقول[1]:

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابدّ أن يسترد مدينته

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابدّ أن يسقط الطاغية

وهذه المواقف اتجاه الساسة والحكام ولّدت صراعاً بينهم ،ممّا أدى إلى تعرض العديد من الأدباء والمفكرين إلى المتابعات القضائية .

وهو ما قد يدفعنا أن نشير إلى أنّ السلطة ليست وحدها الدافع للتمرد، فالميل إلى السلم وتجّنب

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي، **ديوان طلل الوقت** ،ص 27.

المشاحنات والخلافات الناتجة عن سوء استعمال السلطة، وتقبلها من طرف الجماهير ،هو كذلك دافع لتمرد ذات الشاعر، التي لا تؤمن بالخنوع الذاتي على عكس البقية.

الأمر هو ذاته عند **شارل بودلير** الذي عمّق الهوة بين السلطة والفن، فنادى قائلا" إلى أصحاب المدن الذين يملكون السلطة، عليكم أن تتعلموا الإحساس بالجمال "[1] ولأنّه ذاتٌ شاعرة تكن حنقا على باريس، لما تحمله من ضبابية سياسية، فهي مدينة بشعة وقبيحة، تنخرها الآفات بأنواعها، حوّل **بودلير** تلك السوداوية إلى قصائد شعرية تنسل موسيقاها من دواخل المدينة الكامنة بالشر ؛ هذه القصائد التي أحدثت زلزالا "في الأوساط الأدبية وتناولته الصحف باللمز ،واللدغ ،والطعن، والشتم والسباب، ورفعت قضيته إلى المحاكم المختصة، التي حكمت على الشاعر بدعوى المساس بالأخلاق "[2]

كانت القصائد تهتم بالكئيب، والحزين ،والمبتذل واللاّمتوقع ،وهو ما كان محرما وجرما عظيما ،وهو تَعَد عن الأخلاق العامة، حتى وإن كانت " الأخلاق عند بودلير ليست منهجا غايته تغليب الخير على الشر، إنما ممارسة يومية لصراع دائم بين الاثنين مع اليقين أن الشر غالب في النهاية، ولكن عدم التسليم به هو ذلك الذي ينتج عنه الخير "[3]، **فبودلير** لم يتمسك بثابت ولم يمثل لواقع ،يقول " لم يكن بوسعي أن أكتب بطريقة غير تلك التي كتبت بها، إذ ما كتبته كان انعكاسا صادقا لنفس مضطربة غائصة لقيعان

[1]) زينات بيطار ،**بودلير ناقدا فنيا** .، ص 38.
[2])مصطفى قصري، **الشاعر بودلير حياته ،زهور الألم، قصائد نثرية** ، دار الكتاب ، ط1 ، الدار البيضاء ،1964،ص 19.
[3]) شارل بودلير : **اليوميات** ص 35.

الرذيلة "[1]

كان هذا التحريض عن الانحلال الخلقي والرذيلة في الظروف السياسية آنذاك؛ حيث كانت السلطة تقرّب إليها الممثلين والمغنيين ،فيما لا تجد حرجا في معاملة الكتّاب، والشعراء معاملة المجرمين والسفلة، ولم يكن **بودلير** عابئا بما يثار حوله ،فقد كتب إلى أمه رسالة قال فيها "لقد أشاعوا اللغط الذي سيلاحقني، بيد أنه لن يكون شيئا، إنّ حكومة على كاهلها انتخابات باريس مرعبة لا تمتلك وقتا لملاحقة مجنون[2]، ولكن هذه السلطة جرت بودلير إلى المحاكمة بتاريخ 20 أوت 1857م، إلى قصر العدل بجناح الجنح بباريس، فقد تمت معاملة بودلير على أنه مجرم أو سفاح، فقد مر على ذلك الجناح مجرمون وعاهرات، وفي أثناء المحاكمة ركز محاميه على نية شارل بودلير على فضح الشر وتجلياته، فقد ذكر أن عدة شعراء سبقوه إلى هذه المواضيع الأخلاقية دون أن يقدموا إلى المحاكم فكما قيل، فالأدب لا يجب أن يتحاشى مواضيع ويسهب في أخرى. كما غرمت العدالة شارل ماليا لكن بودلير شعر ببؤس هؤلاء القضاة الذين لا يدركون معنى الشعر ولا يركنون للعدالة الاجتماعية الحقة التي هدفها حماية المهمشين والضعفاء ،فالقضاة في رأيه صورة للبرجوازية الطاغية بشرائعها الغبية والعبثية ،ورغم إدانة العدالة النابليونية الجرأة الشعرية لشارل بودلير، ولم تدرك أنّها بذلك وضعت عظمة شعرية في مصاف العالمية فيما بعد.ممّا سبق نخلص إلى ما يأتي:

- اتفاق الشاعرين على أن المدينة مرتع للسياسة الطغاة والظالمين .

[1]) شارل بودلير : **شاعر الخطيئة والتمرد** ص Ma chere Marman: De Baudelaire a 20 . نقلا عنhttp://saidboukhlet. Com.

[2]Saint-Exupéry;des، **lettres d écrivains** . Gallimard; 2002.

- نظرة بودلير للسياسة كانت أقل حدة وعدوانية، عكس ما هي عليه عند حجازي، الذي أخذت عنده أفاقا قومية وبعدا وطنيا.
- انعكس هذا الصراع بشكل بارز على إنتاجهما الشعري وبرز بوضوح تأثرهما بهذه المواقف السياسية.
- رغم تباعد الزمان والمكان إلا أن الشاعرين تطابقت رؤيتهما من كون أنّه على الساسة وحكّام المدينة امتلاك مشروع إصلاحي لخدمة المدينة وإنسانها، فالسلطة جعلت من المدينة عالما من الفوضى عندهم.
- أغلب الشعراء يدركون في قرارات أنفسهم أن قادرون على التغيير رغم عدم إشراكم في القرار لذا تظل أشعارهم رصاصات في قلب من يرون أنّهم سلبوا منهم حريتهم في التعبير عن مكنونات مجتمعهم ،وذلك عبر إبداء مواقفهم و نظرتهم ، مبرزين أهمية العقيدة والانتماء ،والحس الوطني، وهو ما ينجر عنه غالبا من اغتيالات ونفي ،وإكراه مادي، و معنوي ،ورغم ذلك لم يرض الشعراء أن يكونوا أبواقا لغيرهم .

1-3- التمرد الفني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

كان لسيطرة الفكر الكنسي وإغراق أوربا في عصور ظلامية حالكة، إبان القرون الوسطى؛ حيث توارى الوعي وغاب الفكر، واستفحل الجهل، وساد التفكير الأسطوري وعمت الإقطاعية، فالكنيسة حينذاك " أرادت إنسانا بلا رسم ولا رقص، ولا غناء ،ولا موسيقى، ولا فلسفة، ولا أدب و شعر ... إلا مسار عبر ترسيماتها هي، كانت تطلب المستحيل من الناس، أرادت أن تسد هذا الفراغ الكبير والخطير

بالصوم ،والصلاة، والليتورجيات الموسيقية ،والغنائية التي لم تشبع الناس، فظلوا يتهافتون على الخطيئة حسب مفهومها"[1].

وحكم رجال الدين الذين وأدوا كل فكر تنويري مناهض، فلم تعرف تلك الأفكار التنويرية طريقا أسلك مسارا من الفلاسفة، والكتاب الذين رسموا حدودا متكاملة للنهوض بالمجتمعات الأوربية لمصاف الرقي ،عبر إحداث فضة جوهرية للحياة الاجتماعية بإذكاء النزعة الإنسانية المتلهفة للعلم وأصول المعرفة، عملت خلالها الحداثة الأوربية على خلخلة النظم الاجتماعية السارية في المجتمعات الأوربية، والتي جعلت من الفرد الأوربي كائنا منمطا معطّل العقل ، مسلوب الإرادة ومقهور الذات. " لإيجاد الثقة التي كانت لدى القدماء في العقل"[2] شقت عبر هذه التحولات التاريخية الحداثية بداية من القرن التاسع عشر عبر عدة مدارس، أبرزها المدرسة الرمزية، التي نظر لها الشاعر شارل **بودلير** والتي كان قوامها الفن، واللغة الشعرية التي سعى إلى تفجيرها ،وإحاطتها بألغام من الرموز، فنجد قصيدته (المراسلات)" أحال الأشياء والمعاني رموزا بحتة، فكانت هذه القصيدة إيذانا بالاستعمال الفني الجديد للمز.. "[3]كما خلق الصور الشعرية المعقدة والمركبة. محررا إيقاعية الموسيقى اللفظية، لتصبح أكثر إيحاءً وقدرة على بعث انفعالات شعورية متعددة ؛حيث تقوم على رؤية فلسفية تهدف إلى استقرار الواقع بالعين الثالثة، فمن انعكاس الواقع على مرآة النفس يكون التحليل

[1]) حنا عبود. **من تاريخ الرواية–دراسة**– منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط،دمشق ،2002م. ص 81.

[2])تورين آلان. **نقد الحداثة**، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة ، دط،القاهرة،1997،ص 54.

[3]) نسيب نشاوي. :**مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر**.(الاتباعية – الرومانسية – الواقعية – الرمزية). منشورات المطبوعات الجامعية . م 1984م، ص 466.

الذي يعتمد على الخيال الواسع، والحدس القوي النافذ إلى غياهب المكنونات، ليخرجها ،ويفككها، ويجعل منها تحفة وأكمة سحرية وقصيدة كشفية تحمل الجديد دائما "[1]

ولا شكّ أنّ **بودلير** – قد استشفّ إمكانية إدخال الإيقاعات المتنافرة، وانعدام توافقات العصر، والوعي الحديث ليبدو بذلك سابقا لزمنه تماما"[2]، فغدا النص "البودليري" لايمكّنك من الوصول إلى المعنى النهائي للنص الشعري " فالعطور والألوان والأصوات والصور يحس بها **بودلير** كأشكال متعددة للروح، ولهذا بالوصول له يتم عبر الأحاسيس ،كما يتم من خلال الرغبات الشهوانية والأفعال الشريرة"[3] ، كما أن **بودلير** يرى أن الحداثة حدث جمالي فني لا حدث زماني، فقد عبث بالمرتكزات الرومانسية الكلاسيكية الحالمة وشق طريقه بأسلوب أدبي عبثي عاكسا الواقع المليء بالتوترات، والتناقضات المهيمنة على الواقع المديني. كما ارتبط **شارل بودلير** بقصيدة النثر التي اتسمت بالتمرد ،والثورة على الشعر الكلاسيكي بالتجاوز والهدم، وإعادة البناء برؤية حداثوية جديدة، جوهرها خلق عوالم شعرية إبداعية متجاوزة العالم الواقعي الموبوء بطغيان الحضارة الصناعية، و" الحقيقة أن قصيدة النثر لم تفتح فجأة في روضة الآداب الفرنسية، فقد كان يلزمها لذلك أرض صالحة. أود أن أقول أذهانا تؤرقها شعوريا أو لا شعوريا الرغبة في إيجاد شكل جديد للشعر، وكان يلزم أيضا الفكرة الخصبة التي مفادها أن الشعر قابل للنثر. والنثر الشعري،

[1]) بشير تاوريريت. **الشعرية والحداثة، بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية**. دار رسلان .ط1 2008. دمشق ص 60.

[2]) سوزان برنار: **قصيدة النثر** تر: راوية صادق . مراجعة رفعت سلام . دار الشرقيات . الجزء الأول .1998م. ص 163.

[3]) عمر عبد الماجد: **شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد**. دار البشير ..ص 39.

هو الذي هيّأ لمجيء قصيدة النثر، باعتباره أول طابع للتمرد على القوانين والطغيان الشكلي "[1]، واستجابة لهذه اللحظة الأدبية التاريخية في بداية الحداثة الشعرية " ،وبغية إدراك هذه الحاجات بوضوح، ولخلق لغة شعرية جديدة، والرسالة التي أخذها الشعر على عاتقة، سوف يتوجب ظهور كتّاب عباقرة يسمّون: بودلير ورامبو ولوتريامون ومالارميه في سماء الأدب"[2]

حاكى **شارل بودلير** في قصائده النثرية في ديوانه أزهار الشر الشاعر – **ألويزيوس برتران Aloysius Bertrand** (**1807– 1841**) – وخاصة في قصائدة النثرية " جاسبار الليل" " ،فما فعله برتران بالنسبة لباريس القديمة وديجون العتيقة، يريد بودلير أن يفعله لباريس عصره"[3].. شكّل بودلير من واقع مدينته باريس منبعا شعريا لا ينضب لمادته الشعرية التي علت سماء العالمية الشعرية.

حيث كان "يحلم بكتابة نوع شعري جديد يتّسم بالمرونة ، ويتّسع لكثير من تناقضات الحياة اليومية في المدن الكبرى"[4]، وهو ما عبّر عنه في رسالته إلى أرسين هوساى**Arséne Houssaye** (**1896– 1815**)- "صديقي العزيز، أُرسل إليك عملا صغيرا، ليس بمقدور المرء أن يقول عنه، دون ظلم أنه لا ذيل له، ولا رأس بما أنّ له على العكس من هذا رأسا ،وذنبا في الوقت نفسه، بالتناوب وبالتبادل، أرجوك أن تتأمل مدى روعة أسباب السعادة التي يقدمها التأليف إلى الجميع، إليك وإلى القارئ، فنحن نستطيع أن

[1]) سوزان برنار. **قصيدة النثر : من بودلير إلى أيامنا**. تر: محمد مغامس، مراجعة :علي جواد طاهر. ط1 1993م. ص 23.
[2])المرجع نفسه . ص 54.
[3])سوزان برنار: **قصيدة النثر من بودلير حتى وقتنا الراهن:** تر: راوية صادق ، مراجعة رفعت سلام . دار الشرقيات .1998 ص142.
[4])شارل بودلير : **سأم باريس** ص 07.

نقطع؛ حيث نشاء أقطع أنا أحلامي ،وأنت تقطع المخطوط والقارئ يقطع قراءته، لأني لا أعلق الإرادة العنيدة لهذا الأخير على خيط لا ينتهي في حبكة لاطائل من ورائها. احذف فقرة من هذا الخيال المؤلم، وستلتئم القطعتان دون ألم، هشمه إلى شظايا كثيرة ،وسترى أنّ كل شظية يمكنها أن توجد بمفردها ،وعلى أمل أن يصبح بعض هذه القطع حيا بما يكفي لإمتاعك، والترويح عنك ،فإني أجرؤ علي إهداء الثعبان إليك بأكمله"[1]

والنص الأصلي على النحو الآتي:

Mon cher ami, je vous envoie un petit ouvrage dont on ne pourrait pas dire, sans injustice, qu'il n'a ni queue ni tête, puisque tout, au contraire, y est à la fois tête et queue, alternativement et réciproquement. Considérez, je vous prie, quelles admirables commodités cette combinaison nous offre à tous, à vous, à moi et au lecteur. Nous pouvons couper où nous voulons, moi ma rêverie, vous le manuscrit, le lecteur sa lecture ; car je ne suspends pas la volonté rétive de celui-ci au fil interminable d'une intrigue superfine. Enlevez une vertèbre, et les deux morceaux de cette tortueuse fantaisie se rejoindront sans peine. Hachez-la en

[1])شارل بودلير : **سأم باريس** ، ص12.

nombreux fragments, **et vous verrez que chacun peut exister à part**. **Dans l'espérance que quelques-uns de ces tronçons seront assez vivants pour vous plaire et vous amuser**, **j'ose vous dédier le serpent tout entier**.

كان **بودلير** يجمع في شعره الخالد، دقة البرناسيين وأناقة الرمزيين، وكان مثالا للفنان الصادق الطموح المحب للجمال، فلم ينحط إلى الهلهلة السخيفة ،ولم يسف إلى الغموض المبهم، وظلّ طيلة حياته محافظا على إشراق الديباجة، وصفاء التعبير وعمق التفكير وروعة الموسيقي"[1] فتجربته مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدى رؤيته للعالم والوجود والإنسانية، وقف خلال هذه التجربة على حافة الانهيار والانتحار، يؤرقه النداء الخفي والغامض للماورائيات والمجهول. ومن أبرز ملامح التمرد الفني الأدق تصويرا في شعر **بودلير** هو ما لمسناه في وصف مدينته بالجثة لما رأى فيها من تفسح وتحلل، ووجه خطابه لها حين شعر" أن الخطاب عن الجثة يحيل إلى شيء آخر، إنه موَجه نحو الأحياء الذين يحاولون عبثا أن يجيدوا فيها معنى الحياة"[2]، فمع **بودلير** يصبح الجميل قبيحا ويصبح للقبح جمال.

يقول:[3]

Rappelez-vous l'objet que nous vîmes, **mon âme**, **Ce**

[1]) كمال فوزي: **شارل بودلير حياته وشعره** . ص 38.

[2])المرجع نفسه . ص 104.

[3]Charles baudelaire.les **fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page47.

beau matin d'été si doux:

Au détour d'un sentier une charogne infâme

Sur un lit semé de cailloux,

Le ventre en l'air, **comme une femme lubrique**, **Brûlante et suant les poisons**

وترجمها **رفعت** على نحو، يقول فيه [1]:

فلتستعيدي يا نفس ما شهدناه

ذلك الصباح الجميل من صيف عذب

فعند انعطافة درب ضيق كانت جثة شائهة

على سرير ملئ بالحصى

والساقان في الهواء مثل امرأة شبقة

تكتوي وتنيز السموم.

فالسموم هي الطبيعة الإنسانية الفاسدة التي تنخر المدينة، و" بودلير" تجاوز بالأوضاع المدينية الميؤوس منها إلى الموت ،لأن "الجثة بالمقابل ترفع كل لبس، لأنها تجاوزت بوضوح القطيعة التي تفصل الحياة عن

[1])شارل بودلير **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الجثة)** . ص 185.

الموت"[1]، يقول:[2]

Ouvrait d'une façon nonchalante et cynique

Son ventre plein d'exhalaisons.

Le soleil rayonnait sur cette pourriture,

Comme afin de la cuire à point,

Et de rendre au centuple à la grande Nature

Tout ce qu'ensemble elle avait joint.

وترجمها رفعت سلام قائلا:[3]

كانت تفتح بطريقة لا مبالية وقحة

بطنها الملئ بالروائح الكريهة

كانت الشمس تسطع عن هذا العفن

كأنما من أجل طهيها تماما .

عبّر **شارل بودلير** بعمق من قلب المدينة الحديثة (بطنها) المليئة بالبغاء والمواخير ،و التي سعى إلى

[1])فانسان توماس: : **الجثة، اللغة والصورة** .تر: أحمد الحوفي . مجلة علامات . ع4. المغرب.. 1995. ص 101.

[2])Charles baudelaire.les **fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page131.

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الجثة)**،ص 185.

كشف المتناقضات الدفينة في أغوارها السحيقة، فالمدينة كما صوّرها **بودلير** عالم "يفيض بالعقم والقبح والخطيئة، عالم الشوارع المسفلتة والأضواء الصناعية والإعلانات واللافتات البشعة، ووحدة الإنسان الضائع وسط الزحام، عالم التقدم والتكنيك الذي يعمل بالبخار والكهرباء"[1].

التمرد الفني عند حجازي:

تفتحت مَلَكة **أحمد عبد المعطي حجازي** الشعرية، في سن مبكرة وبلغة فصيحة، فصاحة حفظه للقرآن الكريم. يقول :" لا أذكر أوائل شعري...، ولكنّني أذكر أن أول قصيدة لي صحيحة الوزن. كانت محاولة شعرية صغيرة لتقليد رباعيات الشاعر المتمرد عمر الخيام"[2]، ولكن قبل ذلك كان للشاعر قصيدة تحت عنوان – بكاء الأبد – والتي نشرت في مجلة الرسالة الجديدة، سنة 1953م.

أثناء ولوج الشاعر للقاهرة فكّر في إيجاد عمل يسترزق منه في هذه المدينة الكبيرة، فاستطاع بعد مدة أن يجد عملا محترما، كمحرر في إحدى محلات القاهرة والمسماة (صباح الخير)، ليحط الرحال بعدها في مجلة روز اليوسف) بدءا من عام 1956م. كان خلالها يلتقي بكبار الكتاب والمثقفين العرب، تحددت رغبته الدفينة في استعادة بريق مَلَكَته الشعرية، والتي بدأت تأفل خاصة في عمل كصحفي، ليتوقف بعدها حين شعر بهيجان الكلمات في صدره ؛ حيث يقول " أشعر أنّني أخون نفسي عندما لا أكتب الشعر"[3]

[1]) عبد الغفار مكاوي: **ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحديث ج1**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة .1972 ص 72.

[2]) أحمد عبد المعطي **حجازي. عن تجربتي الشعرية** ، ص 06.

[3])أحمد عبد المعطي حجازي. **حوارمع اخلاص عطا الله**. مجلة إبداع العدد 11 (2002) ص149.

كتب الشاعر بكل إحساس، ونبضت كلماته بكل ما جاشت به دواخله، فهو القائل " لم أغيب عن الشعر ولم يغب عني، وشاعر مثلي صارت له الخبرة ليجلس، ويكتب ويستدعى الشعر ،ويكتبه في وقت قصير، غير أني أفضل أن لا أكتب القصيدة إلاّ إذا فرضت عليَّ نفسها فرضا فلا أستطيع تجنبها ،،كأنها قدر رائع عميق وممتع وكما قالت التوراة، – المحبة قاسية كالموت .فإنّ الشعر أيضا رائع كالحب، وقاس كالموت ولا مفر أن تموت وتحب"[1]، بَصَمَ **أحمد عبد المعطي حجازي** على أول ديوان له والموسوم ب – **مدينة بلا قلب** – سنة 1959م؛ حيث كانت القاهرة مسرحا حافلا لأحداثه ومضامين قصائده. احتل الديوان مكانة مهمة في حركة التجديد الشعري، والتي ما فتئت تشق طريقها في سماء الشعر العربي الحديث، فارتمى بذلك في صف جيل من الرواد إلى جانب صلاح عبد الصبور، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وغيرهم.

خاض حجازي خلال مسيرته الشعرية معركة أدبية مع العقاد، كانت ثنائية الشعر والنثر محور سجال أدبي ونقدي، لأنّ هذا الأخير كان يرى أنّ **حجازي** ليس بشاعر وكلامه ما هو إلا نثرا وليس شعرا، فيقول حجازي في هذا أن : " العقاد يرفض أشعارنا ويعتبر أن شعرنا نثرٌ رغم أنه موزون، فقد هُدَّدَ بالاستقالة من المجلس الأعلى للثقافة لأني أنا وصلاح عبد الصبور كنا ضمن الوفد المصري المسافر إلى سوريا عام 1961 م "[2].

[1])w.w.w.arageek.com/bio/ahmed-hijazi.

[2]) عبد المعطي حجازي ،**الحجازي يحكي خلافه مع العقاد**. مجلة البيان الكويتية . ع 535(2015) ،ص 42

فكتب **حجازي** قصيدة هجا فيها العقاد، بشكل موزون ليرّد بها على العقاد ويبيّن له أنه بإمكانه الكتابة الشعرية الموزونة ، و ردا على الهيمنة الشعرية التقليدية، قال فيها:

من أي بحر عصي الريح تطلبه. ... إن كنت تبكي عليه نحن نكتبه

يا من يحدث في كـل الأمـور .... ولا يكاد يحسن أمرا أو يقاربه

أقول فيك هجائي وهــو أوله..... وأنت آخر مهجــو وأنسبـه

تعيش في عصرنا ضيفا وتشتمنا.... أنا بإيقاعنا نشـدوه ونطربـه

فكان رد العقاد منتظرا، فقد قال " بل هم يعيشون ضيوفا في عصر العقاد[1] ، وبعد أن هدأت الأنفس وارتاحت الخواطر، ندم عن ما بدر منه وطلب الصفح من العقاد.

عرفت الساحة الأدبية العربية بداية من منتصف القرن العشرين، ميلاد القصيدة النثرية التي عملت على الظهور بشكل مميّز ،متجاوزة الأشكال الشعرية المتعارف عليها، ومتجاوزة قضاياها التنظيرية وخصائصها الفنية، لتفتح آفاق الشعرية العربية الحداثية؛ حيث كان لروّاد هذه الحركة الدفق الشعري اللازم ،لإحداث الوثبة والتميز ،خاصة وأنّ الحماس المستفيض مُتَأَّت من الحضارة الغربية التي قطعت أشواطا على أكثر من صعيد في بناء القصيدة النثرية، فعد هذا العامل حجر الأساس في بناء ونشأة القصيدة العربية الباحثة " عن حركة فنية تشبع المتعة النصية المفقودة، فقد أرهقت القواعد الكلاسيكية أذواق المتلقي، كما

[1]) المرجع السابق. ص 47.

أنّ القوالب الموسيقية الثابتة لم تعد مطلبا جماليا "[1]

يعد الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** من رواد الحداثة الشعرية العربية، ارتبطت تجربته الشعرية بقصيدة النثر، فقد كانت قصيدة النثر إحدى أبرز أشكال التمرد المديني، والوعي الإشكالي الحديث الذي انقلب انقلابا جذريا على المرتكزات الأساسية التاريخية ،التي ارتبطت بإيجاز التجارب الشعرية السابقة جميعها [2].

فكانت دواوينه رغم تنوع مضامينها ،و اختلاف مستوياتها الفنية والإبداعية مرتبطة بقصيدة النثر، التي بدت منبعا متدفقا ينضح بتجربته الشعرية الحداثية، خاصة ديوانه الأول – مدينة بلا قلب – الذي رسم معاركه الأولى مع المدينة، حملت خلاله تجربته الشعرية وعيا مدينيا ،ذلك " أنّ الوعي المديني ،وهو وعي حداثي بامتياز، هو ما يؤسس شعرية القصيد المديني، وهو المسؤول عن تأسيس استراتيجيات نصية للقصيد المديني تميّز شعريته، فالمديني يتجاوز كونه تعبيرا عن حيوات مدينية إلى كونه بنية نصية مدينية بامتياز ،تسقى من بنية المدينة خصائصها النصية، [3]

يقول : [4]

لن يأخذني الخوف

[1]) إيمان الناصر. **قصيدة النثر العربية، التغاير والاختلاف**. الإنتشار العربي، 2003م، ص 30.
[2])شريف رزق : **قصيدة النثر المصرية، شعريات المشهد الشعري الجديد** ، مركز الصحافة العربية ط1 ،2016، القاهرة ص 94.
[3]) المرجع السابق ،ص93.
[4]أحمد عبد المعطي حجازي **الأعمال الكاملة (قصيدة دفاع عن الكلمة)** ،ص 204.

فأنا الأصغر، لم أعرف بعد مصاحبة الأمراء

لم أتعلم خلق الندماء

لم أبع الكلمات بالذهب اللألأء

ما جردت السيف على أصحاب فرسان الكلمة

لم أخلع لقب الفرس يوما

وخلاصة التمرد الفني عندهما نوجزه في :

- تسامي الشاعرين عن المعجم اللغوي المتداول، والتوجه نحو احتواء الواقع باعتماد تعابير فنية مبنية على التناقضات بلغة شديدة التركيز.
- التمرد الفني عند الشاعرين كان نسيجا شعريا لغويا مليئا بالصور الحسية.
- التخييل الفني لدى شارل بودلير شمل جل أعماله ،في حين أنه عند حجازي كان ظهوره في قصائد معدودة على غرار قصيدة الأمير المتسول.
- الصورة الفنية لدى شارل بودلير تجريد خالص للعالم المرئي، وأكثر جرأة في المسائل الإنسانية المدينية ،وعلى الخلاف عند أحمد عبد المعطي حجازي الذي اعتمد الواقعية أكثر من التجريد والخيال.

2- الاغتراب في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي:

يُعرّف أن الذات البشرية تميل إلى الشق الاجتماعي، وتشعر بما يدور في المجتمعات ، مما يجعلها تستجلي الظواهر الاجتماعية وتكشف حقائقها، فالأنا الجوهرية للذات الشاعرة تعي تلك الصورة الحقيقية للواقع المديني ومحيطه ، فصلةُ الشعر بالمحيط الاجتماعي تجعل من الشاعر عميق الرؤيا وواسع الإدراك ،فحسه الجمالي وكيانه الوجداني كفيلان، بتعميق وتأويل النظرة، فهو " الذي يقتنص نبض الأشياء وسرها الغامض، الخفي رغم ضجيج العالم وفوضاه القاسية، وهو الذي يرى وراء سطح الحياة وطمأنينتها الخادعة، موضوعات لا حصر لها تتفجر بالقلق والنشوة والنضارة"[1]، فلذا كان لظاهرة الاغتراب الأثر الشديد لدى الشاعرين في شقها الاجتماعي ضمن عالم المدينة، رغم مؤثراته وتأثيراته في حياة الشاعرين. ففي المدينة غالبا ولأسباب متعددة " يفقد الفرد إحساسه بالتوافق والتكامل مع النحن، مما يدفعه إلى حالة من التوتر العام، يحاول التغلب عليها من خلال سعيه إلى استعادة النحن المفقودة وذلك من خلال جلب الآخرين إلى عالمه [2]"

و الاغتراب بوصفه لونا مدينيا شائعا، من أهم دوافع الإبداع ، فالذات المبدعة وعلى امتداد التاريخ صنعت من ألوان الاغتراب سلما ارتقت به إلى عالم التميز والإبداع، رغم أنه – الاغتراب – يكبح جماح القدرة والوجود والفاعلية ويثني العزيمة، ولكن عدم الاستكانة إلى المألوف وحث النفس الباحثة إلى الآفاق

[1]) علي جعفر العلاق: **في حداثة النص الشعري** ص 41.

[2]) محمد سليم هياجنة : **الاغتراب في القصيدة الجاهلية** دار الكتاب الثقافي . الأردن. 2005م. ص 35.

والحرية وفق زوايا الرؤية بحثا عن العوالم المكنونة من نفائس الإبداع الفكرية، فكان الاغتراب الفكري " بمثابة الوقود لهؤلاء المبدعين الأمر الذي أدى إلى إشعال أوار ثورتهم وتمردهم وتوسيعها ،لتشمل المجتمع كله، بما في ذلك العادات والتقاليد ومعتقدات، فملأت هذه الثورة وهذا التمرد نفوسهم – شديدة الحساسية – ذكاء وقادا ورؤية عميقة للناس والوجود"[1]

كان الاغتراب كما سبق الذكر منفذا نسلّت منه إبداعات الشاعر بسمفونية حزينة ،وتفكير تعتريه الكآبة، نتيجة المحن المتعاقبة التي لم تترك للشاعر نفسا يستريح منها، وقد أخذ أشكالا عدة منها:

2-1- الاغتراب المكاني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

يرتبط الاغتراب بالمدينة ارتباطا وثيقا، ينّم عن واقع اجتماعي مليء بالإحساس والمعاناة التي تسري في دهاليز المدينة المظلمة، يشعر الفرد فيها بكل أنواع القهر بين ركام حضاري مقيت، وأنّه وحيد يجابه العالم في رؤية قد تكون وجودية ذاتية ، لتبقى الذات الإنسانية في رحلة بين قبول الواقع ورفضه ،ومترنحة بين إثبات القيمة والفاعلية والتخلص من الواقع ومرارته في إطار المدينة التي لا مناص للخلاص من صميمها.

فعند شارل بودلير أصبحت مدينة باريس بعد التحديث مدينة الشوارع الواسعة المستقيمة ،واللافتات الإعلانية الضخمة ،وأضواء الشوارع الممتدة و القصور تعكسها هياكلها المعدنية وزجاج نوافذها اللامع، ولكن هذا التحديث الحضاري أخذ من المدينة عالمها الرومانسي، وأبدلها عالما موحشا ماديا طحنت الإنسان بلا رحمة تحت الكتل الحجرية الهائلة ،وأزيز المحركات المصم للآذان. إن رفض الشاعر للمدينة نوعٌ

[1]) المرجع نفسه ، ص 35.

من رفضه للمدنية الحديثة ،وعالمها الغارق في المادية الذي حرمه من ممارسة إنسانيته.

فبودلير لم يشأ أن يوقظ باريس في مخيلته ،فأبقاها نائمة، ليبقى أثير ذكراها دائما في مخيلته فيقول:[1]

Il était tard ; ainsi qu'une médaille neuve

La pleine lune s'étalait,

Et la solennité de la nuit, **comme un fleuve**,

Sur Paris dormant ruisselait.

وهو ما ترجمه رفعت سلام يقول:[2]

كان القمر مكتملاً يعرض نفسه

وجلال الليل ، كنهر

ينساب على باريس النائمة.

فالذات الشاعرة تظل تحتفظ بتفاصيل مدينتها مهما كان حجمها وامتدادها، وتعنيها حضورا وجدانيا مميزا، تعطف عليها بحنين أشبه بالأسطوري ،يُبقي تلك التفاصيل المدينية حية لا يبليها أثر الزمن ،محفورة في ذاكرة الشاعر الحية، وعليه يقول :[3]

---

[1])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e. paris 1984 p66

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إعتراف)** ص 220.

[3])شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الشؤم)** ، ص 148.

جواهر كثيرة ترقد مدفونة

في الظلمات والنسيان

بعيدا عن المعاول و آلات الحفر

فالرؤية التفاعلية بين باريس القديمة والشاعر جعلت ذكراها تسافر إلى ما وراء البعد الجغرافي والمعماري، ممتلئا بالحنين إليها، فاستحضار المكان العتيق ينمّ عن شدة الحنين والحسرة والمعاناة. و يقول في قصيدة البجعة:[1]

Le vieux Paris n'est plus (la forme d'une ville

Change plus vite, hélas ! que le cœur d'un mortel);

Je ne vois qu'en esprit tout ce camp de baraques,

Ces tas de chapiteaux ébauchés et de fûts,

Les herbes, les gros blocs verdis par l'eau des flaques

وهو ما يترجم عن رفعت سلام بقوله[2] :

والجسور العالية وعمائرها الممزوجة بالرهبة

لم تعد هناك باريس القديمة، (فشكل المدينة

[1])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 p122.

[2])شارل بودلير **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة البجعة)** ، ص 321.

يتغير وا أسفاه بأسرع من قلب الإنسان)

لا أدري داخلي كل هذا المخيم من الأكواخ

هذا الركام من تيجان وسيقان وأعمدة

الأعشاب، والكتل الضخمة المخضوضرة بماء البرك .

كان **بودلير** يرى باريس العتيقة رمزا للعراقة ،وحاضنة ذكرياته أيام والده ،الذي يتجول معه بين مسارحها وحدائقها، هنا شعر **بودلير** بسوط عذابات الاغتراب، والكآبة فحتى البارسيون يرون الاغتراب قد " استلب مدينتهم منهم، فلم يعودوا يشعرون بأنها دارهم، بدأوا يعون الطابع اللاإنساني للمدينة الكبيرة "[1]وهو ما رآه بودلير، فقال:[2]

Paris change! mais rien dans ma mélancolie

N'a bougé ! palais neufs, échafaudages, blocs,

Vieux faubourgs, tout pour moi devient allégorie,

Et mes chers souvenirs sont plus lourds que des rocs

يقول رفعت:1[3]

[1])فالتر بنيامين : **مقالات مختارة تر: أحمد حسان** تر: أحمد حسان أزمنة للنشر والتوزيع .عمان. 2007م. ص 170

[2]Charles baudelaire, **les fleurs du mal**. p122.

[3])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة البجعة)**،ص 323 .

باريس تتغير، لكن لاشئ من كابتي تبدل

قصور جديدة، سقالات، كتل حجرية

ضواح قديمة، كل شي يصبح بالنسبة لي رمزا

وذكرياتي الحبيبة أشد وطأة من الصخور.

حيث كان شارل يرنوا إلى كلماته التي يعانقها بعيدا عن صخب المدينة في خلوته على أطرافها، متجولا قائلا:[1]

أمضي وحيدا لأمارس مبارزتي الخيالية

متشمما في كل ركن مصادفات القافية

متعثرا في كلمات مثلما في أحجار الرصيف

مصطدما أحيانا بأبيات حلمت بها منذ أمد بعيد.

" في طرق باريس القديمة، في حاراتها وأزقتها وميادينها ،وليهيئ لها من خياله أشعة بيضاء حالمة تلتمس أرضها في ترفق ومرحمة ،وليبددها بعد ذلك في غسق باهت ميّت ،وليشهد أعينها الكليل وهي ترمقه في طيبة القرويات الفرنسيات"[2]، لينغمس في أعماق ذاته اليائسة، فالموقف" من المدينة يكاد يكون صدي

[1])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الشمس)** ، ص 315.

[2])أحمد الصاوي محمد: **باريس**، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ،1933، ص 245.

الموقف من المجتمع"[1]، وتجلى هذا الموقف بشكل واضح في قصيدة الشمس التي يقول فيها:[2]

على امتداد الضاحية القديمة؛ حيث تتدلى الأكواخ

مغالق النوافذ، حامية المتع السرية

حيث تنهال الشمس القاسية بأشعة مضاعفة

على المدينة والحقول، على الأسقف والسنابل

كان الجانب المظلم من باريس مشرقا في الحياة الإبداعية ،حتى وإن بدت المدينة شديدة العدوانية وخالية من الروح الإنسانية، فقد كانت تبديه قساوتها أحيانا إلى حد الانطواء على نفسه، يتوشح أحزانه وإن كان ذلك الانطواء جسرا لانحرافاته المتكررة التي عمقت الهوة بين دواخله النفسية ومحيطه الاجتماعي ،لأنّ " تغير هذه المدينة القاسية لم يكن تغيرا ماديا فحسب ، بل تغير إنساني شمل علاقاتها الأليفة مع بعض أهلها الذين أحبتهم و أوقم في أحضانها "[3]

يقول : [4]

ولدى فتح عينيّ المليئتين باللهب

[1])محمد راضي جعفر :**الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر**. ، منشورات إتحاد الكتاب العرب . دمشق 1999،ص 53.

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الشمس)** ، ص 315.

[3])مرشد أحمد **أنسنة المكان في روايات عبد الرحمان منيف** . دار الوفاء للنشر والتوزيع ط1 .2003. ص 35.

[4]) شارل بودلير : **الأعمال الكاملة (قصيدة حلم باريس)**ص 361.

شهدت بشاعة كوخي البائس،

وأحسست وأنا أعود إلى نفسي،

بسن الهموم اللعينة ؛

ساعة الحائط بدقاتها الجنائزيّة

كانت تدقّ بوحشية منتصف النّهار

والسماء تنشر كآبات

على العالم الحزين المُخدَّر

وظلّ **شارل بودلير** دائم الحنين إلى كوخه الذي قطن فيه بإحدى الضواحي الباريسية، والذي كانت ذكراه منفذا حنينيا يخفف وطأة الاغتراب الذي ألحقته الحضارة بذات الشاعر؛ حيث يقول:[1]

لم أنس، بالقرب من المدينة

منزلنا الأبيض الصغير لكن الهادئ ،

...

والشمس، في المساء منسابة، رائعةٌ

[1])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ، (**قصيدة لم أنس**) ، ص 353 .

كانت تبدو، خلف زجاج النافذة حيث تتكسَّر حزمتها

كعين كبيرة مفتوحة في السماء الفضولية

كأنها تتأمل عشاءنا الطويل الصامت

ساكبة بصورة كبيرة انعكاساتها الجميلة

كشمعة على المفرش البسيط وستائر الصوف

ومن شدة اغتراب **شارل**،أنه بحث عن مدينة في خياله، ليرتاح فيها بعيدا عن باريس وضوضائها وعوالمها المتناقضة ، فيقول:[1]

هناك ، لا شيء سوى نظام وجمال

ترف، وسكينة وشهوة

التي تأخذ أبعاد الوحدة والأسى في ذات الشاعر المتفردة، فقد انتقل من مشهد إلى مشهد مغاير ما بعث لواعج الحنين تشده شوقا إلى الريف، فالمدينة وجه مزعج ينفث في دواخل الشاعر باليأس والعزلة، فصدمة محاكمة المدينة لدى الشاعر تركت أثرا بليغا في نفسيته فقد قهرت ذاته وأثقلت كاهله وجعلته يحس بالانهيار والسقوط. فأسبغ عليها الشاعر كل صفات البشاعة ، ورماها بالكفر والإلحاد فصرخ عاليا[2] :

[1])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** ، (**قصيدة الدعوة إلى السفر**) ص 239.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** (**قصيدة الطويق إلى السيدة**) 118.

ياقاهرة

يا قبابا متخمات قاعدة

يا مئذنات ملحدة

يا كافرة

أنا هنا لاشيء

كالموتى كرؤيا عابرة .

أجرّ ساقي المجهدة للسيدة، للسيدة؟ .

أحسّ الشاعر بغربة شديدة في المدينة؛ حيث " تمارس المدينة الكبرى ضغوطا شديدة على بسطائها ومهمّشيها في حياتهم اليومية، مما جعل إنسانها البسيط واقفا على مسافة منها وحيدا ممتلئا بالثورة عليها "[1]، فالشاعر في مدينة لا ترحم الغرباء وما زاد الاغتراب وطأة إحساسه أنه في صحراء جرداء تلفحه أشعة شمسها الحارة، فالشاعر أحسّ" أنه متروك ووحيد إلى درجة لا تخطر بباله، ومن الشعور بالوحدة يتوّلد الخوف والرهبة والانتظار ورغبة التخفي والصراخ والاتّحاد في شئ ما ،وآلاف المشاعر الأخرى التي تعجز عنها الكلمات "[2]؛حيث يقول :[3]

[1])شريف رزق، **قصيدة النثر المصرية شعريات المشهد الشعري الجديد** ، مركز الحضارة العربية، القاهرة ، ص 105.

[2])علاء خالد: **فردوس المدينة الضائع. قراءة في رواية الصحراء** ، دار الفيصل الثقافية –،الرياض،ص 107.

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي .**الأعمال الشعرية الكاملة (كان لي قلب)** ،ص 110.

وأمضي.. في فراغ بارد مهجور

غريباً في بلاد تأكل الغرباء

أصبحت المدينة مكانا للفقد والتوجع ،فهي تعامل الشاعر كالغريب، التائه بين أزقتها، رغم ما يشكله النسيج الاجتماعي من شبكة مترابطة إلّا أنّه عالق في ذلك النسيج وحيدا كالفريسة تنتظر هلاكها. يقول الشاعر " لقد ضعت فعلا... ليس بالمعنى المادي، إنمّا ضعت فيها روحيا، فقد كان من الصعب على شاب ريفي مثلي أن يخرج من كل هذه العلاقات المتشابكة الأليفة مع الناس والأهل ومع الطبيعة في القرية ومع الأفكار كذلك، لكي يقذف به في ذلك الفراغ الموحش الأصمّ في القاهرة ."[1]

كان الشاعر يحن إلى أيام الريف ،فلم ينفك يذكرها ويجعل الوافد منها مرادفا لاغترابه يقول في قصيدة سلة الليمون:[2]

سلة الليمون, غادرت القرية في الفجر

كانت حتى هذا الوقت الملعون

خضراء منداة بالطل

سابحة في أمواج الظل

كانت في غفوتها الخضراء عروس الطير

[1])أحمد عبد المعطي حجازي : **أنا الريفي الذي اقتحمتُ المدينة**. ماجد السامرائي. مجلة الآداب ،1979، ص04.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي .**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة سلة ليمون)** ،ص 125.

أواه . من روعها ؟

أي يد قد جاعت، قطفتها هذا الفجر

حملتها في غبش الإصباح لشوارع مختنقات،

مزدحمات... أقدام لا تتوقف، سيارات؟

وليس من الغرابة أن يشعر الشاعر بالضياع والقسوة والوحدة النفسية، فيرجع إلى نفسه يرقع آلامها وجراحها لما إنتاجها من هول صدمة المدينة الاغترابية، لتجعل من الشاعر غريبا عن محيطه وعاجزا عن تحقيق طموحاته التي قدم إلى المدينة من أجلها.

فالشاعر لم يصادف في المدينة غير شوارعها التي كانت جسرا لتأوهاته، فهو في مواجهة البنايات الشاهقة التي تجثم على صدره، يقول[1]:

شوارع المدينة الكبيرة

قيعان نار

ما شربته في الضحى من لهيب

يا ويله من لم يصادف غير شمسها

غير البناء والسياج، غير المربعات والمثلثات والزجاج

[1])أحمد عبد المعطي حجازي. **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة إلى اللقاء)** ص 128.

فالشاعر يرى المدينة على رحابتها جمادا لا حياة فيها. إنها ضياع وخواء، فشوارع المدينة أخاديد من نار تجتر النفس البشرية المأسورة بين أزقتها، ولا تبقي إلاّ الجمادات التي لا حياة فيها.

كابد الشاعر إحساس الاغتراب في المدينة ،وما زاد حدتها، اللاّمبالاة التي يبديها الناس ،ما عمّق الإحساس بالوحدة في ذاته الشاعرة ؛حيث يقول[1] :

والناس حولي ساهمون

لا يعرفون بعضهم ... هذا كئيب

لعلّه مثلي غريب

أليس يعرف الكلام ؟

يقول لي...حتى. .. سلام

ويقول أيضا:[2]

والناس يمضون سراعا،

لا يحفلون ، أشباحهم تمضي تباعا،

لا ينظرون

[1])أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (الطريق إلى السيدة)** ،ص 117.
[2])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة (الطريق إلى السيدة)** ،ص 115.

حتى إذا مر الترام بين الزحام

لا يفزعون

ومن شدة الاغتراب أن جعل الشاعر محطة المدينة محطة لرحيله، يذكرها على باب أنها منفذه من المدينة المغترب فيها، فيقول[1]:

محطة في أسفل المدينة

مسقوفة تضاء في النهار

مواكب المسافرين ضجة حزينة

وساعة تحصي عذاب الانتظار

ولعلّ أبرز عمق شرخ الاغتراب بين الشاعر والمدينة هو غياب الرفيق الذي يؤنسه ويشدُّ من أزره في مدينة كبيرة، فالإحساس بالوحدة والعزلة ظلت هاجسا لدى الشاعر؛

حيث يقول :[2]

طرقت نوادي الأصحاب

لم أعثر على صاحب

[1])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة (الرحلة إلى الريف)** ،ص439.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة كان لي قلب)** ،ص 110.

وعدت... تدعني الأبواب، والبواب ، والحاجب

يدحرجني امتداد الطريق

طريق مقر شاحب

إلى طريق مقفر شاحب ،

وإضافة إلى غياب الأصدقاء عانى الشاعر من غياب الحبيب الذي يبادله الحميمية في هذه المدينة الجافية ،فيقول:[1]

أنا هنا ، على الطريق يا حبيبي أنتظر

وفي فمي ابتسامة، نموت ثم تزدهر

العاشقون في الدجى الصافي ذراع في ذراع

وكلمة لكلمة، وبسمة بلا انقطاع

إلاّ ذراعي لم يهتز، في ليل الضياع

فالشاعر بدا في المدينة يائسا قابعا في عزلة اجتماعية ،مقهور النفس ومهدوم الدواخل، تتقاذفه جدران المدينة الشاحبة، والمتشعّبة بعلاقاتها الإنسانية فيها، إلاّ أنّ الشاعر كان وحيدا فيها يتفرد بعذاباته فيها ،

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي،**الأعمال الشعرية الكاملة (أغنية انتظار)** ،ص195

يقول:[1]

كأنّني طفل رمته خاطئة

فلم يعره العابرونفي الطريق ،

حتى الرثاء

انتاب الشاعر شعورٌ بالدونية والعزلة والاختلال بالتوازن الاجتماعي ضمن حياة المدينة الكتيبة، رغم أنّ المدينة العربية عموما والقاهرة خصوصا تبدو" مجالا أرحب لما يمكن أن نسميه حرية التجوال وحرية اختيار مكان الإقامة، وحرية اختيار المهنة، وحرية ممارسة العقائد والشعائر الخاصة وممارسة الحرية الشخصية"[2]

فيقول [3]:

فقد شبعت وقفة لكل باب

أسأل عن خبز وعن حب ولا جواب

غير صدى صوتي يضيع في سكون

أراد الشاعر من المدينة أن تمنحه الحب والخبز ليعيش فيها ،لكن صوته ذهب أدراج الريح في مدينة واقعها مؤلم ومهموم.فأضحت المدينة مكان للرعب والفزع لدى الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** منذ

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي،**الأعمال الشعرية الكاملة الطريق إلى السيدة** ،ص 113.

[2])صلاح صالح، **المدينة الضحلة تثريب المدينة في الرواية العربية** ، ص 104.

[3])أحمد عبد المعطي حجازي، **الاعمال الشعرية الكاملة** ،ص 252.

أن وطأها قدماه ،فبدا فيها ضائعا كإنسان لا كشاعر تطارده لعناتها، فبدا في المدينة وحيدا في مواجهة مدينة القاهرة الكبيرة ،وأحسّ فيها أنّه كائن متناهي الضالة بين دروبها وجدرانها فكما يقول :[1]

وريقة في الريح دارت ثم حطت ،

ثم ضاعت في الدروب،

وما زاد من حدة الضياع أنّه طُرد من غرفته التي كان يستأجرها في المدينة، ليقضي ليله بينما يتسكع نهارا بحثا عن عمل.

يقول [2]:

الحارس الغبي لايعي حكايتي

لقد طردت اليوم من غرفتي

وصرت ضائعا بدون اسم

لقد ضاع الشاعر بفرديته في جماعية المدينة، ضائع في عتمات ظلماتها منكسر القلب، فطرده من طرف الحارس يعكس الوجه الخفي الذي تخفيه المدينة، فيها تنعدم الروابط الإنسانية،وقد صوّر الشاعر المدينة على أنّها دائرة من الضياع لا على نفسه فقط ،ولكن على ساكنتها ،فهو إنسان يألم لأخيه الإنسان المطحون في رحى المدينة.

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة (أنا .. والمدينة)** ،ص 188.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة (أنا .. والمدينة)**،ص189.

حيث يقول[1] :

الكل متعبون والدخان

تعزله أنوفهم، تغزله مدخنة القطار

العائدون من شوارع الغبار

من مطحن الأعصاب، من مائدة القمار

من المدينة

صوّر الشاعر **عبد المعطي حجازي** المدينة على أنها مدينة الضائعين مدينة المسحوقين الذين تئّن أعماقهم حزنا مضنيا، يعيشون في مدينة لا تأبه بإنسانها " هي مدينة الزيف والضياع ،إذن هي مدينة التجمع البشري الذي يسبب انسلاخ الإنسان عن ماضيه.."[2]. فقد شبه الشاعر المدينة وعلاقاتها بالصحراء، فالتصحر مسّ أنحاءها وأناسها يقول:[3]

رمل شوارعها

مقاهيها

صدور نسائها

[1])أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 189.

[2])عبد الله محمد رضوان ، **المدينة في الشعر العربي الحديث**، ص 120.

[3])أحمد عبد المعطي حجازي، **ديوان طلل الوقت**،ص17 .

صحف الصباح

رمل غريب يرتعيها

متناسل كالسوس

ينخر في البلاد وساكنيها

ويقول كذلك: [1]

الليل والنهار والحدائق الخضراء والبيوت

والأسواق والمرتبات والديون والجسور

والفنادق والمخابىء، والمراحيض والجرائد والرسوم

إلى الحجيم.

ويقول كذلك[2]:

أنا راء قضيبا من النار فوق المدينة

يأخذها بالنواصي

[1])أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة تروبادور)** ،ص 529.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي **الأعمال الشعرية الكاملة ط 1**،ص 627 .

حيث تصير قبورا مفتحة في الرمال

ومن هول ما رأى الشاعر من أهوال المدينة خَشيَ أن يضيع فيها، فالشاعر متشبّث بموروثه الثقافي الريفي، فقروية الشاعر خَلَقت نوعا من " التباطؤ في الاندماج في الحياة الحضرية ؛لأنّ السلوكات والأحاسيس والتصورات، تظّل مرتبطة بالأصل القروي الذي يغذي القيم والعادات والتقاليد في محيط حضري"[1]. يقول:[2]

كي لا يضيع وجهي الأول

تحت وجهي الثاني

كما اقترن الضياع في المدينة بالموت عند **حجازي** فخشي أن يموت في المدينة فتتعب أمه في البحث بين ركام المدينة البشري.

يقول:[3]

يذهب إنسان إلى أمي ... وينعاني

أمي تلك المرأة الريفية الحزينة

كيف تسير وحدها في هذه المدينة

[1])أحمد عبد المعطي حجازي **الأعمال الشعرية الكاملة (الموت فجأة)** .ص 357 .

[2]) محمد الناصري: **التمدنية وبروز المجتمع المدني** ، مجلة آفاق ، ع58 ،(1996) ،ص 88 .

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي، **الأعمال الشعرية الكاملة (الموت فجأة)**، ص 356.

تحمل عنواني.

فالشاعر خَشيَ ضياع أمه، بعد ضياعه – موته – وهي " رؤية ذاتية عميقة من شدة ما يعتري الإنسان في عالم المدينة"[1]، ويبقى الأمر الذي أحدث زلزلة نفسية عميقة في نفس الشاعر حين أيقن أنّ المدينة لا إنسانية فيها فقال:[2]

رأيت في بعض التخوم

مدينة جميلة طرقتها

طعمت من كرومها، اضطجعت في حاناتها

اغتسلت في مياهها

لكن عجبا لم أر فيها آدميا

هذه إذن سدوم.

ويقول:[3]

أني وضعتكم جميعا يا مواطني سدوم

في قاع صندوق، وألقيت بكم إلى الحجيم

[1])عبد الله حبيب التميمي، **تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث**، دار الرائي للدراسات والترجمة، ط1 ،2010،ص 39.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 138.

[3]أحمد عبد المعطي حجازي .**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة تروبادور)**. ص 592.

كما كان الشاعر في المدينة كالمسجون ،فخياله مليء بالصور والأحاسيس الرومنسية التي جبلت على طبيعة الريف، ما انفكت تصطدم بالمدينة ؛حيث جباههم أناسها تتقاطر عرقا ،خطواهم متسارعة في الطرقات.وتعمقت اغترابية الشاعر ليربط المدينة بالموت والعدمية و الظلامية السرمدية ،وكأنّ لعنة أصابتها نظير شرورها ،فيقول :[1]

من أين يأتي كل هذا الموت

أي خطيئة عمياء لوثت المدينة

فاستحقت أن تعاقب بالظلام السرمدي

تعيشه والشمس ساطعة

ويتجلى اغترابه المكاني بشكل واضح حين عودته من منفاه –باريس وذلك بعد أن عاش فيها فترة من حياته الزاخرة إبداعيا، أتيح له فيها الاعتراف من تجارب عديدة ومتعددة حافلة بالتلاقي بمختلف الأطياف الثقافية ,لكن تلك الغربة التي أبعدته عن وطنه وأصدقائه طعمها مر وإحساسها حزين بثت فيه الأسى وأشعلت فيه مراحل الخوف و الانقطاع جعلته يحن إلى ماضيه " للماضي نكهة خاصة عند الإنسان ولا سيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله وأخذ الاغتراب بخانقه، فالماضي على وفق هذا التصور يرتاده

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص **582**

الشاعر فرارا من الألم التماسا للراحة، وإن كان ذلك في الحلم والخيال "[1].

لكن الشاعر تفاجأ من التغير الهائل الذي ألم بأهله ومدينته والذي كان يعتقد أنها تحررت فقال:[2]

لما تحررت المدينة عدت من منفاي

أبحث في وجوه الناس صبحي

فلم أعثر على أحد وأدركني الكلال

فسألت عن أهلي وعن دارنا

فاستغرب الناس السؤال

وسألت عن شجر قديم

كان يكتنف

الطريق إلى التلال

فأستغرب الناس السؤال

وبحثت عن نهر المدينة دون جدوى

وانتبهت إلى رماد نازل من جمرة الشمس

[1])محمد راضي جعفر : **الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر – مرحلة الرواد**–، ص 54-55 .

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة**.. ص 582.

التي كانت تميل إلى الزوال

ورغم اغتراب الشاعر في باريس إلاّ أنّه كان يحمل همومه القومية في منفاه ففي" المنفى غالبا يتحرر المغترب من تفاصيل تراثه المادي مهما أراد أن يؤكد على هويته، يتحرر من انفعالاته اليومية، من جزئياته ورتابته وتكراره وخلافاته الجزئية والآنية"[1]، فالاغتراب تزداد وطأته تبعا للنسق الاجتماعي الذي يحمل الذات قيما ومواقف ويخضعها لحياة اجتماعية كانت لا ترضاها في الحالات الطبيعية، يقول:[2]

أنا والثورة العربية

نبحث عن عمل في شوارع باريس

نبحث عن غرفة

نتسكع في شمس أبريل

....

إن زمانا مضى

وزمانا يجي

قلت للثورة العربية

[1]) حليم بركات، **الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع**، مركز الدراسات العربية ،ط1، القاهرة، 2006. م،ص 160.

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي ،**الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 583.

لا بد أن ترجعي أنت

فأنا هالك تحت هذا الرذاذ الدافئ

وما زاد من وطأة الاغتراب والإحساس به فقد الشعور بالانتماء إلى أهله حين أحّس أنه غريب في دياره، وأن مظهر " الخراب ،الحزن هو المسيطر على إنسانية المدينة"[1]

يقول:[2]

وفزعت حين رأيت أهل مدينتي

يتحدثون بلكنة عجماء متجهين

نحوي، فابتعدت

وهم أمامي يتبعون تراجعي

بخطى ثقال.

حتى خرجت من المدينة مثقلا

بحقائبي وانهمرت مثل عمود الملح

في الرمال.

[1]) عبد الله رضوان، **البني الشعرية ، دراسة تطبيقية في الشعر العربي**. دروب للنشر ،ط1 ،الأردن،2010 ، ص 28.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة**، ص 582.

عبر الشاعر عن حزنه العميق لما لاقاه من أهله الذين تغير حالهم وحال مدينته فالمدينة كالمقبرة التي لا يعرف أمواتها تحت الأرض من هم أحياء فوقها فبدا الشاعر بينهم كما قال أبو حيان التوحيدي" وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه، الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله إذا تنفس أحرقه الأسى وإن كتم أكمده الحزن واللهف، وإذا زار أغلق دونه الباب وإن استأذن لم يرفع له

حجاب".[1]

يقول الشاعر:[2]

فالمدينة لم تكن أبدا

ولم يكن النهار سوى سراب

والمدينة أسدفت حتى تساوت بالقبور

وخلاصة القول من خلال هذا الجزء من الدراسة :

- كان اغتراب شارل بودلير المكاني يأخذ طابعا وجوديا ، فمدينته باريس عاشها واقعيا وحلم بها خيالا ، فلم يرها إلا ركاما حضاريا رغم أنّه عايش قديمها وحديثها .
- صوّر شارل بودلير مدينته باريس بواقع تراجيدي مأساوي، رافضا معاملاتها الإنسانية ضمن أنساقها

[1]) عبد اللطيف محمد خليفة: **دراسة في سيكولوجية الاغتراب**. دار الغريب ،،2003 ص 07.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي .**ديوان طلل الوقت** ،ص32.

الاجتماعية.

- كان الاغتراب المكاني لديه مشبعا بالفقد ضمن الحياة الحديثة التي عاش فيها انسلاخا روحيا .
- أما حجازي فقد عاش الغربة المكانية في القاهرة التي كانت ظرفية ، فتجربته القروية وحسّه الأخلاقي عمّق تلك التجربة.
- الشاعر العربي المعاصر، كان انعكاس الاغتراب عليه شديد الأثر التعقيد الحياة وتعقن وتردّي أوضاع المجتمع وتعفّنها ، وشعوره أنّ حياته المدينية لاجدوى منها، فيضفي بلمسة رومنسية جرعة من التفاؤل على مدينته المحطمة ،أملا في خوضها. بعد أن أصبح ذكرها مقرونا بالفاقة والحاجة. فكان يسعى إلى جبر النقائص وخلخلة النمطية السائدة أملا في دحرجة المجتمع والمضي به إلى مواكبة المجتمعات الغربية .

2-2- الاغتراب الزماني في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

إنّ العلاقة الجدلية الموجودة بين عناصر المكان والإنسانو والزمان تؤدي إلى توسيع مفهوم المكان (المدينة) وإخراجها من اطارها الجغرافي إلى اطار أوسع يشمل البشرية والزمان، "إنه الوجه القبيح للحياة المادية الآلية الرهيبة في مجتمع المدينة وهو يخنق الشاعر، ويعجز عن التعامل معه. وهو ما يدفع الشاعر إلى رفض الواقع بالانسحاب منه، ورفض التعامل معه"[1].

فباريس الحديثة طبعت على يوميات شارل بودلير زمنا مختلفا على غير ما ألفه قبل حداثتها ،فقد

[1])أبوبكر ابراهيم نقوشة: **المدينة، المرأة، الكلمة**، مكتبة جزيرة الورد ،ط 1، القاهرة،2012،ص 33.

اعتنق زمنا حديثا"[1]، حاول من خلاله اقتناص كل لحظة ممكنة.

أراد بودلير أن يعيش أيامه معمورة بعوالم اللذة الحسية، فالزمن يلتهم الأعمار والإحساس به شديد الوطأة، فهو يقرب الإنسان إلى الموت، و" الحياة هي الخلو من الإحساس بالزمن"[2] يقول شارل بودلير[3] :

Souviens–toi que le Temps est un joueur avide

Qui gagne sans tricher, à tout coup ! c'est la loi.

Le jour décroît ; la nuit augmente, souviens–toi !

Le gouffre a toujours soif ; la clepsydre se vide.

وترجمه رفعت سلام ليقول: [4]

فلتتذكر أن الزمن مقامر جشع

يربح بلا خداع دائما ذلك هو القانون

النهار يتناقص؛ والليل يزداد؛ فلتتذكر

[1])فيصل درّاج: **حداثة بودلير وصرايا المدينة الحديثة** . مجلة الكرمل، ع2005،83،ص60.

[2])عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم :**في الثقافة المصرية**، دار الثقافة الجديدة ،ط3 ، القاهرة،1989 ، ص 64.

[3])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page115.

[4])شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة ساعة الحائط)** ص 310.

والهوة دائما عطشي، والساعة المائية تفرغ.

ويتصور **بودلير** الموت الإنساني المفضي إلى العدمية يفعل الزمن، الذي وقعه أشدّ على الذات، فهو يقينا ماض بهما إلى الزوال بعد انتشالها من الشقاء، يقول[1] :

Les minutes, **mortel folâtre**, **sont des gangues**

Qu'il ne faut pas lâcher sans en extraire l'or!

ترجمه رفعت سلام فيقول:[2]

الدقائق هذه الفانية اللعوب هي طبقات

منجم لا ينبغي إفلاتها دون استخلاص الذهب منها

يدرك **شارل بودلير** ماهية الزمن في المدينة ذا" الإيقاع المتسارع الذي يشعر الذات بانصرام لحظات عمرها ويؤكد لها حست الفناء، والعدم العقيم لا بدّ وأن يواجه بلحظات خصب تحدد الحياة وتدعمها بحس البقاء المركوز في الذات البشرية"[3]

ويقول كذلك:[4]

---

[1])Charles baudelaire.les **fleurs du mal**. m.v.e.paris 1984 page 115.

[2])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (ساعة الحائط)** ص 310.

[3]) قادة عقاق : **دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر**، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001 ،ص 368.

[4]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة**،ص 608.

يموت، مثلي في عزلة

ويكشطه الزمن، العجوز الجارح

كل يوم بجناحه الفظ.

ويقول أيضا :[1]

حقا ! الزمن يهيمن ، يستعيد استبداده الوحشي ، ويسوقني كما لو كان ثورة بمنخاصه المزدوج

«هيا إذن أيها الأحمق فلتتضح إذن أيها العبد ولتعش إذن ملعونا>>

ولأنّ **بودلير** شاعر المتناقضات، فقد كان ينادي الناس بالانتشاء بالسكر لكي لا يحسوا بعامل الزمن الرهيب يحتويهم ويستنفذ طاقتهم ،فالشعور بلا وعي هو عدم الإحساس بالزمن.

يقول: [2]

لا بد من السكر دائما، ذلك هو كل شئ ،تلك هي القضية الوحيدة ،

فحتى ينتفي الإحساس بالعبء الرهيب للزمن الذي يقصم كاهلكم

ويحنيكم إلى الأرض لابد من السكر بلا هواد.

[1]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة الغرفة المزدوجة)** ، ص 635.

[2]) شارل بودلير : **سأم باريس**، ص 109.

ويقول :[1]

تم إحضار قنينات جديدة ، ليقتلوا الزمن الذي ينطوي على حياة بالغة القسوة ، ويعجل بالحياة التي تنساب ببطء بالغ

و الخمر في نظر **بودلير** هي ضوء الأمل والخلاص ، و هي التي ستكون سببا في مساعدتهم على مجابهة الحياة ومصاعبها .

ويقول :[2]

« يقال إني في الثلاثين، لكن وقد عشت ثلاث دقائق في واحدة...ألا أكون في التسعين>>

يقول شارل بودلير [3]:

– Ô douleur ! ô douleur ! Le Temps mange la vie,

Et l'obscur Ennemi qui nous ronge le caur

Du sang que nous perdons croît et se fortifie!

وترجمه رفعت سلام قائلا:[4]

يا أيها الألم ! أيها الألم ، الزمن يلتهم الحياة

[1]) شارل بودلير ، **الأعمال الشعرية الكاملة (صورة لعشيقات)** ، ص 721.

[2])باسكال بيا : **بودلير** ، ص 179.

[3])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 p126.

[4])شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة العدو)**، ص 146.

والعدو الغامض الذي يقضم منا القلب

ينمو ويقوى بما نفقده من دماء !

كان **شارل** لا يهاب الموت، فالألم الروحي استبد به طول حياته ، لكنه لا يبحث عن الموت في المدينة "كتجربة مجانية يتعرض لها الإنسان في المدينة"[1].

أما رفض المدينة الذي عرف به **أحمد عبد المعطي حجازي** زاد الرقع على الراقع حين أيقن أنه لا يعبأ بك الناس في المدينة، فعامل الزمن متحكم في خطواتهم المتسارعة، وقف الشاعر خلالها مبهوتا بين أناس لا يعرفون بعضهم ،فآثر حب زمن القرية على الزمن " المديني حتى ولو كانت حياة القرية بطيئة الإيقاع[2]'' ، فالكل في القرية يعرفون بعضهم على عكس المدينة، فاضمحلال العلاقات الإنسانية في المدينة جعلت الناس فيها لا يعبئون للأشياء والمظاهر، ناتج ذلك عن الإيقاع السريع لحياة المدينة"، فالزمن عامل جوهري في حياة أولئك الناس الذين يعيشون في المدينة"[3]

يقول الشاعر:[4]

كان الصمت يحتد

وكان الوقت في الباحة الظليلة يستعير في حلمه

[1])قادة عقاق :: **دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر**، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ،ص 362

[2])مختار أبو غالي :**المدينة في الشعر العربي المعاصر و سلسلة عالم المعرفة** . الكويت.. ص 26.

[3])عبد السلام محمد الشاذلي. **تجربة المدينة في الشعر العربي المعاصر** . صنعاء نموذجا. الهيئة المصرية للكتاب. 2002 .ص 28.

[4])أحمد عبد المعطي حجازي :**ديوان طلل الوقت**. ص 49.

ويبكي ذويه

ففي المدينة لم يعد الشاعر يعرف الوقت (الزمن) فيقول:[1]

وأنا لم أعد أعرف الوقت

فالشمس تفلت من بين كفي

تعددت مظاهر الاغتراب الزماني للشاعر في المدينة، ولعل أبرزها حين ربطها بالموت ؛حيث يقول:[2]

الموت في الميدان طن

العجلات صفرت وتوقفت

قالوا ابن من ؟

ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواه

يا ولداه

....

فالناس في المدائن الكبرى

[1])أحمد عبد المعطي حجازي :**ديوان طلل الوقت**. ص 70.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي: **الأعمال الشعرية الكاملة**. (**مقتل صبي**) ص 143.

جاء ولد

مات ولد

الشاعر مقتل الصبي في المدينة رمز البراءة والطفولة التي تحبرك على الرفق بما في معاملتها والعطف عليها ولكن لا أحد أكترث بمقتله في المدينة المتسارعة الإيقاع، وهو ما لم يتعود عليه الشاعر في قريته، " إن انتقال الفرد من مكان قروي إلى آخر مديني، ليس تغيرا فحسب ولكن تغيرا في أنماط الحياة "[1] كما أوغل ليل المدينة اغترابا زمانيا في نفس الشاعر، فهو المتعود على الليالي الطويلة تعكسها بيئة القرية التي تدب فيها السكينة مع غروب الشمس، لكن الشاعر رأى أن:[2]

الليل في المدينة الكبيرة عيد قصير النور والأنغام والشباب والسرعة الحمقاء والشرابعيد قصير فلقد عاش الشاعر كما سبق الذكر في قريته – تلا – عوالمه المرحة من صفحات حياته المشرقة في كنف والديه وهو ما فقده عند انتقاله إلى القاهرة حين أمضاه اغترابا ذاتيا، خصوصا وأنه بلا عائلة تعوضه هذا الفقد والحنين، فمشاعر أهل المدينة شديدة القتامة ولا بد لخيط الذكريات أن لا ينقطع عن الشاعر ليعيش براءة طفولته في كنف أيام والده كلما تمكنت المدينة منه وكأنه يريد استعادة ماضيه لحياة حاضره كلما أحس ببرودة المدينة وقسوتها فيقول:[3]

أبي

[1])زهير عبيدات : **صورة المدينة في الشعر العربي الحديث**. ص 111.

[2])أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمالالشعرية الكاملة (قصيدة إلى اللقاء)** . ص 131.

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة رسالة إلى مدينة مجهولة)** ص 221.

وكان أن عبرت في الصبا بحور

رسوت في مدينة من الزجاج والحجر

الصيف فيها خالد ومابعده فصول

.....

لم أغف فيها غير ساعة، وغفوة الغريب لا تطول

كانت معاناة الشاعر العديدة في المدينة التي لم يستطع محابتها وحيدا، ماجعل يفتح نافذة على عالمه المفقود ؛ حيث كان والده يحمل كل الصعاب الملقاة عليه.

فيقول: [1]

فإن أهاجك شوقك القديم للكلام

هب لي لقاء في المنام.

ومن هنا نصل إلى أن :

- رغم اغتراب **شارل بودلير** الزمني في المدينة وهي سمة الإنسان المعاصر فقد حاول الخلاص منه حين لم يعبأ به، ورغم إقراره أن الموت حتمي والزمن هو الطريق إليه، فحاول العيش بعبثية وعربدة قد تنسية الزمن . ويمكن القول أن الإحساس بالزمن عند بودلير كان وجوديا .

[1]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة** . (**قصيدة رسالة إلى مدينة مجهولة**) ص 230.

- طبع على الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** زمنين متناقضين، زمن القرية الرتيب وزمن المدينة المتسارع وهو ما ولد لديه ذلك الاغتراب الزماني الذي تكيف معه حين تألفه مع المدينة .

2-3- الاغتراب الفكري في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي.

لم تكن المدينة بوصفها فضاء عمرانيا بمنعزلة عن مسار الفكر والعلم، فلطالما كانت حضنا دافئ للحركة العلمية والأدبية وحتى الفكرية ، فكثير من العلماء من عرفوا بمدنهم والحواضر التي ترعرعوا فيها أو وفدوا إليها، والعكس صحيح فكثير من المدن عرفت بأعلامها الذين مروا منها، ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا أسس العلائق الممكنة بين الفضاء الحضري وتبلور الثقافة وأنساق التفكير والإبداع.

"إن المدينة في الفضاء الطبيعي لإنتاج المعرفة ونموها، إن نمو الحاجات البشرية وارتفاعها من الضروري إلى ما فوق الضروري في المدينة يجعل الإنتاج المعرفي والنظري؛ الأدبي والعلمي والفلسفي، ممكنا. ويكفي في هذا الصدد أن نذكر حواضر بغداد وفاس والقاهرة وقرطبة و "نيسابور" باعتبارها حواضر مقترنة بالعلم والثقافة تماما مثل أثينا وروما وباريس الخ."[1]

و عبر العصور كان للمدينة دور بارز في الشق الثقافي والعلمي، فكان يتم التأريخ لبعض الأعلام العلمية والفكرية والأدبية بأسماء، وتبنت كل مدينة بعض من رجالاتها ونسائها في العلم والأدب، فكانت المدينة بمثابة الحاضنة العلمية، والحاضرة الثقافية لإنتاج المعرفة وتداولها.

[1]) انظر: الجابري: **سلسة مواقف** ، العدد 26، ص 88.

فشارل بودلير الذي يمثل الجهة الغربية عاش غربة فكرية رهيبة أشبه بالمنفى في مدينه باريس" فالإقصاء واللعنة اللذان أصاباه قد فرضتهما عليه الضرورة الخارجية في نفس الوقت الذي فرضهما على نفسه بفعل ضرورة داخلية بالكامل، كأنها شرط لإنجاز عمل أدبي "[1]

في المدينة الكبيرة تتساوى المجاهيل، و**بودلير** يرى أن الكمال يكمن في الشكل فكان دائم الأناقة لدرجة الهوس، تحذوه نظرة استعلائية لما دونه من البشر الذين رأى فيهم أكواما من النفاق والقسوة وعديمي الأخلاق. لذا كان يرى من الشاعر – الفنان – المثل الأعلى المنزه عن الآثام البشرية، فالفن عنده دلالات ورموز تغوص في الحسية والجمال.

حيث يقول في قصيدة القطرس:[2]

Le Poëte est semblable au prince des nuées

Qui hante la tempête et se rit de l'archer;

Exilé sur le sol au milieu des huées.

فهو يشبه الشاعر بذاك الأمير المالك للغيوم الذي لا يبالي بقوة العواصف ويهزأ بهاوقد ترجم رفعت سلام هذه الأبيات فقال[3] :

[1]) بيار بورديو : **قواعد الفن** تر: إبراهيم فتحي الهيئة المصرية للكتاب، 2013م، ص106

[2])Charles Baudelaire **les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page 16

[3]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة** .(**قصيدة القطرس**) ، ص 127.

الشاعر هو شبيه بأمير الغيوم

يغشى العاصفة ويهزأ بالسهام؛

منفيا على الأرض وسط صيحات الحرية ،

تفوقه أجنحته العملاقة عن المسير.

رأى **بودلير** في نفسه الجمال الصافي ساكن الأجواء العالية. بينما القبح الآدمي يملأ الأرض قسوة ونفاقا، فالأرض منفى حتمي للشاعر يسكنها حاملا ماسية التي لا مناص للخلاص منها إلا التحليق في السماء. فقد أدرك عمق الوجود الإنساني فآمن برؤاه التي عجز النسيج الاجتماعي استجلاء عمقها. ويقول في ذلك[1]:

Je sais que vous gardez une place au Poète

Dans les rangs bienheureux des saintes Légions,

Et que vous l'invitez à l'éternelle fête

Des Trônes, **des vertus**, **des Dominations**.

وهو ما ترجمه رفعت سلام على نحو ؛حيث يقول[2] :

أعرف أنك تحتفظ بمكان للشاعر

[1])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page 15.

[2])شارل بودلير: **الأعمال الشعرية الكاملة** .(**قصيدة بركة**) ص 124.

في صفوف الأبرار من الأفواج المقدسة

وأنك تدعوه إلى الحفل الأبدي

للملائكة، والفضائل، والسيادة.

ويقول كذلك شارل:[1]

Celui dont les pensers, **comme des alouettes**,

Vers les cieux le matin prennent un libre essor,

– Qui plane sur la vie, **et comprend sans effort**

Le langage des fleurs et des choses muettes !

وهو ما ترجمه رفعت سلام على نحو:[2]

من تقوم أفكاره، مثل القبرات

بانطلاق حر في الصباح إلى السموات

من يحلق فوق الحياة ويعي بلاعناء

لغة الزهور والأشياء الصامتة

[1])Charles baudelaire.**les fleurs du mal**.m.v.e.paris 1984 page18.

[2]) شارل بودلير : **الأعمال الشعرية الكاملة (قصيدة سمو)** . ص129

كانت نظرة بودلير لعمق الحياة، إذ جعل مفهومها شرطا إنسانيا ليلتحم الشاعر الحقيقي بالكون ويناجي صمته الرهيب في غربته، فأفكار بودلير لم يستوعبها مجتمعة لخياله الواسع وطموحاته التي تعانق الأفق الأبدي للكون، وزادت غربته الفكرية كلما لم يجد متسعا في واقعة الاجتماعي لهيجاناته الفكرية والإبداعية والخيالية. وهنا يقول شارل :[1]

Envole–toi bien loin de ces miasmes morbides ;

Va te purifier dans l'air supérieur,

Et bois, **comme une pure et divine liqueur**,

Le feu clair qui remplit les espaces limpides.

وترجمها رفعت سلام ؛حيث يقول:

«فلتحلقي بعيدا عن هذا العفن السقيم
ولتَتَطهّري في الأثير الأعْلَى
ولتشربي– مثل شراب صاف وسماوي–
النّار المنيرة التي تغمر الفضاءات النّقية
وراء الضجر والأحزان الكبيرة»

كما عانى بودلير اغترابا إبداعيا، تجلى في عدم تحمس أغلب كتاب ونقاد عصره لديوانه أزهار الشر فقد عدوه هرطقات شعرية، وهذا التمييز"أعمق مايشعر به اللامنتمي من خيبة، هو شعوره أنّ العالم عدوه

[1])Charles baudelaire.les fleurs du mal.m.v.e.paris 1984 page18.

وأن عليه أن يدخل المعركة وحيدا"[1]، وهو ماعبر عنه في مقطوعة كتبها إلى صديقه " تيوفيل غوتيه عام 1852" ليمرر له بعضاً من قصائده في مجلة باريس " دافع عنّي بصلابة ، إذا لم يسخط كثيراً على هذا الشعر ، سأقدّم ما يفوقه خطفاً للبصر " [2]

أمّا بالرجوع إلى الثقافة العربية فإنّ أحمد عبد المعطي حجازي دعا الساسة إلى مناهضة الفكر المتسلط، وإثراء الساحة الثقافية المصرية بمشاريع فكرية نهضوية، يقول:

« كلماتنا مصلوبة فوق الورق

لما تزل طينا ضريرا، ليس في جبينه روح

وأنا أريد لها الحياة

وأنا أريد لها الحياة على الشفاه

تمضي بها شفة إلى شفة فتولد من جديد»[3]

دعا حجازي إلى إحداث القطيعة بين المثقف والسلطة لخلق الإبداع بكل حرية فالإبداع تحت وطأة التقييد يبقى مجزوءا وغير مكتمل " فالثقافة العربية- الحديثة خاصة- نشأت في حضن السلطة التي كانت في حاجة إلى موظفين ومساعدين ومعاونيين وأخصائيين يقومون بمشروع التحديث الذي اضطلع به بعض الحكام العرب، أو في البلاد العربية بأكملها"[4].

- كان الاغتراب الفكري لدى شارل بودلير مشحونا بمشاعر داخلية متواترة مركبة، لأنه صدم المرتكزات الفكرية الفكرية على الساحة الفكرية الفرنسية بمنظور رؤيوي مغاير جعلت منه متفردا في ما بعد في سماء الفكر الأوروبي.

---

[1]) كولن ولسون: **سقوط الحضارة نقله إلى العربية أنيس زكي حسن**. دار الآداب . ط3 .بيروت .1982م. ص105

[2]) باسكال بيا : **بودلير** ، ص 159

[3]) أحمد عبد المعطي حجازي :**الأعمال الشعرية الكاملة.(قصيدة لمن تغني)** ص 120

[4]) محمد كشيك:**حوار صريح مع أحمد عبد المعطي حجازي**. مجلة البيان. ع.261(1987) ص146

- لم يعش حجازي نفس الاغتراب الفكري ، فاغترابه كان ناتج عن قلق ورفض الواقع الفكري الذي تحمله الساحة العربية.

دعا **حجازي** إلى إحداث القطيعة بين المثقف والسلطة لخلق الإبداع بكل حرية فالإبداع تحت وطأة التقييد يبقى مجزوءا وغير مكتمل " فالثقافة العربية – الحديثة خاصة نشأت في حضن السلطة التي كانت في حاجة إلى موظفين ومساعدين ، وأخصائيين يقومون بمشروع التحديث الذي اضطلع به بعض الحكام العرب، أو في البلاد العربية بأكملها"[1]

- كان الاغتراب الفكري لدى **شارل بودلير** مشحونا بمشاعر داخلية متوترة مركبة، لأنه صدم المرتكزات الفكرية الفكرية على الساحة الفكرية الفرنسية بمنظور رؤيوي مغاير جعلت منه متفردا في ما بعد في سماء الفكر الأوروبي.
- لم يعش **حجازي** نفس الاغتراب الفكري ، فاغترابه كان نتاج قلق ورفض واقع فكري تحمله الساحة العربية .

[1])محمد كشيك: **حوار صريح مع أحمد عبد المعطي حجازي**. مجلة البيان. ع. 261(1987) ص 146.

خاتمة

خاتمة

حاولنا في هذا البحث ودون زعم الإلمام بجوانب الموضوع لتشعباته الكثيرة ، كما هو معلوم أنّ المدينة في الشعر العربي الحديث وفي الشعرية الغربية الحديثة والمعاصرة يشوبها الغموض و الكثير من الضبابية، طغى عليها التمدن و تأثيراته التي أدت إلى إصابة إنسانها البسيط قبل شاعرها بالرعب، فجفافها الطبيعي والزحف التكنولوجي كبلاها رغم محاولات خلاصها، لتبقى في وجدان ساكنيها تنبض بالعبق والتاريخ.

فمن خلال رحلتنا البحثية لتيمة المدينة بين "**شارل بودلير** " و"**أبي المعطي حجازي**" والذي يعكس تلاقح الأفكار بالتأثير والتأثر في كثير من بناء النفس إلى بناء الفضاء الذي يعكس البناء الثقافي والوعي العميق في ذات الإنسان، فأصبحت المدينة مشروعا تأمليا يصدقه ذلك الواقع الذي يرسم ما بداخل كهف الحقيقة التي تصل إليها كل سردية معبرة مهما كان موردها، والتي لا تعد إلا أن تكون نابعة من داخل الإنسان الإقامة المعنى واستواء قوائم المبنى بانية متخيلا يتوبيا حقيقيا.

إن علاقة الشاعر بالمكان/ المدينة (تيمة المدينة)، علاقة وجودية تتخطى الأعراف المجتمعية والإنسانية التي تربط الذات بالمكان، فالمدينة كتيمة فضاء ومكون سردي وجداني يستجلي أغواره بعاطفته الملتهبة، في جو الرومانسية التي وأدها التلوث البيئي وعكرته أصوات المصانع والمحركات لتحل مكان الطبيعة الغناء من اخضرار وصفاء، وبعيدا عن كونه إنسانا مثقفا يعبر عن مقته للتمدن المصطنعة والمعطلة للقيم الإنسانية التي اكتسبتها البشرية على امتداد وجودها.

جاءت مسالك البحث لتجيب عن جملة التداعيات التي كانت المدينة كتيمة محورا لها عبر خصائصها

الفنية والموضوعية ضمن النصوص الشعرية التي وقفنا عليها لدى الشاعرين فتيمة المدينة عند الشاعرين تراوحت بين الموروث الريفي و منتوج التمدن الذي قضى علىكثير من ملامح الريف وطبائعه و محي معالم الرومانسية التي يكتسبها الإنسان من معاشرته للطبيعة والريف، وهو ما ولد لدى الشاعرين صراعا داخليا جراء الحنين إلى الطبيعة وريفها ومحاولة العيش في المدينة بتمدنها وظهر ذلك جليا في عديد الكتابات التي مرنا بها وأدت بنا إلى الوصول إلى نتائج على النحو التالي:

1- تيمة المدينة كانت لكلا الشاعرين موردا هاما لتجربتهما الشعرية ،كما أسهمت في بلورة العملية الإبداعية برؤية حداثوية.

2- أثرت المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية للمدينة في تشكيل نظرة الشاعرين لها ،وتعبيرهم عن عبر رؤيتهم الذاتية التي ميزها التناقض والتباين في المواقف.

3-كلا الشاعرين تناولا المدينة كتيمة الغرض منه تصويرها فنيا وموضوعيا ، وتعبيرا عن مشاهدها المادية والمعنوية.

4- أخذت المدينة عند الشاعرين بعدا جماليا يعكس الحضارة بحداثتها فقاهرة الخديوي تماثل هندسيا باريس الهوسمانية.

5- التصوير الفني لفضاءات المدينة المغلقة والمفتوحة يعكسه البعد النفسي للشاعر وأثره الموضوعي في النص الشعري. وهو ما لمسناه لدى الشاعرين .

6- يختلف موقف بودلير من المدينة عن موقف حجازي في كونه عاش في المدينة القديمة وعايش

تحديثها الهوسماني أما حجازي فقد قدم إلى القاهرة من ريفها، فالموقفان يختلفان لكنهما يشتركان في كون المدينة بؤرة تفاعلية ضد الإنسان.

7- كلا الشاعرين رصدا الظواهر الاجتماعية للمدينة وصورا إنسانها ضحية لطغيانها المادي ، وأسيرا لتمدنها الذي سعى للخلاص منه ولن يتحقق له ذلك إلا بالثورة عليها.

8- كلا الشاعرين أشبعا المدينة بالنعوت الشنيعة لكونها معادلا موضوعيا لاغترابهم وضياعهم فيها باختلاف مستويات التعبير الفني والرمزي.

9- اختلاف التجربتين الصناعيتين للمدينتين فالقاهرة متأخرة عن باريس ما يحيل القول أن الشاعر العربي متأخر عن نظيره الغربي صناعيا إذن فالتجربتين مختلفتين رغم تشابههما.

10- نظرة الشاعر شارل بودلير تجاه المدينة وجودية بينما عند حجازي لا تعدو رومانسية لجذوره الريفية.

11- نصوصهم الشعرية مشبعة بالرمزية فحجازي ماعدا ديوانه الأول – مدينة بلا قلب – الذي كان الوصف تجريديا، أما البقية فهي رمزية .أما شارل بودلير فنصة الشعري رمزي خالص.

12- استحضار الشاعرين للموروث الغربي والعربي كما وظفا الميثولوجيا ليكون في الأخير معجم شعري لكل شاعر.

13- البناء الدرامي لنصوصهم الشعرية مبنية على الحكائية والنمط القصصي .

14- بالرغم من المستويات الإبداعية والفنية لقصائد أحمد عبد المعطي حجازي، إلا أنه يتقاطع مع شارل بودلير في نقاط جوهرية وهي الثورة على القيود والأوزان الشعرية التيتكبح من جموح الشعر وانطلاقته .

15- أعطى الشاعران بعدا إنسانيا لعديد الأمكنة، التي بتأويل دلالاتها أوصلنا الإحساس تعلقهما بها ، واستطاعا لغويا أن يرسما لنا فضاء. مخياليا يتمناه كل منهما ويريد معايشته.

17- كلا الشاعرين كانت لهما النظرة التشاؤمية تجاه المدينة ووضعها المأساوي، لكن في خضم تلك النظرة تلوح ومضات التفاؤل بمستقبل المدينة خاصة إذا ارتبطت بالطبيعة التي يرى فيها الشاعرين أمل المدينة للعودة للحياة.

18 - كلا الشاعرين يدركان أن المدينة انزاحت عن أسباب قيامها من تلبية الحاجات الناس إلى حجيم للأوجاع الاجتماعية حين غرقت في انتشار فضاءاتها المدنسة وما خلقته من هاو في الأخلاق والشهوات.

إن البحث في تيمة المدينة قد شغل الإنسانية عبر كل الأزمنة والعصور لتحديد معالم هده الأخيرة وضبط ماهيتها وحديتها وحتى اصطلاحها؛ حيث أخذت المدينة الجزء الكبير من التفكير الفلسفي والبناء الشعري والأدبي ، والذي جعل منها فضاء متمدنا محفزا على إنتاج المفاهيم ، والأفكار والأسئلة.

وكرد فعل إزاء هذا الإنتاج ظهرت المدينة وتصوراتها التي تتراوح حديتها وماهيتها من ماهية إنساها، فإن العلاقة بين التيمة أو الموضوع كمعطى وجودي والذي ظهر بعدة صيغ واصطلاحات عبر الزمن في تطور

ماهوي للمدينة، وتلك الصورة التي بنيت للمدينة ولدت بينه وبينها علاقة جدلية متواترة أو بمفهوم أعم بين المتناهي واللامتناهي كطرفي حدي معادلة المدينة والإنسان ،فيتأثر كل طرف منها بخصوصية كل معطى، فيخضع ضبط جدول تغيرات رسم بيان هذه الدالة إلى العديد من الشروط الخاصة والمعطيات الداخلية والخارجية لكل طرف من هذه الأطراف المبنية لهذا الجدل القائم الذي يميط اللثام عن مدى محايثة فكرة المدينة من طرف الذات الواعية، عبر الصيرورة و السيرورة من معيارية النظر بمفهوم الزمكان، وعبر نظرية البنية (الفرد، المجتمع ، والاقتصاد والسياسة والدين .....) إلى ما هي عليه الآن انطلاقا من الجمهورية، مرورا بالمدينة الفاضلة ، ومدينة الله إلى مدينة فردوس الأرض ، إلى مدينة الشيطان في عصر الحداثة ، إلى مدينة الرقمنة والتقنية في الزمن المعاصر، وهده المراتب المتميزة والمتباينة، والتي في جلها تشير إلى مفهوم التمدن وتسليط الضوء على تيمة المدينة عبر حقب الزمن خاصة إبان الحداثة ،أين نزغ الإنسان إلى الهامش، فجعل من الشعر مصدر إلهامه وفنيته وجماله؛ حيث أطلق عنان التخيل ، وهو ما برز مع "شارل بودلير" أين وظف شعر "البالاد" المبني على الحس في رسم ملامح مدينته الفاضلة التي يرنو إلى تحقيقها ، والتي تتجاوز كل تجريد معقول و تدرس وتبين وتعري القيم التي سادت في زمكانه، وقد تأثر به "أحمد عبد المعطي حجازي".

إن تناولنا لموضوع تيمة المدينة في شعر شارل بودلير وأحمد عبد المعطي حجازي يجعلنا نقف عند تلك الانتاجات الأدبية الثرية بالإبداع والرمزية ، فقد استطاع بودلير بجمالية فنيه تجاوز الحدود اللغوية والجغرافية والاجتماعية وعبّر عن واقعه وألمه بصورة برزت عظمتها الحقيقية بالرغم من نكرانها والإشادة ضدها. فكانت لحظة فارقة ونادرة للفن، أن رأي سطوع شمس العالمية بعد السراديب الكنسية مظلمة على البشرية، في حين

نجد أنّ أحمد عبد المعطي حجازي من خلال حيرته وقلقه الدائمين مما يعيشه بين الوفاء لأفكاره والإخلاص لمبادئه و أرائه الفكرية منها.

فالمدينة وعاء من الأعراف المختلفة والمتباينة المتمايزة بين الاختلاف والائتلاف،تحتكم إلى قوانين ضابطة وردعية تسير الأمور العامة وترسي قوانين تهدف إلى تنظيم الحياة في المدينة .

ومن هنا فإن دراستنا هذه ورغم عدم إلمامنا بجميع جوانبها بالقدر الكافي إلا أنه يمكن الإشارة إلى العديد من مواطن التشابه بين النموذجين المأخوذين من وسطين مختلفين، كما أننا نلمس ذلك التأثر البارز لعبد المعطي حجازي بعديد الكتابات لشارل بودلير مما أدى إلى تشابه بينهما في عديد الإنتاجات الشعرية، وهو ما أظهر التأثير والتأثر بين الشاعرين في موضوع تيمة المدينة رغم الأسبقية الزمنية للشعرية الغربية في ذلك.

الملاحق

صورة الشاعر شارل بودلير

أ- السيرة الذاتية للشاعر "شارل بودلير"

❖ **مولده:**

عرفت الساحة الأدبية العالمية يوم 9 نيسان/إبريل عام 1821م ميلاد شارل بيير بودلير في 13 شارع هوتفي بباريس، للزوجين فرانسوا بودلير و السيدة كارولين دوفايي، عمد بعد شهرين في كنيسة سان سولبيس الكاثوليكية الرومانية [1]، كان والده أحد موظفي الخدمة المدنية كما كان مشغولا بعموم الثقافة إضافة إلى برعه في الرسم ولهذا أخذ في تنشئة إبنه على تذوق جمال الخطوط والألوان منذ حداثة سنه، الشئ الذي جعل منه في مستقبل حياته أكبر نقاد الفن في فرنسا القرن التاسع عشر.[2]

عاش **شارل** حياة ميسورة في كنف أسرته الثرية، كان والده دائم السعادة بابنه، فقد كان يصطحبه دائما في تجواله إلى المتاحف والحدائق العامة، وهذا ما جعل الطفل **بودلير** يترعرع على حب الفنون التشكيلية وبقيت في ذاكرته صورة الحياة الفنية الملكية للقرن الثامن عشر "3، لكن عرفت حياته انقلابا جذريا ،وهو لم يتجاوز السادسة من عمره حين فقد والده فرانسوا، ماحمله على العيش وحيدا مع والدته السيدة كارولين، والتي بدورها لم تصبر عاما بعد وفاة زوجها لترتبط بضابط كبير يدعى أوبيك – عام 1828م.

خلق هذا الزواج شرخا عظيما في نفسية الشاعر ،وعدّ زوج أمه دخيلا ومتطفلا على حياتهم الخاصة.

[1]) أنظر : شارل بودلير . **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 59.

[2]) زينات بيطار : **بودلير ناقدا فنيا**.،ص 21.

و"بالرغم من عطف هذا الأخير على **بودلير**، فإنّ شاعرنا الشديد الأنانية كان يمقته، مقتا غريبا كما بدأ ينفر من أمه التي حرمته حنانها بعد أن حرمته الموت عطف أبيه"[1]. وكان الطبيعة الزوج العسكرية الأثر البالغ في تعامله مع **شارل** ماخلق صراعا متأججا متناميا بين الرجلين، خاصة بعد أن انشغلت عنه أمه بحياتها الجديدة في حضن زوجها، التي لم تتورع حضور حفلاته وولائمه الدائمة في منزلهما. غير مهتمة بولدها الذي أضحى الألم يعتصر قلبه.

هذه الحياة الاجتماعية الصعبة أردّت **شارل** شابا متسعكا، بين المواخير والحانات معاقرا للخمرة ومعاكسا للنساء اللواتي أحب منهن مرافقته على الدوام الشابة الزنجية ديفال غير مكترث بنصائح أمه وزوجها. وقبلها كان قد تعرف على سارة اليهودية التي نقلت له داء الزهري فيما بعد ما جعل والدته تضرب بالوصاية على أمواله لما رأت فيه من غواية ومجون وإسراف لكنه ورث ثروة أبيه –فرانسوا– سنة 1842 م، حين بلغ سن الرشد، وانتقل إلى الحي اللاتيني لم تمض فترة طويلة حتى بدّد شارل أمواله وبات يطلب المال من أمه وأصدقائه ويستدين أحيانا كثيرة. فساءت أحواله أكثر ما اضطره إلى الانتحار الذي فشل فيه كان ذلك عام 1845م. انتقل **شارل** بين عدة أحياء في باريس مستأجرا الشقق ليأوي إليها والتي كان أحيانا يغادرها دون أن يدفع لأصحابها.

مسيرته العلمية والأدبية :

عند انتقال العائلة إلى مدينة ليون أودع الجنرال، شارل " الكوليج الملكي بمدينة ليون " بقسمها

[1]) كمال فوزي ، **شارل بودلير حياته وشعره**، ص .35

الداخلي وهو أشبه بنظام الثكنة العسكرية، رغبة في التخلص من غيرته الدائمة ومضايقاته اللاّمتناهية كان ذلك عام 1833م.

انعكست تلك الحالة النفسية السيئة التي كان يعاني منها **شارل** على تعاملاته الخاصة، فعرف بالتمرد والكره والنفور من طرف أساتذته وأصدقائه فأثار عديد المشاكل في المدرسة. وعند عودة العائلة إلى باريس عام 1836م ،فتم ايداعه كوليج لويس لوغران الباريسي، تعلّم اليونانية واللاتينية ثم الإنجليزية.[1]كما درس بكلية الحقوق، ورغم الأثر البليغ لحياة البؤس التي كان **شارل** يعيشها إلّا أن وهجه الأدبي ظهر وهو ابن الخامسة عشر حين نال جائزة الشعر اللاتيني سنة 1834، لتكون باكورة جوائزه الأدبية. فقد كان يتمتع بحس وذكاء خارقين منذ أن أينع رشده المبكر.

نال **شارل بودلير** البكالوريا عام 1839م، فخطط" الجنرال لابن زوجته مستقبله كدبلوماسي، اعتمادا على نفوذه لدى السلطات العليا ،لكن **بودلير** يصمم على تكريس نفسه للأدب "[2]، ورغبة من أوبيك لتقويم سلوك **شارل** قرر دفعه في رحلة بحرية طويلة تكون إلى جزيرة موريشيوس عام 1841 م ،ولكن قدر لهذه الرحلة أن لا تكتمل ليعود **بودلير** إلى باريس، بعد رحلة قصيرة أكسبته دفعا إبداعيا ودفقا شعريا هائلا فيما بعد.

بدأ نجم **شارل بودلير** يسطع في سماء الأدب والنقد بدءا من عام 1845م ؛حيث لاح نضوجه

[1])أنظر موقع حكمة شارل بودلير : **حياته ومزاجه وصراعاته** ،حوار مع أندري غيو، تر: سعيد بوخليط، بتاريخ22.07.2017

[2]) شارل بودلير، **الأعمال الشعرية الكاملة** ،ص 15.

الفكري إلى العيان ،فكتب مقالات حملت في طياتها أفكارا وصفها الأغلب بأنها منافية للأعراف المجتمعية كتب بكل عمق متتبعا مكامن الآلام ليصنع منها عالما مثاليا يعيش فيه وحده.

كما بدأ بكتابة مقالات مترجمة للشاعر الأمريكي الذي عدّه توأمه الروحي "إدغار آلان بو "بدءا من عام 1848م، والذي كان شديد الإعجاب بقصائده التي كانت تروي الصراع الأبدي بين الخير والشر ،وهو التفكير العميق الذي يحمله شارل بودلير معبرا عنه بقصائده المشبعة بالرمزية.

كان **بودلير** يجمع في شعره الخالد، دقة البرناسيين وأناقة الرمزيين، وكان مثالا الفنان الصادق الطموح المحب للجمال، فلم ينحط إلى الهلهلة السخيفة ولم يسف إلى الغموض المبهم، وظل طيلة حياته محافظا على إشراق الديباجة وصفاء التعبير وعمق التفكير وروعة الموسيقي "[1]،فتجربته مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدى رؤيته للعالم والوجود والإنسانية، وقف خلال هذه التجربة على حافة الانهيار والانتحار، يؤرقه النداء الخفي ،والغامض للما ورائيات والمجهول.

صورة الشاعر " عبد المعطي حجازي"

[1]) كمال فوزي، **شارل بودلير حياته وشعره** ،مجلة القيتارة ، ع 04 ، (1946) ، ص38.

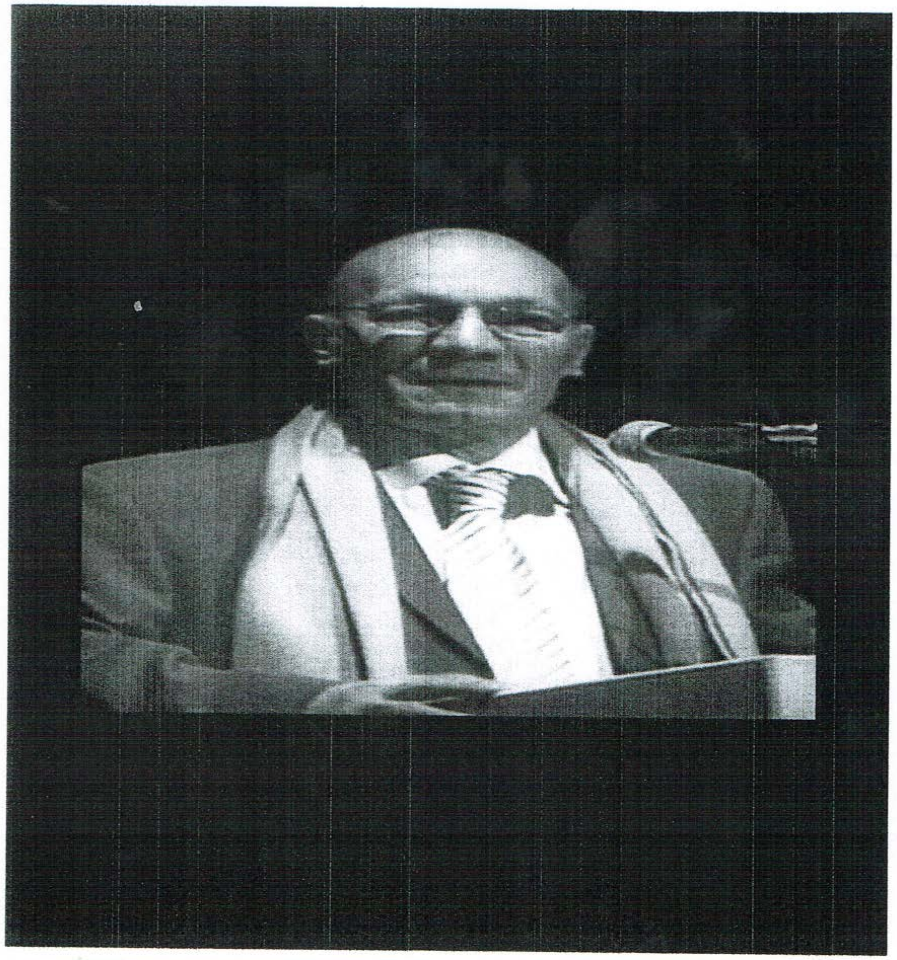

السيرة الذاتية للشاعر " أحمد عبد المعطي حجازي:

❖ مولده:

ولد الشاعر المصري والرائد من رواد الشعر العربي الحديث، **أحمد عبد المعطي حجازي** عام 1935م, بقرية من أجمل قرى الريف المصري وهي قرية – تلا– بمحافظة المنوفية. كان أحمد الولد السابع لأبيه من زوجته الثانية من بين إخوته الثمانية. كان والده خياطا بالإضافة إلى حفظه للقرآن الكريم، كان ملما نوعا ما بالثقافة العربية القديمة. أسهمت فيها الكتب التي كانت تملأ مكتبة البيت الصغيرة. دفعت ثقافة أسرته وحفظها للقرآن، حفظه لكتاب الله حيث يقول " كنت في الخامسة من عمري، حين وضعني أبي في الماء وألبسني ثيابا جديدة ودفع بي أحفظ القرآن، فلم تمض سنتان حتى كنت أحفظ نصفه "[1].

مسيرته العلمية والشعرية:

تلقى الشاعر تعليمه الأول متنقلا بين " المدارس الابتدائية ليقضي بها خمس سنوات، تقدمت بعدها الامتحان قبول في مدرسة المعلمين، لأقضي بها سبع سنوات حتى تخرجت فيها وأنا حوالي العشرين "[2]. اكتسب الشاعر شهرة بين أقرانه بمدرسة المعلمين، لقرضه للشعر في كل المناسبات ،ولعل ما أثرى تجربته الشعرية رثاء والدته لأخوانها " كان لها سبعة إخوة مات معظمهم في أقل من ثلاث سنوات، ومات بعض

[1])أحمد عبد المعطي حجازي .**عن تجربتي الشعرية**. مجلة الآداب ،بيروت، ع 03، ص 06.

[2]) المرجع نفسه، ص 06 .

أبنائهم في هذه الفترة أيضا، كنت طفلا في الرابعة ومازال شكلها محفورا في داخلي حتى الآن "[1]، كان لوقع هذه البكائيات الأثر الجليل على شعرية الشاعر؛ حيث قال " وكنتفي هذا السن الذي تفتح فيه كل حواسي على العالم، كنت بالطبع طفلا غير عادي، يتمتع بذكاء, ومعرفة وفضول. لم أكد أجد نفسي ألا مستمعا بالرغم مني لهذه البكائيات الأليمة "[2]إضافة إلى ذلك لجأ الشاعر إلى مكتبة والده ينهل منها مآثر الكتاب والشعراء، يقول " قرأت معظم كتب عبد الرحمان البدوي، قبل أن أقرأ كلمة التوفيق الحكيم وقرأت كتب الرافعي دون أن أقرأ العقاد أو طه حسين بعد ذلك بسنوات،قرأت معظم أشعار الرومانتكيين علي محمود طه وناجي ومحمود اسماعيل ،بعد أن قرأت أشعار الجاهليين ،و قبل أن أقرأ شوقي أو مطران. "[3]، كان لعائلة الشاعر الأثر البارز في تفتق موهبته الشعرية، فتمخض عن هذه الظروف التي عرفها الشاعر ولادة رومانسية في كنف عائلة مثقفة وقرية جميلة، كما أن الحب عرف طريقا إلى قلبه عبر أحدى بنات قريته لكنه أسره في قلبه." لم أستطع التعبير عن مشاعري لأن فتاتي كانت جارتي وإحدى قريباتي لذلك لم أجر التعبير عن مشاعري"[4]، ولأن أغلب قصص الغرام لا تنتهي سعيدة وهو ما كان مع الشاعر؛ حيث أدرك " أن الحب بلا مستقبل، فلم أصرح به لأحد بل كتمه ليزيد اشتعالا وتوهجا ليدفعني دفعا إلى الشعر الذي اكتسب قيمته في نفسه بقدر ما كان لهذا الحب المحكوم عليه بالموت."[5] ، كانت تجربة الحب الموؤودة قبل بدايتها

---

[1]).بركات محمد: **لقاء مع شاعر الفقراء. أحمد عبد المعطي حجازي**. مجلة الأداب ، ع04 (1975). بيروت ، ص06.

[2]) أحمد عبد المعطي حجازي، **عن تجربتي الشعرية** ، ص 06 .

[3]) المرجع نفسه ، ص06.

[4]) **حوار مع أحمد عبد المعطي حجازي**. مجلة البيان العدد 535. فيفري 2015 ص 46.

[5]) أحمد عبد المعطي حجازي، **عن تجربتي الشعرية** ، ص 07.

نقطة مفصلية وهامة في حياة الشاعر الشعرية. لأنه كانت أحد الأسباب التي دعته إلى الانتقال إلى القاهرة. فقد زفت حبيبته إلى غيره فيما بعد. تشكل في مخيال الشاعر" وجدان رومنتيكي ذاتي يدور حول ثراء الطبيعة وسحر القرية وعذابات الحب والفراق..."[1].

أما السبب الثاني الذي دعاه إلى مغادرة قريته باتجاه القاهرة، أنه " نال الدبلوم دار المعلمين سنة 1955م، لكن طيشه الذي قاد بهإلىالإشتباك مع رجال البوليس ورميه الحجارة، وتعرفه على الماركسيين والإخوان المسلمين كان سببا في رفض تعيينه في سلك التعليم، وقد قاده هذا إلى الهجرة النهائية إلى القاهرة. "[2]، عند انتقال حجازي إلى القاهرة هناك كتب فصل جديد من حياته الشعرية.

[1]) ممدوح السكاف . **وقفة مع الشاعر حجازي في قصيدة عرس المهدي** ،مجلة الآداب ، ع10، بيروت ،1979 م،ص19.
[2]) جمال الدين بن الشيخ، قراءة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي ، مجلة الآداب ، ع01، بيروت ،1981م، ص 24.

الملاحق

ملحق القصائد

مقتطفمن قصيدة رسالة إلى القرية

هنا عرفت يا أبي المدينة العجيبة

مدينة الأقزام والشوارع الرحيبة

مدينة القصور والعمائر الرهيبة

مدينة التمثال ذلك الحجر

الذي يطل من عليائه على البشر

كأنه القدر.

******

هنا عرفت يا أبي حكاية الطريق

حكاية الذين يخرجون في الشروق

ببسمة على الشفاه وعزمة على الجباه

بحبهم وشوقهم للنور والحياة

يفيض خطوهم أمل

ويكدحون يشعلون جمرة العروق بلا ملل

ويرتقون أثوابهم على الطريق.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- شارل بودلير : الأعمال الشعرية الكاملة ترجمة رفعت سلام، دار الشروق مصر ط1.
- أحمد عبد المعطي حجازي : الأعمال الشعرية دار العودة الطبعة الثالثة (1982).
- شارل بودلير : سأم باريس . ترجمة أحمد أحمد مراجعة كاميليا صبحي.
- Charles baudelaire.les fleurs du mal.m.v.e.paris 1984.
- Charles baudelaire, Spleen de paris, édition électronique, juin 2003.

المراجع :

1. أ.د.ش. موريه ، ، **أثر التيارات الفكرية والشعرية الغربية في الشعر العربي الحديث من 1970–1800**.تر: شفيع السيد وسعيد مصلوح ، منشورات الحمل. دط. بيروت. دت.
2. إبراهيم رماني: **المدينة في الشعر العربي" الجزائر نموذجا" 1925–1962**. الهيئة العامة للكتاب .ط1، القاهرة. 1971م.
3. ابن خلدون . **المقدمة**. دار الفكر للطباعة والنشر . دط. بيروت. دت.
4. أبوبكر ابراهيم لقوشة: **المدينة، المرأة، الكلمة**، مكتبة جزيرة الورد .ط1. القاهرة. 2012م.
5. إحسان عباس ،**اتجاهات الشعر العربي المعاصر**. دار المعرفة. دط. الكويت.1978 .
6. أحمد اسماعيل على: **دراسة في جغرافية المدن**. دار الثقافة للنشر والتوزيع .ط4، القاهرة
7. أحمد الصاوي محمد: **باريس**، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة 1993م.

8. أحمد المنياوي. : **جمهورية أفلاطون المدينة الفاضلة كما تصورها فيلسوف الفلاسفة**. دار الكتاب العربي للنشر. ط1.2010م.

9. أحمد علي اسماعيل ، **دراسة في جغرافية المدن** . دار الثقافة للنشر والتوزيع .ط4، دت

10. أحمد علي ناصري: الاغريق تاريخهم وحضارتهم. من حضارة كريت الى قيام امبراطورية.

11. أحمد محمد فتوح :**الرمز والرمزية في الشعر المعاصر**. دار المعارف. القاهرة ط2. 1978م

12. أحمد مرشد : **أنسنة المكان في روايات عبد الرحمان منيف** . دار الوفاء للنشر والتوزيع ط1 .2003.

13. الأخضر بركة : **الريف في الشعر العربي المعاصر**. قراءة شعرية للمكان . دار الغرب وهران ط1. 2002 م.

14. ادوارد سعيد: **المثقف والسلطة** ، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006،

15. ادوارد صيبون: **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها** ، تر: محمد علي أبودرة .ج1. المؤسسة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1969م

16. أدونيس : **زمن الشعر**، دار العودة . ط2. لبنان. 1978.

17. أدونيس: **غبار المدن وبؤس التاريخ** دار الساقي. ط1 . بيروت.2015 م

18. أريا لويزا بريندي: **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**. تر :عطيات أبو السعود. مراجعة عبد الغفار. دار النهضة العربية . ط2، القاهرة . دت.

19. أنميا بطرس سمعان :**يوتوبيا توماس مور** . الهيئة المصرية للكتاب. ط2. القاهرة..1987م

20. إيمان الناصر. **قصيدة النثر العربية**، التغاير والإختلاف. الإنتشار العربي . دط. 2003.

21. باتريك لورو: **الأإمبراطورية الرومانية** تر:جورج كتورة . دار الكتاب، ط1، 2008 .

22. باسكال بيا : **بودلير** ، تر:صلاح برمدا ، وزارة الثقافة ، دمشق ،1985.

23. بشير تاوريريت. **الشعرية والحداثة**، بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية. دار رسلان ،ط1،دمشق،2008م.

24. بيار بورديو، **قواعد الفن** ،تر:ابراهيم فتحي، الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة،2013م

25. بيار جورج ،**جغرافية السكان**،تر:سموحي فوق العادة ،منشورات عويدات،ط3،بيروت،دت.

26. بيانكا ماضية،**مرجعية المدينة عند نزار**،مجلة البيان، ع318،الكويت ،2010م

27. تورين آلان، **نقد الحداثة** ،تر:أنور مغيث ،المجلس الأعلى للثقافة ،دط،القاهرة ،1997م

28. جمال حمدان ،**القاهرة**،الهيئة المصرية للكتاب ،ط1،القاهرة ،1998م

29. جمال حمدان،**جغرافية المدن**،عالم الكتب،ط2،القاهرة ،دت.

30. جون بول سارتر، **بودلير**،تر:جورج طرابيشي،منشورات الآداب ،ط1،بيروت،1965م.

31. جون ماكوري، **الوجودية** ،تر:إمام عبد الفتاح، مراجعة فؤاد كريا ،الكويت ،1982م.

32. حسن مؤنس،**الشرق الاسلامي في العصر الحديث**،مطبعة حجازي،ط1،القاهرة،1935م

33. حسين الشيخ ، **اليونان**، مكتبة الأدب،دار المعرفة الجامعية،ط1،القاهرة،1992م.

34. حسين عنبتاوي،**بدر شاكر السياب قراءة أخرى**،المكتبة الوطنية الأردنية، ط2016،1م.

35. حنا الفاخوري، **الجديد في الأدب العربي**،دار الكتاب اللبناني،ط1964،1م.

36. حنا عبود، من تاريخ الرواية –دراسة– ،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط،دمشق،2002م

37. حنان محمد موسى حمودة، **الزمكانية وبنية الشعر المعاصر(أحمد عبد المعطي أنموذجا)** ،عالم الكتب الحديث،ط1،الأردن،2006م

.38.حنفي عوض .**سكان المدينة بين الزمان والمكان**. جامعة الزقازيق. المكتب العلمي للكمبيوتر للنشر والتوزيع .ط3. القاهرة. القاهرة .1997م.

39.خالد زيادة **لم يعد هناك ما أقدمه لأوروبا** ، الدار المصرية اللبنانية . دمشق 2014.

40.ديفيد هارفي : **مدن متمردة** : من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر ، تر: لبني صبري ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1. بيروت.2017

.41.زهير محمود عبيدات .**صورة المدينة في الشعر العربي الحديث**. دار الكندي .ط1. عمان 2006.

.42.زينات بيطار: **الإستشراق في الفن الرومنسي** . سلسلة عالم المعرفة (1992) زينات بيطار: بودلير ناقدا فنيا. دار الفارابي .ط1.1993م. ص 21.

44.سعيد عبد الفتاح عاشور . **تاريخ أوربا في العصور الوسطى دار النهضة العربية** .

45.السعيد ورقي ، **الموقف من المدينة في الشعر العربي المعاصر** ، دار المعرفة الجامعية، ط، مصر ،1991.

46.السعيد ورقي: **لغة الشعر العربي الحديث**، مقوماته الفنية وطاقاته الإبداعية. دار النهضة العربية. للطباعة والنشر .ط3. بيروت. 1984م.

47.سوزان برنار. قصيدة النثر : من بودلير إلى أيامنا. تر: محمد مغامس. مراجعة :علي جواد طاهر. ط1 1993 م.

48.سوزان برنار: قصيدة النثر من **بودلير حتى وقتنا الراهن**: تر: راوية صادق ، مراجعة رفعت سلام . دار الشرقيات .1998م

49.سينثيا منيتي : **قاهرة اسماعيل باريس على ضفاف النيل**، تر: أحمد محمود ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2008م.

50. شارل بودلير : **اليوميات**، ترجمة آدم فتحي، دار الحمل ط1 ، ألمانيا ،1999م.

51. شاكر النابلسي: **محامي الشيطان، دراسة في فكر عفيف الأخضر**. دار فارس. ط1. الأردن .2005م.

52.شريف رزق، قصيدة النثر **المصرية شعريات المشهد الشعري الجديد** ، مركز الحضارة العربية ،القاهرة ،ط1 ،2012م.

53.صالح بن علي الهذلول.. **المدينة العربية الإسلامية. أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية** . السعودية .1994م.

54.صلاح صالح: المدينة الضحلة: **تثريب المدينة في الرواية العربية**. مطابع الهيئة العامة السورية . دط. .دمشق 2014م.

55.عبد الباقي ابراهيم. **التراث الحضاري في المدينة المعاصرة** . مطبعة حكومة .ط1 . الكويت، 1968م .

56.عبد السلام محمد الشاذلي. **تجربة المدينة في الشعر العربي المعاصر** . صنعاء نموذجا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة .2002 م.

57.عبد العزيز فهمي هيكل: **الإنسان المعاصر والحضارة الإسلامية** ، الدار الجامعية. ط1985،1 م.

58. عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم: **في الثقافة المصرية**، دار الثقافة الجديدة .ط3 . القاهرة..1989 م.

59.عبد الغاني مغربي **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**: تر: محمد شريف بن دالي. دط.

60.عبد الغفار مكاوي: **ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحديث** . الهيئة المصرية للكتاب ج1 1972.

62.عبد الفتاح وهيبة.:**في جغرافيا العمران** . دار النهضة العربية . ط 1. بيروت.1973م . 63.عبد

اللطيف محمد خليفة: **دراسة في سيكولوجية الاغتراب**. دار الغريب للطباعة والنشر 2003م.

64.عبد الله حبيب التميمي: **تحولات المدينة في الشعر العراقي الحديث**. دار الرائي .ط1 .2010م.

65.عبد الله رضوان: **البنى الشعرية ، دراسة تطبيقية في الشعر العربي**. دروب النشر .ط1 .الأردن. .2010

66.عبد الله محمد الغذامي، **الموقف من الحداثة ومسائل أخرى**. ط 2..1991.

67.عبدالله رضوان: **المدينة في الشعر العربي المعاصر**. دار البيروني. ط3. .الأردن.2014م.

68.عبد الله مسرور : **عبد الناصر في الشعر العربي الحديث** ، دار مطابع فاروق ، ط4 ،القاهرة .دت

69. عبد المجيد نعنعي. **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة**. (14531848). دار النهضة العربية .ط1. بيروت.1983م

70.عصام محفوظ: **شعراء القرن العشرين**، ثلاثون شاعرا عالميا يوقعون العصر، دار الملايين ، لبنان، دت

71.علاء خالد: **فردوس المدينة الضائع**. قراءة في رواية الصحراء ، دار الفيصل الثقافية . الرياض. .

72.على عكاشة. **شهادة ناطور . جميل بيضون. اليونان والرومان** دار الأمل للنشر .ط1 . الأردن .1991 م.

73.علي جعفر العلاق : **الشاعر والحلم والمدينة في حداثة النص الشعري** ، دراسة نقدية.

74.علي عبد الوهاب وافي .:**المدينة الفاضلة للفارابي**. فضة مصر للطباعة. دط. القاهرة

75.علي محمود طه: **أرواح شاردة** ، مؤسسة هنداوي. دط. القاهرة .2002.

76.عمر عبد الماجد: **شارل بودلير شاعر الخطيئة والتمرد** ،دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 1997 م.

77.غلاب محمد السيد والجوهري يسري. **جغرافية الحضر دراسة في التطور الحضري ومناهج البحث فيه منشأة المعارف**. دط. القاهرة. 1977م.

78.فاروق سعد. **مع الفارابي والمدن الفاضلة** . دار الشروق. ط1 . القاهرة .1982.

79.فالتر بنيامين. **شارل بودلير شاعر غنائي في الحقبة الرأسمالية** .تر: أحمد حسان . ط3. 1983.

80.فالتر بنيامين: **مقالات مختارة**. تر : أحمد حسان . أزمنة للنشر والتوزيع .عمان. 2007م 81.فالح حسين: **بحث في نشأة الدولة الإسلامية**. مركز دراسات الوحدة العربية. ط1 .

82.فانسان توماس: **الجثة، اللغة والصورة** ، تر: أحمد الحوفي. بحلة علامات.ع 04 . المغرب. 1995م.

83.فواز مصطفى . **مبادئ تنظيم المدن**. معهد الإنماء العربي. بيروت. 1980م.

84.قادة عقاق .**دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر** . دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، **منشورات إتحاد الكتاب العرب** ، دمشق، 2001م .

86.كولن ولسون: **سقوط الحضارة نقله إلى العربية أنيس زكي حسن**. دار الآداب . ط3 . بيروت .1982م. .

87.لويس عوض. **دراسات أدبية** ، عودة المغترب . دار المستقبل العربي . ط1. 1979. 88.لويس ممفورد: **المدينة على مر العصور** . إشراف ابراهيم فتحي. مكتبة الانجلوسكسونية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين .ط1. 1964.

89.مجمع اللغة العربية. **المعجم الوجيز** . القاهرة.

90.محمد أحمد غنيم: **دراسة في أنثربولوجيا الحضرية** . دار المعرفة للنشر . دط.

91. محمد أحمد صقر. **نظرة الدولة عند الفارابي**. مكتبة الجلاء.ط1 .المنصورة .القاهرة. 1989م.

92.محمد الصديق جوهر: **رحلة القوافي في متاهات المدينة (مقاربات في الشعر الأمريكي المعاصر)** .دار صفصافة .ط1.2016

.93 .محمد العاني : **أصالة المدينة كوحدة جغرافية تخطيطية**. ط 1. 2010 .

94.محمد الهادي بوطارن. **الاغتراب في الشعر الرومانسي**. دار الكتاب الحديث. ط1 الجزائر 2010م.

95.محمد حافظ : **النمو الحضري في المجتمع الحضري** . مدخل نظري دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، القاهرة، 1984م.

96.محمد حسام الدين اسماعيل : **مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى اسماعيل** ، دار الآفاق العربية

، ط1 ،1998م.

97.محمد حمود: **الحداثة في الشعر العربي المعاصر**. بيانها ومظاهرها . الشركة العالمية للكتاب .دط. بيروت. 1996 م.

98.محمد راضي جعفر: **الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر** مرحلة الرواد منشورات إتحادالكتاب العرب . دمشق 1999م.

99.محمد سعيد عمران : **حضارة أوربا في العصور الوسطى**. بيروت. 1998 م.

100.محمد سليم هياجنة : **الاغتراب في القصيدة الجاهلية** دار الكتاب الثقافي الأردن. 2005م.

101.محمد صديق جوهر .**رحلة القوافي في متاهات المدينة . مقاربات في الشعر الأمريكي المعاصر**.

102.محمد عاطف **غيث**: .دط. الاسكندرية.2006

103.محمد عبد الستار عثمان: **المدينة الإسلامية**، عالم المعرفة. الكويت. 1998

104.محمد عبد الواحد لؤلؤة. **الأرض اليباب الشاعر والقصيدة**. المؤسسة العربية للدراسات .ط3. 1995 .

105.محمد علي الكرد. **الإسلام والحضارة العربية. مؤسسة هنداوي** . المملكة المتحدة.

106.محمد غنيم : **المدينة دراسة في الانثربولوجيا الحضرية** –دار المعرفة للنشر . دط. القاهرة. 1987.

107.مختار أبو غالي. **المدينة في الشعر العربي المعاصر**. سلسلة عالم الفكر.1988م.

108.مختار أبوغالي : **المدينة في الشعر العربي المعاصر** . سلسلة عالم المعرفة .1988م .

109.مريم صانع بور: **مثيولوجيا الحداثة، الأصل الإغريقي الأسطورة الغرب** تر: أسعد مندي الكعبي .ط، 1. العراق .2018 م.

110.مصطفى عباس موسوي. **العوامل التاريخية النشأة وتطور المدن التاريخيةوزارة الثقافة والإعلام**. دار الرشي والإسلامية. منشورات وزارة الإعلام والثقافة. منشورات . العراق . 1982م

111.مصطفى فواز . .**مبادئ تنظيم المدينة**. معهد الإنماء العربي . دط. دت.

112.مصطفى قصري : **الشاعر بودلير حياته ،زهور الألم ، قصائد نثرية** ، دار الكتاب ، ط1

113.موريس بيشون: **تاريخ اوربا في العصور الوسطى**. تر:. علي سيد علي. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة .2004م.

114.ميكائيل برزان: **عشيقة شارل بودلير**: تر: قاسم مقداد. دار نينوى. ط1. دمشق.2011م

115.نسيب نشاوي. :**مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر**.(**الإتباعية– الرومانسية – الواقعية الرمزية**).منشورات المطبوعات الجامعية. 1984م.

116. هدى الزين: **المقاهي الأدبية في باريس حكايات وتاريخ** الهيئة المصرية العامة للكتاب..

117.هنري تشاوديك: أوغيستينوس. **مقدمة قصيرة جدا** . تر : أحمد محمد الروبي . مؤسسة

الهنداوي.ط1.

118.ويل ديورانت: **قصة الحضارة** تر:زكي محمود نجيب. تقديم محي الدين صابر . مج 1 . ج1.

119.يوري لوتمان : **مشكلة المكان الفني** ، تر : سيزا قاسم ، ضمن كتاب جماليات المكان.جماعة من الباحثين . دار قرطبة ط2 المغرب 1988.

ثانيا : المجلا ت.

1-أحمد ضيف. **باريس مدينة الفن والجمال** بمجلة الهلال العدد 1 (1935) مصر

2-أحمد عبد المعطي حجازي. **الشعر المعاصر**. بمجلة إبداع العدد 04ر1993)

3- أحمد عبد المعطي حجازي. **عن تجربتي الشعرية**. مجلة الآداب. بيروت العدد

4-أحمد عبد المعطي حجازي.**هل نحن على أبواب نهضة ثقافية**، مجلة إبداع، ع1 1996

5-محمد كشيك: **حوار صريح مع أحمد عبد المعطي حجازي**، مجلة البيان العدد 261(1987

6-أحمد عبد المعطي حجازي، **هزيمة 1968 أدت إلى عزلة جيل وهجرة جيل آخر**، مجلة نزوى، ع 10، 1997.

7-أحمد ياسين موسى العرود: **البعد الثقافي والحضاري للمدينة في الخطاب الروائي العربي**. رواية" ترابها زعفران" لأدوارد الخراط، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية. 26. الجزائر .

8-إعتدال عثمان. **جماليات المكان. الأندلس في الشعر العربي الحديث**. مجلة البيان الكويتية ع 238، 1986م

9-آمال موسى: **بودلير والشعر العربي الحديث**. المغامرة بعيدا عن البحور. مجلة نزوى العدد 23سنة 2000.

10- بيانكا ماضية، **مرجعية المدينة عند نزار**، مجلة البيان، ع318، 1997م، الكويت .

11- جمال الدين بن الشيخ. **قراءة في شعر أحمد عبد المعطي حجازي** مجلة الآداب .ع 01 بيروت. 1981م.

12- راشد البراوي: **التقريب بين القرية والمدينة** ، مجلة الهلال ع 1963،02م).

13- ريتشاد ج كلين: **بودلير والثورة وبعض الملاحظات**، تر: جان صليبا، مجلة مواقف، 26ع 1973 ،

14- عبد الجليل غزالة. مجلة الآداب العالمية ،ع 146. 2011

15- عبد المعطي حجازي: **رسالة إلى القرية**، مجلة الآداب، ع1656

16- عرس المهدي. مجلة الآداب العدد 10 بيروت 1979

17- فيصل دراج: **حداثة بودلير وصرايا المدينة الحديثة**، مجلة الكرمل العدد 83(2005)

18- كمال فوزي: **شارل بودلير حياته وشعره** ، مجلة القيثارة العدد 04ر1946)

19- محمد المحماصي، **عزوبية الفنان الحداثي** مجلة الجديد ع36 (2018)

20- محمد بركات، لقاء مع شاعر الفقراءأحمد عبد المعطي حجازي. مجلة الاداب

21- محمد علاء الدين عبد المولى: **بودلير مدينة وحداثة**. البيان الكويتية ع494. 2011

22- محمود الربيعي ومحمد عبده بدوي: **الشاعر والمدينة**، مجلة عالم الفكر، (1988).

23- مصطفى الضبع، ***المقهى في الرواية العربية***، مجلة وجهة نظر، ع18، 2000 .

24- ممدوح السكاف: **وقفة مع الشاعر حجازي في قصيدة** ع، محمود السكاف. 30.

الملخص :

من خلال هذه الدراسة سعينا إلى تناول تيمة المدينة من خلال التطرق إليها وفق النموذجين الغربي والعربي وهذا بدراسة ما تم الإشارة إليه في الأدبين، ومن خلال أشعار وكتابات كل من شارل بودلير و أحمد عبد المعطي حجازي.

فكل منهما سعى إلى التطرق لما تعرضت له كل مدينة (باريس) القاهرة من التغيرات والتطورات جراء ما عرفته من تمدّن ، وسعيا إلى إبراز المدينة من خلال خطاباتهم الشعرية مبرزين أهم نقاط الائتلاف والاختلاف التي ظهرت بينهما، فالشاعر يشكل نبضا حيا للمدينة يحاول جاهدا أن ينحت ماهيتها من وعيه الحقيقي، ويبني عالمه بأعمدة شعره في ظل المدينة التي يحلم بها، فموقف الشاعر من اجتماعية المدينة وما يبرز منها من تجليات شتى من نفور ونقمة ورفض وقبول.

وحين أضحت المدينة عالما دائم الحركة والتغير في استمرارية يعبر فيها الشاعر عن رؤياه المفزعة من هذا التحول والتمدن ،و الذي يحمل في نظرته المليئة بالنقم والرهبة لما فيها من الفوضى والموت قهرا ، هو ما كان محفزا قويا للشاعر لتناول المدينة، وما فيها من حياة منمطة التي يحياها إنسانها.

عكست التجربة المدينية بأبعادها أوضاع الشاعرين المذكورين، و أفضت إلى مستويات فنية وإبداعية شعرية جعلت منهما رائدين للشعر المديني الغربي والعربي .

Sommaire :

A travers cette étude, nous avons cherché à aborder le thème de la ville en l'abordant selon les modèles occidental et arabe, et c'est en étudiant ce qui était évoqué dans la littérature et à travers les poèmes et écrits de Charles Baudelaire et Ahmed Abdel Moati Hegazy.

Chacun d'eux a cherché à aborder les changements et les évolutions que chaque ville (Paris / Le Caire) a connu du fait de l'urbanisation qu'elle a connue, et a cherché à mettre en valeur la ville à travers leurs discours poétiques, en mettant en évidence les points de coalition et de différence les plus importants qui sont apparus, entre eux, il sculpte son essence dans sa véritable conscience, et construit son monde avec les piliers de sa poésie à l'ombre de la ville dont il rêve.

Et quand la ville est devenue un monde de mouvement constant et de changement dans la continuité, dans lequel le poète exprime sa vision effrayante de cette transformation et urbanisation, qui porte à ses yeux plein de ressentiment et d'effroi à cause du chaos et de la mort par la force, c'est ce que était une forte motivation pour que le poète s'empare de la ville et de la vie modelée que ses vies humaines.

L'expérience urbaine dans ses dimensions a reflété les conditions des deux poètes mentionnés, et a conduit à des niveaux poétiques artistiques et créatifs qui ont fait d'eux des pionniers de la poésie urbaine occidentale et arabe.

الفهرس

فهرس المحتويات	
العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول تطور المفهوم الثقافي للمدينة	13
1- المدينة	14
1-1- المدينة بين اللغة والاصطلاح	14
1 -2 - المدينة تيمة	18
2- تطور المفهوم الثقافي للمدينة	20
2-1- المدينة قبل الحداثة	21
2-2- المدينة بعد الحداثة	36
3- المدينة في الحداثة الغربية	37
4- المدينة في الحداثة العربية	42
الفصل الثاني المظاهر المادية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	46
1- ميكروتيمات المدينة	47
2- الفضاءات العامة للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	48
2-1- المدينة مقهى في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	49
2-2- المدينة شارع في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	55
2-3- المدينة ميناء في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	61
2-4- المدينة معارض وصالونات في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	63
2-5- المدينة مصابيح في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	70
2-6- المدينة حدائق في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	72
2-7- المدينة سوق في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	75

2-7-1- المدينة زحام في شعرهما	76
2-7-2- جامعي خرق في شعرهما	82
2-8- المدينة مستشفى في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	85
3- المدينة فضاءات مقدسة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	86
3-1- المدينة دور عبادة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	86
3-2- المدينة مقابر في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	89
4- المدينة فضاءات مدنسة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	93
4-1- المدينة دور دعارة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	93
4-2- المدينة سجون في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	98
الفصل الثالث المظاهر المعنوية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	103
1- المظاهر الاجتماعية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	105
2-المظاهر الأخلاقية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	111
3-المظاهر السياسية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	116
4-المظاهر الثقافية للمدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	119
الفصل الرابع انعكاس تكاليف سأم الحياة في المدينة في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	132
1- التمرد في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	133
1-1-التمرد الاجتماعي في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	134
1-1-أ- التمرد الأخلاقي في شعرهما .	141
1-1-ب- التمرد الديني في شعرهما	147
1-2- التمرد السياسي في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	150

1-3- التمرد الفني في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	170
2- الاغتراب في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	183
2-1- الاغتراب المكاني في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	184
2-2- الاغتراب الزماني في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	209
2-3- الاغتراب الفكري في شعر شارل بودلير وعبد المعطي حجازي	218
خاتمة	226
الملاحق	233
قائمة المصادر والمراجع	245
الملخص	259
الفهرس	261

+